سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٤١

التوسل والوسيلة الإلهية
فرض وضرورة إلَهية

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخرِ ما توصَّلت إليه
أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام
(٤١)

التَّوسُّل
والوسيلة الإلهية
فرض وضرورة إلهيَّة

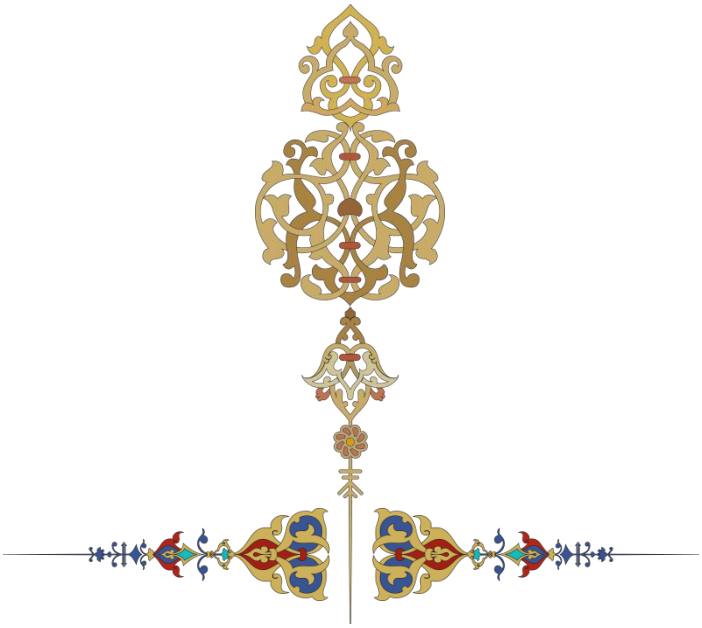

التَّوَسُّل
وَالْوَسيلَة الإلهيَّة
فَرْض وَضَرُوْرَة إلهيَّة

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

التَّوَسُّل
وَالوَسيلَة الإلهيَّة
فرْض وَضَرُوْرَة إلهيَّة

بقلم /
الشيخ كامل بدر الحلفي
النجف الأشرف

محفوظة جميع الحقوق

سنة الطبع /
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣ م
الطبعة / الأولى

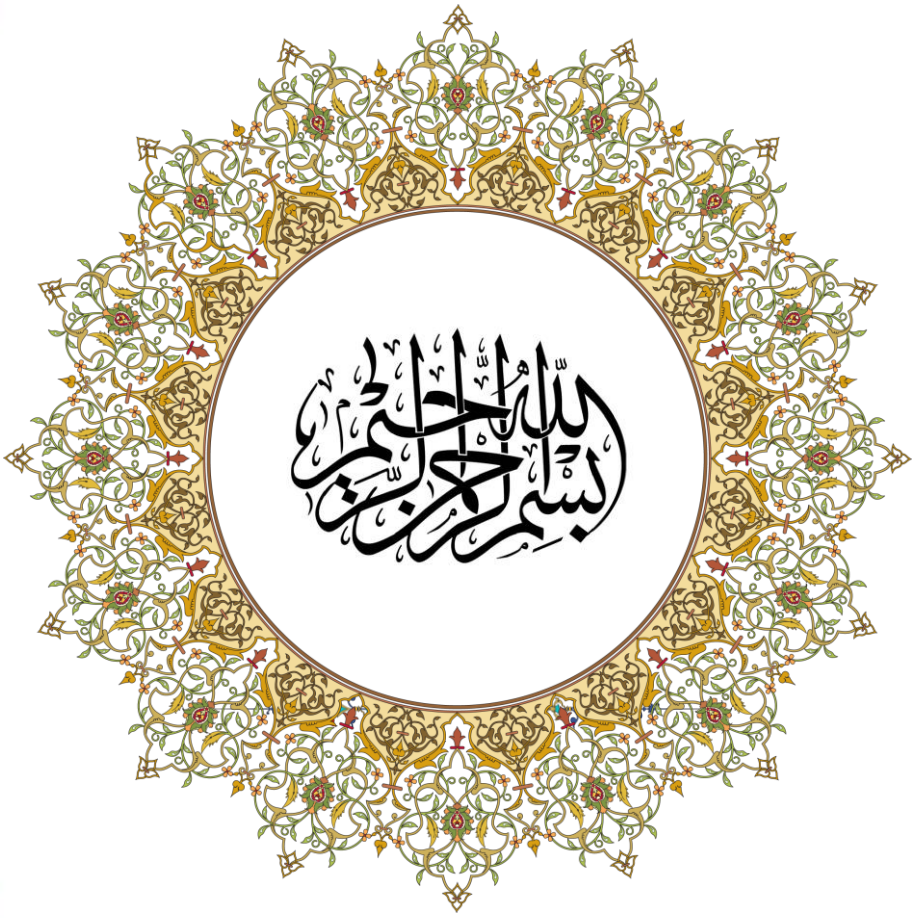
بسم الله الرحمن الرحيم

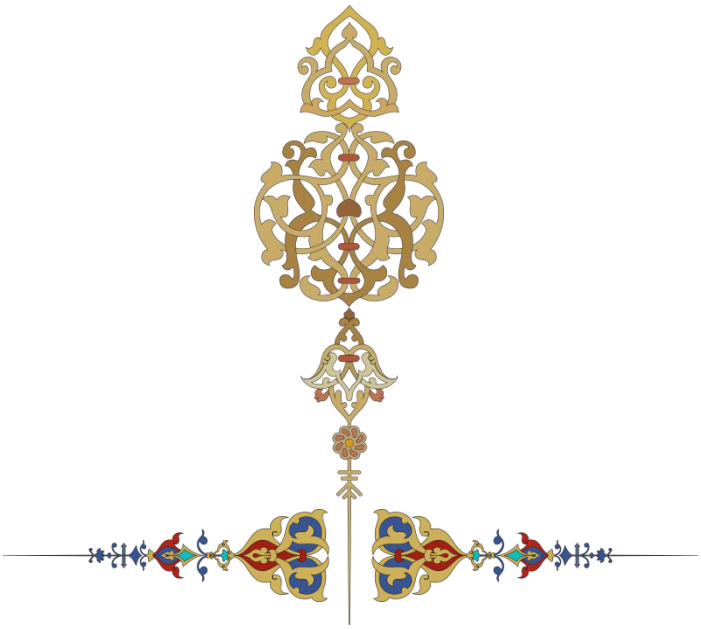

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّـه الَّذي لَيس إِليه حدّ منسوب ، ولا لَهُ مِثْل مضروب ، ولا شيءٌ عنه بمحجوب ، تعالىٰ عن ضرب الأَمثال والصِّفات المخلوقة علوّاً كبيراً ، وصلَّىٰ اللّـه على سيِّد الْخَلقِ مُحَمَّد ، نور الأَنوار ومحلّ سرّ الأَسرار ، وعنصر الأَبرار ، ومُعْلَن الأَخيار ، وعلى آله الكال عن نعتهم أَفهام النَّاعتين، والعاجز عن وصفهم لسان الواصفين ، قناديل النُّبُوَّة ، ومصابيح الرِّسالة ، نور الأَنوار ، وكلمة الجبَّار ، وراية الحقّ الَّتي مَنْ تّبِعَها نجا ، ومَنْ تَأَخَّر عنها هوىٰ ، بحور العلوم الزَّاخرة الَّتي لا تنزف ، والجبال الشَّامخة الَّتي لا تُقهر ، سفينة النَّجاة المشحونة بذخائر السَّعَادات ، والفُلْك المُزَيَّن بالنَّيِّرَات المُنْجِيَة من ظُلَم الجَهَالات ، واللَّعنة الدَّائمة أبد الآباد ودهر الدُّهور على أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ؛ وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومُناوئي شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الحادي والأَربعون الَّذي مَنَّ الله تبارك وتعالىٰ علينا أَنْ وفَّقَنا لإِظهاره ضمن هذه السلسلة ، وهي : سلسلة المعارف والعقائد الإِلٰهيَّة ؛ المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الدَّائرة في أَروقة حوزة النجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف)، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البلىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقْدَس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

وهذا الإِصدار يتعرَّض لـ: (التَّوسُّل والوسيلة الإِلٰهيَّة ؛ وأَنَّهما فرض وضرورة إِلٰهيَّة) ، وهما أُسُّ الإِيمان والتَّوحيد ، فلا يُمكن لمخلوقٍ البَتَّة إِقامة وإِتمام وإِكمال أَصل الإِيمان والتَّوحيد ؛ والإِتصال بساحة القُدُس الإِلٰهيَّة إِلَّا بهما ، ومِنْ ثَمَّ هما في الأَصل ضرورة إِيمانيَّة ودينيَّة ، وعبادة معرفيَّة إِلٰهيَّة وعقليَّة.

وحقيقة الوسيلة الإِلٰهيَّة ـ كالآية وبقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ـ هي : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة في عَالَمَ السَّرْمَد والأَزَل ؛ عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ والمُعَبَّر عنه في بيانات الوحي بـ : (عنده).

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ جلَّ هذه الجهود والتَّحقيقات وما فيها من علوم ومعارف وعقائد ثابتة في هذا التَّصنيف أَي : ما يقرب من (٩٥٪) جهود وتحقيقات خاصَّة لم يشمّ رائحتها قبل هذا اليوم أَحَدٌ قَطُّ.

وآخر دعوانا أَن الحمد لِلّٰـه ربِّ العالمين ، وصلَّىٰ اللّٰـه على حبيبه مُحَمَّدٍ وعلى آله الأَطهار.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

الأربعاء/ ٢١ مُحَرَّم/ ١٤٤٥هـ.

التَّوسُّل والوسيلة الإلهيَّة فرض وضرورة إلهيَّة

هناك ضرورة يجدر الإلتفات إليها ، حاصلها : أَنَّ التَّوَسُّل[1][2]

---

(١) عُرِّفَ التَّوسُّل والوسيلة (لغة) : ما يجعله العبد من واسطة بينه وبين ربِّه ؛ للتَّوصُّل بها إلى تحصيل المراد والمقصود وهو القرب إليه (عزَّوجلَّ) ، أَو مُطلق ما يوسِّطه الشَّخص للتّقرُّب به إلى الطَّرف ، كالأَقارب والمعارف والعمل.

واصطلاحاً : عين ما عُرِّفَ به لغة ، نعم الإختلاف في تحديد مصاديق الواسطة والوسيلة الَّتي نصَّبها الباري (تقدَّس ذكره) ؛ للتَّوسُّل والتَّقرُّب بها إليه (تقدَّس ذكره).

(٢) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ لحقيقة التَّوسُّل نحوين :

أَحدهما : التَّوسُّل إلى الشيء.

الآخر : التَّوسُّل بالشيء.

والتَّوسُّل باللّـه الاسم (جلَّ جلاله) من النَّحو الثَّاني ، والتَّوسُّل باللّـه المُسَمَّىٰ (جلَّ قدسه) من النحو الأَوَّل ، وهو الأَعظم والأَرفع.

ثُمَّ إِنَّ كثيراً من الأَسرار والعطايا العلميَّة والمعرفيَّة والرُّوحيَّة والنَّفسيَّة حصلت لأَصحابها نتيجة التَّأَمُّل والتَّدبُّر والتَّوسُّل والعروج الرُّوحي أَثناء العبادة ـ كالصَّلاة والصيام ، والحج والزيارة ، وقراءة القرآن الكريم ، والصَّدقة وإِعانة الملهوف ـ وهذا نحو عبادة علميَّة ومعرفيَّة تكون النَّفس فيه طيِّعة وغير مُتمرِّدة.

بالوسيلة الإِلٰهيَّة لا يقتصر على طلب قضاء الحوائج وغفران الذُّنوب وقبول التَّوبَة ، بل ولا يقتصر على قبول العبادات والأَعمال ، وإِنَّما عاصم أَيضاً عن الشِّرك ، والتَّعطيل والتَّشبيه ، والغلوّ والتَّقصير سواءٌ أَكان جليّاً أَم خفيّاً ، فالتَّوسُّل مقيم للتَّوحيد ، بل هو أُسُّ الإِيمان والتَّوحيد ؛ فلا يمكن لمخلوقٍ قَطُّ إِقامة وإِتمام أَصل الإِيمان والتَّوحيد إِلَّا به ، ومن ثَمَّ هو في الأَصل ليس بمستحبٍّ ، بل واجبٌ دينيٌّ ، بل ضرورة إِيمانيَّة ودينيَّة ، وهو عبادة معرفيَّة إِلٰهيَّة وعقليَّة ، وجهة وعنوان آخر لنفس مسلك الآية والأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، وبقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ؛ فإِنَّها الطَّريق والصِّراط الفارد لتجنُّب : الشِّرك ، والتَّعطيل والتَّشبيه ، والتَّقصير والغلوّ الجليّ والخفي.

ولَكَ أَنْ تقول : إِنَّه لفرط عظمة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقَدَّسة ؛ وعلّوها وتعاليها وعدم تناهيها ؛ فلا تُقرُّ بالحدود ولا بالنِّهايات والغايات ، فلا يكتنفها شيء ، ولا يُحيط بها أَمر ، ولا يحدُّها مخلوق ، وعندها تتيه العقول وتستخفُّ الحلوم في بحرٍ مواجٍ لا يُدرَك طرفه ولا يبلغُ عمقه ، يغرق فيه السُّبحاء ، ويُحار فيه العلماء ، ويضيق بالسَّامع عرض الفضاء ، أَقتضت الضَّرورة الإِلٰهيَّة لمخلوقات شريفة ؛ بحور زاخرة لا تنزف ، وجبال شامخة لا تُقهر ، ولا يعتورها موت ولا فناء ، ولا زيف ولا تغيير ، ولا كلل ولا فتور ، ولا يعتريها شين ولا يشوبها مين ، خالصة في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة من وجهٍ ، لا يشوبها شوب الإِنا ؛ فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها ، وتلك المخلوقات الشَّريفة هي : (الوسيلة) و (الآية) و (الأَسمآء)

و(الصِّفات) الإلٰهيَّة وبقيَّة مرادفاتها العقليَّة ، وهي طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ النَّاموس الأَنور ، والسِّراج الأَزهر ، والزِّلفة والكوثر ، نور الأَنوار ، ومحلّ سرّ الأَسرار ، وعنصر الأَبرار ، ولسان وبيت الصِّدق ، ومحلّ الرفق ، السِّراج الوهَّاج ، والسَّبيل والمنهاج ، والماء الثجاج، والبحر العجاج، والسَّبيل الأَقوم ، والصِّراط الأَعلم ، والسِّراج لَمن استضاء به ، والمحجَّة العُظمىٰ ، والسَّبيل المفضية لِمَن لزمها النَّجاة ، ولِمَن تقدَّمها غرق في بحر الإِفراط ، ومَنْ تأَخَّر عنها زهق في برِّ التَّفريط ، صاحبة السَّنام الأَعظم ، وطريق الحقّ الأَبلج ، والسَّبيل الَّذي لا يختلج ، والمنهج الحكيم ، والصِّراط القويم ، والقسطاس المُستقيم ، والمنهاج القويم ، والذِّكر الحكيم ، والوجه الكريم ، والنُّور القديم الموصل إِلى النَّعيم المُقيم.

وبالجملة : (الوسيلة الإلٰهيَّة) ـ وهي : طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة ـ لَـمَّا كانت فانية فناء حكاية في الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وخالصة من شوب أَنانيَّة وشائبة الذَّات المخلوقة ، وصارت مظهر وتجلِّي للذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة كانت الباب والطَّريق الحصري الوحيد ، العظيم والخطير ، وصراط اللّٰـه المُستقيم للمعرفة الإلٰهيَّة والتَّوحيد.

إِذَنْ : (التَّوسُّل) عين التَّوحيد ، بل ضرورة التَّوحيد قائمة به.

ومن ثَمَّ صدَّر الباري (جلَّ وتقدَّس) قرآنه الكريم وسوره الشَّريفة بأَعظم آيةٍ ، وهي : آية البسملة ، المصدَّرة بـ : (باء الاستعانة) ، وهذا برهان

وحيانيٌّ دالٌّ على ضرورة وخطر التَّوسُّل بـ : الوسيلة والأَسمآء والأَبواب الإِلٰهيَّة في قوس النزول وقوس الصعود ، والوصول لـ : ساحة قدسه وعزِّه وملكه وملكوته (تقدَّست أَسمآؤه وعظمت آلاؤه).

أَعداء أَهل البيت عليهم السلام

(الجِبْت) نقيض الوسيلة ومرادفاتها الإِلهيَّة العقليَّة

(الجِبْت) قاطع لطريق الوصول لساحة القدس الإِلٰهيَّة

وعلى نقيض التَّوسُّل والوسيلة والآية والصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَة ؛ ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة قام (الجِبْتُ) ـ المُتَمَثِّل بأَعداء أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ـ ؛ فإِنَّه مظهر وتجلِّي الأَنا ، وقاطع لطريق المعرفة والإِيمان والتَّوحيد ، وقاتل لروح التَّفكير الحرّ والبحث العلمي ، والتَّصدِّي[1] للمسؤوليَّة الدِّينيَّة والشَّرعيَّة ، ومُحجِّر للعقول ، ومُميت للحقائق ، وصراط لا يحيد عن الضَّلال والزَّيغ والزَّلل والإِنحراف بجميع أَطواره وأَشكاله وأَنحائه ، المُلقِي بصاحبه في تيه وغياهِب شراك : الشرك ، والتَّعطيل والتَّشبيه ، والغلوّ والتَّقصير الجلي والخفي.

وبالجملة : أَحد أَركان معاني كلمة : (الجِبْت) الدَّقيقة والمُعقَّدة والصعبة والمُهمَّة : لغة القاطع والسَّاد لطَّريق الوصول إِلى اللّـه عزَّوجلَّ ،

---

(١) هذا عطف على كلمة : (التَّفكير) ، فتكون العبارة كالتَّالي : (وقاتل لروح التَّصَدِّي للمسؤوليَّة الدِّينيَّة والشَّرعيَّة).

كمعنىٰ : (جَبّ) أَي : قطع.

ثُمَّ إِنَّ الثابت في منطق بيانات الوحي : أَنَّ دور الجِبْت وآثاره المانعة من الوصول إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة أَخطر من دور الطَّاغوت وآثاره.

وللتَّوضيح أَكثر نقول : إِنَّ هناك عناوين ثلاثة ، وردت في بيانات الوحي ، يجدر صرف النظر إِليها :

أَحدها : عنوان : (الجِبْت) ؛ فإِنَّه يُطلق في بيانات الوحي ويراد منه : صاحب ومؤسس الفتنة ، وقاطع لطريق الهُدَىٰ ؛ بفتنةٍ ونهجٍ مُؤسَّسٍ.

مثاله : المستولي الأَوَّل.

ثانيها : عنوان : (الطَّاغوت) ؛ فإِنَّه يُطلق أَيضاً في بيانات الوحي ويُراد منه : مَنْ كان له دور مؤثِّر في الفتنة ، لكنَّه لا يرتقي ولا يكون بقوَّة تأثير الجِبْت. نعم أَشَدُّ شراسة وطغياناً من الجِبْت في جانب الإِجراء والتنفيذ.

مثاله : المستولي الثَّاني.

ثالثها : عنوان (فرعون) ؛ فإِنَّه يُطلق أَيضاً في بيانات الوحي الإِلٰهيّ ويُراد منه : صاحب المجموعة والمنظومة والنظام الكامل في الظلم والإِضطهاد في جانب التَّطبيق والتَّنفيذ والإِجراء. بل بحسب منطق بيانات الوحي : أَنَّ كُلَّ نظامٍ سياسيٍّ غير قائمٍ على نظم ومنظومة العدل الإِلٰهيّ فهو نظام فرعونيّ.

مثاله : المستولي الثَّالث.

ومن ثَمَّ عبَّرت بيانات أَهل البيت عليهم السلام عن رؤساء قريش ـ الَّذين واجهوا سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، كـ : أَبي جهل ـ بـ : (الفراعنة) ؛ لأَنَّه كان لقريش نظام قَبَلي ، مارس الظلم[1] والاِضْطِهاد في حقِّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ومَنْ والاه[2].

---

(١) **يجدر الإلتفات** : أَنَّ (المظلوميَّة) في منهاج الوحي الإلٰهي ليس معناها : (استضعاف الإنسان لنفسه ، وانكفاءه وانكساره وتخاذله) ـ كما عليه منهج النصرانيَّة المُنحرفة ، وما تُروِّج إليه الثقافة الغربيَّة تحت عنوان : (التَّسامح والتَّساهل) ؛ لضعضعة الشُّعوب المحرومة ـ بل معناه : الإيعاز للمظلوم أَنْ يكون عفوّاً وغفوراً ، وأَنْ لا يستوفي من الظالم ـ إِنْ تمكَّن منه ـ أَكثر من حقِّه.

وهذا المعنىٰ ظهر جليّاً في تعامل أَهل البيت ـ سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت ـ صلوات اللّٰـه عليهم مع مَنْ ظلمهم بعد التمكُّن منه ، والنصوص الوحيانيَّة والتَّأريخيَّة مشحونة بتلك السِّيْرَة فاطرقها تسمع الجواب واضحاً وجليّاً.

(٢) إِنَّ أَعظم ظلم جرىٰ على البشريَّة لا يَكمُن في إِقصاء أَهل البيت عليهم السلام عن الحُكم ودورهم السياسي ؛ وإِقامتهم للعدل الإلٰهيّ بين بني البشر ـ سوآء أَكان عدلًا اقتصاديّاً أَو تجاريّاً أَو أَمنيّاً أَو مجتمعيّاً أَو غيرها ـ بل في إِبعادهم عن أَنْ يكونوا مُعلِّمين وهداة ومربِّين ومزكِّين إِلٰهيِّين للبشريَّة جمعاء.

بعد الإلتفات : أَنَّ المخلوق يصبح حيوان وبهيمة ، بل أَضلّ سبيلاً من دون نور العلم ، فأَعظم شيء في كمال المخلوق تنمية روحه وعقله وقلبه ونوره.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «النَّاس إِثنان : عَالِم ، ومُتَعَلِّم ، وسائر النَّاس هَمَج ، والهَمَج في النَّار». بحار الأَنوار ، ١ : ١٨٧/ ح٣.

والمراد : من (سائر النَّاس) : باقي النَّاس ، باتِّفاق أَهل اللُّغة ، كما في اللِّسان. ←

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[1].

فإنَّه برهان وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ ظاهرة الفرعونيَّة عبارة عن منظومة ونظام[2] يُمارِس الظلم والاِضْطِهاد في جانب التنفيذ والإِجراء ، وهذا بخلاف (الجِبْت) و (الطَّاغوت) ، فإنَّهما ليسا أَصحاب منظومة ونظام ، وإِنَّما دورهما دور فرديّ ، لكن قد يقوما بأَفعال لا تقوم بها منظومة ونظام.

عصارة ما تقدَّم

وعصارة القول : أَنَّ التَّوسُّل بالوسيلة والآية الإِلٰهيَّة ومرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة : عين التَّوحيد ، وأَعظم الفرائض في أَبواب العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة، بل ضرورة المعرفة الإِلٰهيَّة والتَّوحيد قائمة بها ، وجاحدها ، بل الشَّاك فيها مُشرك وكافر بنصِّ بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها :

→ والمراد : من (الهَمَج) ـ بالتَّحريك ـ جمع هَمجَة ، وهي : ذباب صغير كالبعُّوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأَعينها. ذكره الجوهري.

وبالجملة : مقام سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰه عليهم في كونهم مُعلِّمين وهداة ومربِّين ومُزكِّين إِلٰهيِّين أَعظم من مقام الولاية السياسيَّة ، ومقام القيادة والقدرات الماليَّة والعسكرية.

(١) الأعراف : ١٤١.

(٢) وهذا ما أَشار إِليه بيان الآية الكريمة بقوله : ﴿**آل فرعون**﴾.

بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ مخاطباً ابن عبَّاس : «... **يابن عبَّاس ، إِذا أَردت أَنْ تلقىٰ اللّـه وهو عنكَ راضٍ فاسلك طريقة عَلِيّ بن أَبي طالب ، ومل معه حيث مال ، وارضِ به إِماماً ، وعادِ مَنْ عاداه ، ووالِ مَنْ والاه ، يابن عبَّاس احذر أَنْ يدخلكَ شَكّ فيه ، فإِنَّ الشَّكَّ في عَلِيٍّ كفر باللّـه تعالىٰ**»[1].

وقد مرَّ ، بل وسيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) التَّعَرُّض لبعض بيانات الوحي الخارجة من الحصر والإِحصاء الدَّالَّة على أَنَّ أَهل البيت عليهم السلام بطبقات حقائقهم الصَّاعدة هم : الوسيلة والأَسمآء والآيات الإِلٰهيَّة وبقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة.

بل الجاحد أَو الشَّاكَ في التَّوسُّل والوسيلة الإِلٰهيَّة وبقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة يتطاول ويتكبَّر ـ أَعوذ باللّـه تعالىٰ ـ على المقام الإِلٰهيّ ، ويُصغِّر عظمة شأن السَّاحة الإِلٰهيَّة ، ويقطع طريق المعرفة على نفسه ؛ بعد عدم إِتِّجاهه وتوجُّهه واقعاً إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّوجلَّ ـ الحاكي لسجود الملائكة لخليفة اللّـه[2] ، وتكبُّر وجحود إِبليس ـ : ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ *

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٤ : ١٥٧ ـ ١٥٩/ ح١٣٣. أَمالي الشَّيخ : ٦٤ ـ ٦٥. الروضة : ٣٩. الفضائل : ١٧٧ ـ ١٧٨. الخصال ، ١ : ١٤١.

(٢) لعنوان : (خليفة اللّـه) مرادفات إِلٰهيَّة عقليَّة كثيرة ، منها : التجلِّي الأَعظم ، والاسم الأَعظم، والآية الكبرىٰ ، والمرآة الكبرىٰ.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

بعد الإلتفات : أَنَّ هذه الدَّعوة المُوجَّهة للملائكة وإبليس ليس السُّجود لنفس آدم عليه السلام ، بل للأَنوار الحالَّة في صلبه ؛ أَنوار أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **إِنَّ اللّٰـه (تبارك وتعالىٰ) خلق آدم فأَودعنا صلبه ، وأَمر الملائكة بالسُّجود له ؛ تعظيماً لنا وإكراماً ، وكان سجودهم للّٰـه (عزَّوجلَّ) عبوديَّة ، ولآدم إكراماً وطاعةً ؛ لكوننا في صلبه** ...»[2].

ومِنْ ثَمَّ ما عمدته الوهابية والسَّلفيَّة من إِنكار : الوسيلة والآية الإِلٰهيَّة وبقيَّة مرادفاتهما العقليَّة هدم لأُس التَّوحيد ، وتشييد للصنميَّة والشرك ، والتَّعطيل والتَّشبيه ، والغلوّ والتَّقصير الجلي والخفي.

---

(١) صٓ : ٧١ ـ ٧٨.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٦/ ح٥٦. علل الشرائع : ١٣ ـ ١٤. عيون : ١٤٤ ـ ١٤٦.

خروج عن صلب الموضوع

تنبيهات وقضايا

قبل الدخول في استعراض أَدلَّة المسأَلة ؛ الدَّالَّة على ضرورة الوسيلة والآية وبقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة يجدر الإِلتفات إِلى تنبيهات وقضايا ؛ تسهيلاً لهَضَمِ مطالب وبحوث هذه المسألة وغيرها.

التَّنبيه والقضيَّة الأُوْلَى :

الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة

إِنَّ لِحُجِّيَّة الخبر مراتب طوليَّة من عدَّة جهات ، أَهمُّها ثلاثة :

الأُوْلَىٰ : حُجِّيَّة المتن.

الثَّانية : صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب.

الثَّالثة : حُجِّيَّة الطَّريق والسَّند.

ثُمَّ إِنَّ أَعظم مراتب الحُجَج هي : (المُحْكَمَات)[1] ، وهي على مراتب طوليَّة أَيضاً ، أَعلاها ورأس هرمها : أُمُّهات المُحْكَمَات ، ومعناها : المركز

---

(١) المراد من المُحْكمات : القوانين الدستوريَّة المُبَدَّهة.

ثُمَّ إِنَّ مُحْكَمات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة تعني : يقين وحياني.

لكنْ : إِذا دخلت في وعاء المُتلقِّي وكان غير معصومٍ فلا تكون وحياً ولا محكماً ، وحُجِّيَّتها ظنيَّة الدلالة، وإِنْ حصل له القطع واليقين بتلك الدلالة ؛ فإِنَّ هذا القطع واليقين لا يخرج عن حريم الحسِّ ، وهو في عِرضة الخطأ والإِشتباه ، وَمِنْ ثَمَّ تؤول حقيقة هذا القطع واليقين إِلى ظنٍّ ، فالتفت ، وتأَمَّل جيِّداً.

والمُحور والمُهيمن.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (١).

والإِحْكَام المأخوذ في بيان هذه الآية الكريمة وإِنْ كان قد يُفسِّره البعض بإِحْكَام الدلالة ، لكنَّ الحقّ : أَنَّ عظمة إِحْكَام المُحْكَم وعمدته لا تكمن في الدلالة ، وإِنَّما ـ تكمن ـ في جهة المتن والمضمون الحاوي على معلومات ومعادلات علميَّة مُحيطة ومُهيمنة على ما تحتها.

نظيره : العلوم البشريَّة ـ كعلم : الرياضيَّات ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والأَحْيَاء ـ ؛ فإِنَّ فيها معلومات وقواعد ومعادلات علميَّة فوقيَّة، مُحيطة ومُهيمنة على بقيَّة مسائل ومباحث علومها المختصَّة بها ، وتتفرَّع منها تلك المسائل والمباحث وأَبواب العلم.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله عزَّ ذكره : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (٢).

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ على أَنَّ نفس المعلومات والمعادلات العلميَّة

---

(١) آل عمران : ٧.

(٢) المائدة : ٤٨.

والعقليَّة والمعرفيَّة الإِلٰهيَّة المُودعة في بيانات القرآن الكريم لها هيمنة وإِشرَاف وإِحاطة وسَعَة تتخطَّىٰ ما موجود في بقيَّة الكُتُب السَّماويَّة الأُخرىٰ ـ كـ : التوراة ، والإِنجيل ـ [1].

ثُمَّ إِنَّ الإِحْكَام في عَالَمَ المعاني غير الإِحْكَام في عَالَمَ البلاغة والدِّلالة والأَلفاظ. ويحتاج ـ الإِحْكَام في عَالَمَ المعاني ـ إِلى علمٍ وافرٍ. وكُلَّما زاد العلم فيه صعد الفهم في تشخيص المُحْكَم.

إِذَنْ : القرآن الكريم وإِنْ كان جميعه ـ صدوراً وأَلفاظاً ودلالات ـ نوراً وحُجَّة قطعاً ، لكنَّه مع كلِّ ذلك يُحذِّر الباري عزَّوجلَّ من المساواة بين طبقاته ومراتبه ، وإِيَّاكَ أَنْ تأخذ بها بمفردها ، بل بعضها فتْنَوِي وزيغي وهو المُتشابه إِنْ اِتَّبَعَهُ المخلوق بمفرده وبعقله ، أَمَّا إِذا أَخذ به وبالمُحْكَمات تحت رعاية الراسخين في العلم لا بعقله فسيهتدي.

إِذَنْ : مع أَنَّ جميع القرآن الكريم عظيمٌ ونورٌ ومُقَدَّسٌ ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لكن نفس القرآن الكريم يُشير إِلى أَنَّ نظام المعلومات ونظام المعادلات العلميَّة الموجودة فيه ليس على طبقةٍ واحدةٍ في الأَهميَّة والعظمة ، بل على طبقات.

وعلى هذا قس السُّنَّة الشَّريفة ؛ فإِنَّهما يرتضعان من ثدي واحد ، ومن ثَمَّ ورد عن أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم : أَنَّ في أَخبارهم مُحْكَماً

---

(١) معنىٰ كلمة : (التوراة) في اللغة العبريَّة : الشَّريعة.

ومعنىٰ كلمة : (الإِنجيل) في اللغة العبريَّة أَيضاً : البشارة الملكوتيَّة.

ومُتشابهاً، والمُتشابه لا يجوز الأَخذ به إلَّا تحت رعاية المُحْكَمات.

فلاحظ :

بيان الإمام الرَّضا عليه السلام : «**مَنْ رَدَّ مُتشابه القرآن إلى مُحْكَمه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم ، ثُمَّ قال** عليه السلام : **إنَّ في أَخبارنا مُتشابهًا كمتشابه القرآن ، ومُحْكَماً كمُحْكَمْ القرآن ، فردُّوا متشابهها إلى مُحْكَمها ، ولا تَتَّبِعُوا متشابهها دون مُحْكَمها فتضلُّوا**»[١].

حجِّيَّة الخبر

ثُمَّ إنَّ العمدة عندنا وركن أَركان حُجِّيَّة الخبر ؛ والسُّلَّم الَّذي يُرتقىٰ ويُعرج به في عَالَمَ المعاني ـ سوآء أَكان ذلك في علم الفروع أَم في علوم المعارف الإلٰهيَّة[٢] وجملة العلوم الدِّينيَّة والشَّرعيَّة ـ لا يكمن في حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده[٣] وإِنْ كان متواتراً [٤] ؛ ولا في حُجِّيَّة دلالته وإِنْ

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٨٥/ ح٩.

(٢) **يجدر الإلتفات** : أَنَّ المعارف والعقائد الإلٰهيَّة حقائق تكوينيَّة من أَكوان وعوالم غيبيَّة صاعدة.

(٣) ضعف الطَّريق واعتباره لا دخالة له في تحصيل البرهان من المتن والمضمون.

(٤) التَّواتر السندي لا ينفع في أَبحاث العقائد ، لأَنَّه يُورث اليقين الحسِّي ، والمطلوب في أَبحاث العقائد تحصيل اليقين العَقلي ، وفيه ـ اليقين العقلي ـ لا يُفرَّق بين الرواية المتواترة والضعيفة سنداً ، لأَنَّ البيان والبرهان العقلي المُستفاد من المتون والمضامين هو المطلوب في هذه الأَبحاث.
ويُضاف إليه : أَنَّ الخبر المُتواتر سنداً قد يكون متنه ظنِّيّ الدلالة فعاد إلى الظَّنِّ ، وهو لا ينفع في أُسس وأُصول العقائد. فالتفت.
ثُمَّ إنَّه يجب على الَّذي ليس له باع عقلي في أَبحاث العقائد ترك أَبحاث هذا الباب ، ولا يلجه ولا يتصدَّىٰ إليه ، وليترك المجال لمن له الأَهليَّة في ذلك.

كانت صريحة وقطعيَّة ـ فإِنَّ هذه الحُجَج لا تؤمِّن إِلَّا لقلقة الأَلفاظ ، أَمَّا المعاني فلا[١] ـ وإِنَّما يكمن في المتن.

والمراد من حُجِّيَّة المتن ليس حُجِّيَّة الدلالة ، وإِنَّما المراد : نفس نظام المعلومات المودعة في متن الخبر ، فيدرس الفقيه أَو الباحث ذلك المتن والمضمون ـ بغض النَّظر عن الدَّليل ودلالته وصدوره وسنده وجهته ؛ والكتاب الَّذي وَرَدَ فيه المتن والمضمون ـ ويعرضه على مُحْكَمات الكتاب الكريم، ومُحْكَمات السُّنَّة القطعيَّة، ومُحْكَمات وبديهيَّات العقل ، ومُحْكَمات وبديهيَّات الوجدان الَّتي لا يختلف عليها وجدان بشر ، ويوزنه مع منظومة معادلات وقواعد الدِّين والشَّريعة ، فإِذا أَورث له ذلك العرض : القطع واليقين بمطابقة هذا المتن والمضمون لتلك المُحْكَمات كانت حُجِّيَّة ذلك المتن وحيانيَّة ذاتيَّة. وهذا هو أَعظم ميزان وضابطة قُرِّرَت في بيانات الوحي لحُجِّيَّة الخبر.

ثُمَّ إِنَّ صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون ليست من شأن الرواة بما هم رواة ، وإِنَّما هي من شأن الفقهاء المُتضلِّعين في فقه الفروع ، وفي علم الكلام، وعلم العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، وعلم الأَخلاق والآداب[٢]

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ لقلقة ودغدغة المعاني ـ فضلاً عن الحقائق ـ غير لقلقة ودغدغة الأَلسن. وكذا حفظ المعاني فضلاً عن حفظ الحقائق فإِنَّهما غير حفظ الأَصوات.

(٢) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ الأَدب والخُلق وجهان لحقيقة واحدة ، غاية الأَمر : أَنَّ الخُلق هيئة نفسانيَّة ، والأَدب هيئة بدنيَّة ، وبينهما ترابط ؛ فالأَدَب الصَّالح هيئة بدنيَّة نابعة من الخُلق الصَّالح ، والأَدب الطَّالح هيئة بدنيَّة أَيضاً ، لكنَّها نابعة من الخُلق الطَّالح. ←

والنظام الرُّوحي والأَخلاقي والآدابي الدِّيني ، وعلم التَّفسير ، وعلم السِّيَر، وغيرها. بخلاف صحَّة السَّنَد وحُجِّيَّته ؛ فإِنَّه يمكن معرفتها من قِبَلِ عامَّة النَّاس ، وتدور مدار الحافظة ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ، أَمَّا حُجِّيَّة المتن والمضمون فتحتاج إِلى حصول مطابقة ـ المتن والمضمون ـ لأُصول وقواعد الشرع والدِّين ، وهذه ليست من إِختصاص إِلَّا الفقيه المُتضلِّع في شَتَّىٰ العلوم الشرعيَّة والدِّينيَّة ؛ فصحَّة المتن والمضمون لا تدور مدار فقاهة الفقيه فحسب ، بل وتضلُّعه في كافَّة العلوم الشَّرعيَّة والدِّينيَّة.

إِذَنْ : صحَّة المتن والمضمون تتطلّب فقاهة وتضلُّع الفقيه بذلك العلم الَّذي يختصُّ به ذلك المتن والمضمون ، فلو لم يكن للفقيه باعٌ بالعلم الَّذي يختصُّ به المتن والمضمون فَمِنْ أَين يعرف صحَّة وحُجِّيَّة ذلك المتن والمضمون وعدمها.

وهذا بحث تصوِّري وتصديقي لا يتوقَّف على حُجِّيَّة صدور الخبر وسنده.

→ **إِذَنْ** : الفارق بين الآداب والأَخلاق : أَنَّ الأَخلاق هي : الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة ، أَمَّا الآداب فهي : الهيئات البارزة على السلوك العملي الجارحي ، وهي انعكاسات عن تلك الصِّفات والهيئات النفسانيَّة ؛ فهي هيئات عارضة على الأَعمال الجوارحيَّة منبعثة عن الصِّفات والهيئات النَّفسانيَّة.

وبالجملة : الآداب أُمور محسوسة تُرىٰ بالعين المُجرَّدة ؛ كآداب لمائدة والحَمَّام وما شاكلها ، بخلاف الأَخلاق ؛ فإِنَّها لا تُرىٰ ولا تُلمس باليد.

والأَدب إِنْ كان سيئاً يكشف عن خُلقٍ سيء ، والخلق السيء يكشف عن نقصٍ في المعرفة على أَقلِّ تقدير.

وهذه القضيَّة ـ أَي : التعامل مع حُجِّيَّة المتن وعرضه على مُحْكَمَات الشَّرع والدِّين ـ ليست خاصَّة بمدرسة الإِماميَّة ، بل شاملة لكافَّة مدارس ومذاهب المسلمين.

هذا هو المذهب والمنهج العلمي لمشهور طبقات الفقهاء ، ومشهور علماء مدرسة الإِماميَّة ، بل ومدارس العامَّة ، كما نقل ذلك الشَّيخ الأَنصاري في رسائله، ومن أُولئكَ الفقهاء والعلماء : الشَّيخ المفيد ، والسيِّد المرتضىٰ ، وابن البرَّاج ، والحلبيُّون ، والكشي ، وابن الغضائري ـ الابن ـ ، والنجاشي ، وابن إدريس ، وابن زهرة ، والمُحقِّق الحلِّي ، بل والشَّيخ الطُّوسي وإِنْ اختلف مبناه قليلاً.

ويُعبَّر عن هذا المنهج بـ : (دراسة المتن ومحوريَّة المُحْكَمَات).

لكنَّه منهج مهجور ومُغَيَّب في العصر الراهن.

وقد أَطلق الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي عنوان الحشويَّة والقشريَّة على مَنْ يجعل السند والطَّريق الرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر ، لكن هذا لا يعني أَنَّه لا دور للسند والطَّريق في حُجِّيَّة الخبر ، بل له دور لكنَّه ليس هو الرُّكن الرَّكين ، ولا يؤمِّن إِلَّا لقلقة الأَلفاظ ، أَمَّا المعاني فالَّذي يُؤمِّنها ويُؤمِّن الإِنطلاق إِلى العمق هو المتن بتوسُّط أَلفاظ الوحي.

ولك أَنْ تقول : إِنَّ الإِقتصار على النقل منهج المبتدئِين ، وطمع الباحث عن الحقيقة لا يكون إِلَّا في الفهم العقلي بالنَّقل ، والعلم العقلي المُنظَّم للنَّقل ، ولا يتمُّ إِلَّا من خلال البرهان والعلم والنُّور المُستفاد من الإِشارات الإِرشاديَّة للمُقدِّمات العلميَّة اليقينيَّة الموجودة في متون بيانات الوحي الإِلٰهيّ الطَّاهرة الباهرة.

ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعماقها اللامتناهيَّة

قاعدة التَّوقيفيَّة شاملة لكافَّة المعارف الإلهيَّة

معنى قاعدة التَّوقيفيَّة : التَّمسُّك بأَلفاظ الوحي والغور في بحور معانيها

وهناك توصية وردت في بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة ، حاصلها : أَنَّ الباحث والمُستنبط إذا أَراد الاستعصام والتَّخَلُّص من الضَّلال والزيغ والإنحراف فعليه نشب أَظفاره والتَّمَسُّك بكُلِّ ما أُوتي من قوَّة بأَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي ، وإلَّا ـ أَي : إذا استبدل أَلفاظ وعناوين وقوالب بيانات الوحي بألفاظ وعناوين ومصطلحات وقوالب البشر ـ كان في معرض الإرتطام في الضَّلال والزَّيغ والإنحراف.

وهذا أَحد معاني ما ورد عنهم صلوات اللّـه عليهم ؛ عن الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **فواللّـه لنحبّكم أَنْ تقولوا إذا قُلْنا ، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين اللّـه**»(١).

فإنَّه شامل بإطلاقه إضافة إلى معاني بيانات الوحي شامل أَيضاً لأَلفاظها.

إذَنْ : حُجِّيَّة المتن المُنطلِقة من أَلفاظ بيانات الوحي هي الأَساس. **ومعناه** : أَنَّ قاعدة التوقيفيَّة والتَّوقيتيَّة لا تختصُّ بباب الأَسماء والصِّفات الإلٰهيَّة ، بل تشمل كافَّة المعارف الإلٰهيَّة . **لكن** : ليس معنىٰ هذه القاعدة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ٩٥/ ح٣٧.

الجمود على أَلفاظ بيانات الوحي ؛ فإِنَّ ذلك حشويَّة وقشريَّة أَيضاً ، **وإِنَّما معناها** : التَّمسُّك بالقوالب الوحيانيَّة والغور في بحور معانيها المُتلاطمة الطمطامة اللامتناهية ، وهنا تكمن الصعوبة ، وتظهر حذاقة الفقيه المُتضَلِّع، وقوَّة فقاهته.

خلاصة ما تقدَّم

والخلاصة : أَنَّ حُجِّيَّة الخبر عند جلَّ العلماء مُترتِّبة طولاً في مقام الإِستنباط وبالشَّكل التَّالي : أَوَّلاً : حُجِّيَّة المتن والمضمون ، ثُمَّ صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب [1]، ثُمَّ حُجِّيَّة الطَّريق والسند.

وهذه حُجَجٌ طوليَّة ، فإِذا حصل للفقيه المُتضلِّع : القطع واليقين بمطابقة متن الخبر ومضمونه لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة أُخذ به وإِنْ كان ذلك ـ المتن ـ وارداً بخبر ضعيف السند ؛ وذلك للقطع بمطابقة متنه ومضمونه لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة ، وتكون حُجِّيَّته حينئذٍ ذاتية وحيانيَّة ، وهي مُقدَّمة على كافَّة الحُجَج ، نعم إِذا لم يحصل القطع واليقين لدىٰ الفقيه المُتضَلِّع بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمات الدِّين والشَّريعة انتقل إِلى المرتبة الثّانية من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي : صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب الوارد فيه ذلك الخبر ، فإِنْ كان ـ ذلك الخبر ـ وارداً في كتابٍ صحيح وحُجَّة ـ كـ :

---

(١) سيأتي (إِنْ شاء اللّٰـه تعالىٰ) في ختام هذه القضيَّة التَّعَرُّض إِلى هذه الحُجِّيَّة والجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صِحَّة و حُجِّيَّة الكتاب ؛ فانتظر هُنيئة.
ونكتة التَّأخير : كيما لا يحصل تشتيت وتشويش في المطلب.

كتاب الكافي ـ أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه ، وإِلَّا ـ أَي : إِذا لم يكن الكتاب صحيحاً و حُجَّة ـ انتقل ـ الفقيه ـ إِلى المرتبة الثالثة من مراتب حُجِّيَّة الخبر ، وهي حُجِّيَّة سنده ، فإِنْ كان مُعتبراً سنداً أَخذ به وأَفتىٰ على وفقه في فقه الفروع وفي أَبواب المعارف وتفاصيل العقائد ، وإِلَّا ـ أَي : إِنْ لم يكن مُعتبراً سنداً أَيضاً ـ سقط عن الحُجِّيَّة والإِعتبار ، وأَعرض عنه ـ هذا إِنْ لم تكن هناك حُجَجٌ طوليَّةٌ أُخرىٰ يتبنَّاها الفقيه كـ : (حُجِّيَّة عمل الطائفة) ـ نعم ، يُمكن الأَخذ به على نحو المؤيِّد والمُنبِّه على برهانٍ في دليلٍ آخر.

لكن : عكس المعاصرين هذه الحُجَج ، بل جعلوا المجموع في عرضٍ واحدٍ ، بل حصروها في حُجِّيَّة الطَّريق والسند ، وغرابة حصر منهج وطريق المعرفة والإِستنباط بالظَّنِّ التَّعَبُّدي والتواتر الحسِّي واضحة ؛ فإِنَّ الظَّنَّ التَّعَبُّدي النقلي ، بل والتواتر واليقين النقلي لا يزيد عن دائرة إِيجاد العلم واليقين الحسِّي ، ولا يرتقي إِلى العلم واليقين العقلي فضلاً عمَّا فوقه من العلم واليقين الوحياني.

نعم ، لا غنىٰ عن العلم النقلي ، بل لا مجال لإِنكار ضرورته ، لأَنَّه مُقدِّمة لليقين العقلي ولليقين الوحياني الواسع بِسَعَة أُفق الوحي ، ومن ثَمَّ لابُدَّ من الإِبتداء بالعلم النقلي ؛ لتحصيل اليقين العقلي والوحياني ، لكن : العِلم النَّقلي ـ وهو منهج المبتدئين ـ لا يُقتصَر عليه ، وإِنَّما لا بُدَّ من الغور في أَعماق بحور معاني وحقائق بيانات الوحي اللامتناهية ، من خلال التَّدبُّر والتَّأَمُّل العقلي في متون النقول ومضامينها.

إِشكال وجواب

ومنه يتَّضح : حَلّ إِشكال البعض على الشَّيخ الأَنصاري وغيره ممَّن يقول في بحث أُصول الفقه بـ : أَنَّ الخبر حتَّىٰ يصحُّ الأَخذ به في مقام الاستنباط لابُدَّ أَنْ يكون مُعتبراً شرعاً ، لكنَّه في بحث الفقه والتَّوصُّل إِلى النتائج يغفل أَو يتغافل عن هذه القضيّة الَّتي حرَّرها في بحث أُصول الفقه، ويأخذ بالخبر ويُرتِّب عليه الآثار الفقهيَّة وإِنْ كان ضعيفاً سنداً ، فَمَا عدا مِمَّا بدا.

والجواب : أَنَّ الشَّيخ الأَنصاري وإِنْ كان يقول باعتبار حُجِّيَّة سند الخبر ، لكنَّ مبناه ـ كمبنىٰ استاذه صاحب الجواهر وغيره هو ـ مبنىٰ مشهور المُتقدِّمين القائلين بهذه الحُجَج الطوليَّة ، فإِنَّه وإِنْ قرَّر الفقيه في بحث الأُصول : أَنَّ الخبر لا يصحُّ الأَخذ به إِلَّا إِذا كان مُعتبراً سنداً ، لكنَّه في بحث الفقه ومقام الاستنباط أَوَّل ما يُلاحظ الفقيه من المُتقدِّمين المتن والمضمون ، ويعرضه على مُحْكَمَات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث له ذلك العرض القطع واليقين بمطابقة ذلك المتن والمضمون لِمُحْكَمَات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذاتيَّة إِمَّا عقليَّة أَو وحيانيَّة ، ووجب الأَخذ به وترتيب الآثار الشَّرعيَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة عليه وإِن كان ضعيفاً وغير مُعتبرٍ سنداً ؛ لأَنَّ حُجِّيَّة واعتبار سند الخبر تأتي في مرتبة مُتأَخِّرة طوليَّة ثالثة؛ لم تصل إِليها حاجة الفقيه بحسب الفرض. نعم ، إِذا لم يحصل له القطع واليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لِمُحْكَمَات الثقلين التجأ إِلى

الجهة التالية من جهات الحُجِّيَّة ، وهي صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب ، فإِنْ كان وارداً في كتابٍ صحيحٍ ومعتبرٍ عند الإِماميَّة ـ كـ : كتاب الكافي ـ أَخذ به ، وإِلَّا صار أَمر الفقيه إِلى الجهة الثالثة من جهات الحُجِّيَّة ، وهي حُجِّيَّة السند، فإِنْ كان مُعتبراً بحسب مبانيه الرجاليَّة أَخذ به ، وإِلَّا فلا. هذا إِنْ لم يَقُل بغير هذه الحُجَج الثلاث ؛ كحُجِّيَّة: (عمل الطائفة) ، وإِلَّا التجأ إِليها ؛ وصحَّح الخبر على وفقها إِنْ أَمكن.

المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة

مراد الفقهاء من صحَّة وحُجِّيَّة الكتاب

إِنَّ أَحد معاني صحَّة الكتاب واعتباره ليس ما توهَّمه الإِخباريون وبنىٰ عليه السيِّد الخوئي في كامل الزيارات وتفسير القُمِّيّ ، بل وبنىٰ عليه أستاذه الميرزا النائيني في حقِّ كتاب الكافي تبعاً لأُستاذه الميرزا النوري ؛ وأَنَّ كُلَّ ما موجود فيه قطعي الصدور أَو ظَنِّي الصدور بالظَّنِّ المُعتبر ، فإِنَّ هذه صحَّة مُحدِّثين ، وليست صحَّة فقهاء ؛ وإِنَّما المراد من صحَّة الفقهاء : ما ذكره الشَّيخ الكليني في أَوَّل الكافي ، وما ذكره الصدوق في أَوَّل الفقيه ، وما ذكره محمَّد بن الحسن الأَشعري في كفاية الأَثر ، وما ذكره الشَّيخ الطوسي في أَوَّل التَّهذيب ، وهو : أَنَّ مُصَنِّف الكتاب يتعهَّد بجميع ما وضعه في كتابه من روايات ـ بقطع النظر عن صدورها وسندها ـ أَنَّ متونها ومضامينها لا تُناقض ولا تُخالِف ضرورة من ضروريَّات الدِّين والكتاب والسُّنَّة ، ولا تُخالِف مُحكَماتها، وهذه الصحَّة أَعظم فقاهة من مسلك صحَّة

الطريق ؛ فإِنَّه مسلك حشوي ؛ إِذْ الإِقتصار على صحَّة الطريق من دون النظر إِلى متن ومضمون الرواية ـ كما يقول الشَّيخ المفيد والمُحقِّق الحلِّي ـ حشويَّة وقشريَّة ليست للفقهاء مسلكاً ، فإِنَّ مسلكهم يعتمد على فهم المتون والمضامين : فهل هي مناقضة ومخالفة لضروريَّات ومُحْكَمَات الدِّين والشِّريعة ، أَو أَنَّها مطابقة ولم تخالف القوانين الدستوريَّة العقائديَّة والمعرفيَّة في الدِّين ؛ أَو القوانين الدستوريَّة الثابتة في الفقه.

نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة :

وصارت حُجِّيَّة المتن والمضمون مُقدَّمة على حُجِّيَّة السند ؛ وذلك لأَنَّ حُجِّيَّة المتن والمضمون تتمُّ من خلال عرض المتن والمضمون على مُحْكَمَات الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة ، فإِذا أَورث ذلك العرض للفقيه القطع واليقين بمطابقته لتلك المُحْكَمَات كانت هذه الجهة ـ أَي : الجهة الأُولىٰ والثانية ـ من جهات الحُجِّيَّة مُقدَّمة على الجهة الثالثة وهي حُجِّيَّة السند وإِنْ كان الخبر متواتراً سنداً ؛ لأَنَّ هذا العرض إِنْ ولَّد للفقيه أَو لمُصنِّف الكتاب ـ كالكليني ـ القطع واليقين بمطابقة الخبر لمُحْكَمَات الثقلين كانت حُجِّيَّة ذلك اليقين ـ لدىٰ الفقيه أَو المُصنِّف ـ ذاتيَّة عقليَّة أَو وحيانيَّة ، وهي مُقدَّمة على حُجِّيَّة اليقين الحسِّي المستفاد من التواتر السندي فضلاً عن حُجِّيَّة الظن المُعتبر ؛ لأَنَّ التواتر السندي فضلاً عن الظَّنِّ السندي المُعتبر لا يُؤمِّن اليقين بمطابقة متن ومضمون الخبر لمُحْكَمَات الثقلين ، وإِلَّا كانت حُجِّيَّة الخبر ذاتيَّة ـ وحيانيَّة أَكانت أَم عقليَّة ـ ومن الجهة الأُولىٰ أَو الثانية.

وتأَخَّرت الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة عن الجهة الأُولىٰ ؛ وذلك لأَنَّ الَّذي يقوم بعمليَّة عرض المتن والمضمون في الجهة الأُولىٰ نفس الفقيه المُتصدِّي لعمليَّة الإستنباط وتحصيل النتائج ، بخلاف الجهة الثَّانية من جهات الحُجِّيَّة ؛ فإِنَّ الَّذي يتصدَّىٰ لهذا العرض مُصنِّف الكتاب كالكليني، وهو بحسب الفرض من ثِقات وكُبَّار علماء الإِماميَّة ، فاعتمدت هذه الجهة على خبر الثقة.

وتقدَّمت الجهة الثانية على الثالثة مع أَنَّ المُعتَمَد عليه في كليهما خبر الثقة ؛ بل في الثالثة قد يُعتَمَد على التواتر الحسِّي ؛ وذلك : أَنَّ مُصنِّف الكتاب ناظر إِلى متن ومضمون الخبر ـ كما تقدَّم ـ ؛ وأَنَّه مقطوع بمطابقته لمُحْكَمَات الثقلين ، بخلافه في الجهة الثالثة ؛ فإِنَّ النظر يكون إِلى السند بقطع النظر عن مطابقة مضمون الخبر للمُحْكَمَات وعدمها.

وبالجملة : دراسة متون الأَحاديث ومضامينها أَعظم : دراسة علميَّة صناعيَّة اجتهاديَّة ، بل بها تُقام دراسة الأَسانيد والطرق لا العكس. وهذا أَمرٌ مهمٌّ ، ومن ثَمَّ من يكون لديه باع في علوم المعارف يتمكَّن من تشخيص عن بصيرةٍ واجتهادٍ المنحرف من الرواة من غيره ، وذلك من خلال مطابقة مضامين ما ينقله مع مُحْكَمَات الثقلين وعدمها. ومن ثَمَّ كان مبنىٰ النجاشي والغضائري المُتشدِّد : أَنَّ صحَّة الكتاب المرتبطة بالمضمون أَعظم من صحَّة الطَّريق ، وهذا يتَّضح من خلال مراجعة جرحهما وتعديلهما.

وهذه الأُمور لابُدَّ للباحث أَنْ يجدها بنفسه ، فعليه التتبُّع والتنقيب والإِجتهاد عن دراية وبصيرة ، فَمَنْ كان يُريد مراجعة كتاب النجاشي ـ مثلاً ـ فعليه أَنْ لا يُلاحظ النتائج الصَّادرة من مُصنِّفه من جرح وتعديل وما شاكلها ؛ لأَنَّ الأَخذ بها تقليد له ، وإِنَّما عليه قراءة النظام والصرح العلمي في مبناه ومساره العلمي ، وحينئذٍ تكون ـ تلك المراجعة ـ مراجعة علميَّة نافعة. وعلى هذا قس العمل مع كتاب الفهرست للشَّيخ الطوسي ، وكتاب رجال : (البرقي) ، و (العقيقي) ، و (ابن الغضائري) ؛ لمعرفة مبانيهم ومساراتهم العلميَّة ، وليست آرائهم وفتاويهم النهائيَّة.

إِذَنْ : علم الرجال علم مضامين ، وليس علم نقول.

وبالجملة : ليس مراد الكليني في الكافي ولا ابن قولويه في كامل الزيارات ولا الأَشعري في كفاية الأَثر ، ولا الصدوق في الفقيه ولا الطوسي في التهذيب من صحَّة الكتاب صحَّة الصدور ـ فإِنَّ بعض رواياتهم في تلك الكُتُب مراسيل ومقطوعات ومرفوعات ـ ، وإِنَّما مرادهم : صحَّة وحُجِّيَّة المتن والمضمون، وأَنَّه ليس في روايات تلك الكُتُب ما يُناقض أَو يُخالف ضروريَّات ومُحْكَمَات الدِّين والشَّريعة. فحينما يروي ـ مثلاً ـ الكليني والصدوق ، عن أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه : «... **إِنَّ نور أَبي يوم القيامة يُطفئ أَنوار الخلائق إِلَّا خمسة أَنوار : نور مُحَمَّد** ﷺ **ونوري**[1] **ونور**

---

(١) في رواية الشَّيخ بعد قوله : «ونوري» «ونور فاطمة». وعلى هذا فالخمسة إِمَّا مبنيّ على اتِّحاد نورَي مُحَمَّد وعَلِيّ صلوات اللّٰـه عليهما ، أَو اتِّحاد نورَي الحسنين عليهما السلام ؛ بقرينة عدم توسُّط النور في البين ، ويُحتمل أَنْ يكون قوله : «ونور تسعة» معطوفاً على الخمسة. (بحار الأَنوار).

الحسن والحسين ، ونور تسعة من ولد الحسين ؛ فإنَّ نوره من نورنا الَّذي خلقه اللّـه تعالىٰ قبل أَنْ يخلق آدم بألفي عام»[1] ، فإنَّ مُرادهما : أَنَّ مضمون هذا الحديث ـ بغض النظر عن اعتبار سنده وصحَّة صدوره ـ لا يتصادم ولا يخالف مُحْكَمات الدِّين والشَّريعة والكتاب والسُّنَّة ويوافق خطوطها العامَّة.

إِذَنْ : منهج ومسلك الفقهاء في المقام يختلف عن منهج ومسلك المُحدِّثين ، ومن ثَمَّ الَّذي يرفع علامة صحَّة الصدور من دون أَنْ يهتم بالمضمون فمنهجه ومسلكه ليس منهج ومسلك فقهاء الإِماميَّة ، وإِنَّما منهج ومسلك المُحدِّثين.

ومنه يتَّضح : أَنَّ زعماء اتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام كالكليني والصدوق والمفيد والمرتضىٰ والطوسي حينما يودعون كُتُبهم روايات عن أَفراد أَصحاب الدائرة الإِصطِفائيَّة الثانية لأَهل البيت عليهم السلام فهذا يُدلِّل على أَنَّهم يفهمون : أَنَّ لأَصحاب هذه الدائرة شأن كبير ، وعلاوة في الإِصطِفاء.

أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث

وتشير إِلى ترتُّب وتراتب هذه المراحل وجهات الحُجِّيَّة الثلاث بيانات الوحي الوافرة ، منها :

١ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥: ٦٩/ ح٣. أَمالي الشَّيخ : ١٩٢. الإِحتجاج : ١٢٢.

﴿مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (١)(٢).

فـ : (التلاوة) ـ المُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ ـ : إِشارة إِلى العلم النَّقلي الحسِّي ، وهو مُقدِّمة.

وضرورة (التَّعَلُّم) ـ المُشار إِليها في بيان قوله تقدَّس ذكره: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾(٣) ـ : إِشارة إِلى الفهم العقلي لموارد الوحي ؛ لتحصيل العلم واليقين والبرهان الوحياني ، وهو ذو المُقدِّمة والغاية الأَسْمَىٰ ، الَّذي هو فحوىٰ مفاد المُعجزة.

---

(١) الجمعة : ٢.

(٢) **يجدر الإلتفات** :أَنَّه يجب على مَنْ يُريد استيضاح بيانات أَهل البيت عليهم السلام المُفسِّرة لآية من آيات القرآن الكريم فلا يخدعنَّه الفحص بمراجعة تفسير أَو تفسيرين ، بل عليه التَّيقُّظ والتَّفطُّن إِلى موارد وجود هذه الآية بأَلفاظها أَو بما يُقارب أَلفاظها ومعانيها في بيانات الوحي الأُخرىٰ ، وعليه أَيضاً أَنْ لا يُراجع مصدراً واحداً من مصادر التَّفسير ، بل عِدَّة مصادر.

وبالجملة : باب الفحص والتَّنقيب العلمي باب واسع وشاسع جِدّاً ، ومن ثَمَّ لا ينخدع الباحث بدرجةٍ من الفحص والتنقيب ، ولا بدرجةٍ من التَّفكير والتَّأمُّل ، وإِذا ظَنَّ أَن ما توصَّل إِليه هو الذروة ورأس الهرم فليعلم أَنَّه أَرتطم بغفلة شنيعة وجهالة كبيرة ؛ فإِنَّ ما توصَّل إِليه بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة لا بُدَّ أَنْ يكون متناهياً ومحدوداً ، ومعاني وحقائق بيانات الوحي لا متناهية ولا محدودة أَبداً بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة أَيضاً ، ولا توجد نِسبة رياضيَّة بين المحدود واللامحدود ؛ فإِنَّه دائماً إِذا قيس المحدود إِلى اللامحدود كان لا شيء وصفراً على جهة الشِّمال ، وإِلَّا لانقلبت ماهيَّة اللامحدود وكانت متناهية ، وبطلان انقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل هو خُلف الفرض.

(٣) الطريقة التعليميَّة السَّارية عليها بيانات الوحي في إِيصال المعلومة للطرف هي : التَّدرُّج في التَّعليم وعلى مراحل.

فانظر :

بيان قوله عزَّ قوله : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١)(٢).

ودلالته واضحة على أَنَّ المعاجز ـ كمعجزة القرآن الكريم ، وهي الأَعظم ـ ، بل والكرامات الإِلٰهيَّة تُورِث لِـمَنْ تأَثَّر بها : العلم واليقين والبرهان الوحياني.

وبالجملة : أَحد تعاريف المُعجزة : أَنَّها عبارة عن بزوغ وبروز لمعان أَشعَّة أَنوار غيبيَّة مهولة ؛ إِمَّا في القُدرة ، أَو في آيةِ كمالٍ غيبيٍّ رهيبٍ ، تنتشل بسرعة مَنْ يرىٰ من خلالها لمعان أَنوارِ غيبٍ عظيمةٍ ، ومن ثَمَّ تحصل له حالة إِخبات دفعيّ قهريّ ، تتضعضع له أَعماق ذاته وكافَّة قواه ؛ فيسجد لباعثها تذلُّلاً ، كما حصل ذلك لسحرة بني إِسرائيل.

فانظر :

بيان قوله تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا

---

(١) القصص : ٣١ ـ ٣٢.

(٢) **لا بأس بالإلتفات** : أَنَّه لا توجد لقطة في القرآن الكريم إِلَّا وتصبّ في ذكر اللّٰه تقدَّس ذكره وخشيته وخشوعه.

﴿إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وهذه نفس فائدة البرهان ؛ فإِنَّه يُخرج الطرف من ساحة الفكر إِلى تجلِّيات في الفطرة ، فإِذا شاهد العظمة خبت.

إِذَنْ : المعجزة الإِلٰهيَّة خطاب إِلهيّ مباشر ؛ ومن دون واسطة من اللّٰـه عزَّوجلَّ مع خلقه.

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٢)(٣).

---

(١) الشعراء : ٤١ ـ ٥١.

(٢) التوبة : ١٢٢.

(٣) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ القرآن الكريم هو : دستور اللّٰـه الخالد ، لكنَّ دستوريَّته وخلوده ومُؤدَّاه وفائدته وخطره وعلومه وعقائده ومعارفه لا تختصُّ في هذه النَّشأَة الأَرضيَّة ، ولا يُخاطب به ←

فـ : (النفر) : إِشارة إِلى مرحلة الرُّواية ؛ والنقل الحسِّيّ ؛ وهو مُقدِّمة.

و (التَّفقُّه) ـ المُشار إِليه في بيان قوله جلَّ قوله : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ ـ وهو: الفهم[1]: إِشارة إِلى الفهم العقلي لمضامين متون بيانات الوحي في المرحلة الثانية ، وهو: ذو المُقدِّمة ؛ والغاية الأَسْمَىٰ ؛ المُشار إِليها بلام الغاية : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾[2].

→ الجنّ والإِنس فحسب ، بل شاملة لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات ؛ لأَنَّه من الدِّين ، وهو شامل للجميع ، ومِنْ ثَمَّ خطاباته الواردة بلسان : «يا أَيُّها الَّذين آمنوا» شاملةٌ لكافَّة المؤمنين ، منهم : جملة الملائكة عليهم السلام ، فلذا ورد في بيانات الوحي : «**أَنَّ الملائكة ، منهم المُقَرَّبين ـ كـ : جبرئيل وإِسرافيل وميكائيل عليهم السلام ـ حينما ينزل وحي القرآن الكريم على سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله يتعلَّمون منه صلى الله عليه وآله ذلك القرآن المُنَزَّل**».

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ (الفهم) : أَمرٌ غيبيٌّ ، صادر من عوالم غيبيَّة صاعدة ، تتحكَّم فيها طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، ومرتبتها فوق عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، وهي فوق عَالَمَ السَّماوات السَّبع بعوالم ومراتب ، والكلُّ من عوالم الأَجسام.

(٢) **يجدر الإِلتفات** في المقام إِلى الأُمور الأَربعة التَّالية :

الأَوَّل : أَنَّ المعرفة الإِلٰهيَّة ناموس مُقدَّس ، والسعي إِليها ناموس مُقَدَّس أَيضاً يقضُّ مضجع فِطَر المخلوقات.

الثَّاني : أَنَّ أَعظم نِعَم اللّٰه الواردة في بيان قوله تعالٰى : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] النعم المعرفيَّة والمعنويَّة ، وليست البدنيَّة.

الثَّالث : أَنَّ أخطر قلعة يغير عليها العدو : قلعة الفكر والرؤية العقائديَّة ؛ فإِنَّ أَمكنه زحزحة المخلوق عن الورع في العقيدة فسوف يتنجَّس باطنه وظاهره بكُلِّ نجاسةٍ ورجاسةٍ. ثُمَّ إِنَّ أَطهر الطهارات في التَّعَقُّل.

الرابع : أَنَّ التكليف في العوالم اللاحقة لا ينقطع ، بل يزداد ويشتدُّ ، وهو شامل لكافَّة المخلوقات.

٣ـ بيان قوله جلَّ جلاله : ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(١) .

وتقريب الدلالة واضح ؛ فإنَّه مع عدم تماميَّة السَّند ونسبة الصُّدور ـ إذ بحسب ما فرضه بيان الآية الكريمة أنَّه خبر فاسق ـ ، ومع عدم صحَّة طرحه ، أَو الأَخذ به بعناية هناك مسلك ثالث أَوصىٰ به بيان الآية الكريمة وأَوجبه ، وهو : (فحص المتن والمضمون ، والتَّبيُّن منه).

وهذه التَّوصية الوحيانيَّة دالَّة على أَنَّ الأَساس والعُمدة والرُّكن الرَّكين في حُجِّيَّة الخبر والأَخذ والعمل به هو : (تبيُّن المتن والمضمون).

نعم ، السَّند المُعتبر معاضد لحُجِّيَّة الخبر ، لكنَّ الرُّكن الرَّكين والعُمدة فيها هو : (حُجِّيَّة المتن والمضمون).

٤ـ بيان قوله جلَّ وعلا : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٢) .

ودلالته واضحة ؛ فإنَّ مضمونه نفس مضمون بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**خُذِ الحِكْمَةَ مِمَّن أَتاك بها ، وانظر إِلى ما قال ، ولا تنظر إِلى مَنْ قال**»(٣) ؛ فإنَّ الأَساس ينبغي أَنْ يكون النَّظر إِلى المتن والمضمون.

٥ـ بيان قوله علا ذكره : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ

---

(١) الحجرات : ٦.

(٢) الزمر : ١٧ ـ ١٨.

(٣) غرر الحكمة ، ١ : ٣٩٤. ميزان الحكمة ، ٦ : ٤٨٥. كنزل العمَّال / ٤٢٢١٨.

﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾(١).

فإنَّه برهانٌ وحيانيٌّ دالٌّ أَيضاً على أَنَّ المركز وقطب مرجعيَّة الفقيه والباحث والمُستنبِط وطالب الحقيقة ينبغي أَنْ يكون نظره إِلى المتن والمضمون ؛ فإِنَّ المُحكمات صارت كذلك ليس من جهة سندها وصدورها، وإِنَّما من جهة متنها ومضمونها.

وهذا البيان الوحيانيُّ من البيانات والبراهين القرآنيَّة العظيمة المُبيِّنة لهذا المنهج المعرفيّ الخطير والدالَّة عليه.

٦ـ بيان خطبة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**نضّر اللّـه ، عبداً سمع مقالتي فوعاها ؛ وبلّغها مَنْ لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه ، وكم من حامل فقه إِلى من هو أَفقه منه ...**»(٢).

٧ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**همَّة السفهاء الرواية ، وهمَّة العلماء الدراية**»(٣).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ؛ فإِنَّ المراد من عنوان : (السُّفهاء) المأخوذ في هذا البيان الإِلٰهيّ الشَّريف : مَنْ يتعامل مع بيانات الوحي بسطحيَّة وعدم رشد ، وعدم غور ، فيقتصر على صدور الرُّواية وأَلفاظها.

---

(١) آل عمران : ٧.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٤٨/ ح٢٢.

(٣) المصدر نفسه : ١٦٠/ ح١٣.

٨ ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**عليكم بالدرايات لا بالروايات**»[١].

٩ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**اعقلوا الخبر إِذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإِنَّ رواة العلم كثير ورعاته قليل**»[٢].

١٠ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وتركَكَ حديثاً لم تروه خير من روايتكَ حديثاً لم تحصه ، إِنَّ على كُلِّ حَقٍّ حقيقة ، وعلى كُلِّ صوابٍ نوراً ، فما وافق كتاب اللّـه فخذوا به وما خالف كتاب اللّـه فدعوه**» [٣].

١١ـ بيان الإِمام الباقر مُخاطباً ولده الإِمام الصَّادق عليهما السلام : « **يا بُنَيَّ ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم ؛ فإِنَّ المعرفة هي الدراية للرُّواية ، وبالدرايات للرُّوايات يعلو المؤمن إِلى أَقصى درجات الإِيمان ، إِنِّي نظرتُ في كتابٍ لِعَلِيٍّ عليه السلام فوجدتُ في الكتاب : أَنَّ قيمة كُلّ امرئٍ وقدره معرفته ، إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ يُحاسب النَّاس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدُّنيا**»[٤].

١٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل ، فكم من مستنصحٍ للحديث مستغش للكتاب ، والعلماءُ تحزنهم الدراية ،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٦٠/ ح١٢.

(٢) المصدر نفسه : ١٦١/ ح٢١.

(٣) المصدر نفسه : ١٦٥/ ح٢٥.

(٤) المصدر نفسه : ١٨٤/ ح٤.

والجهَّال تحزنهم الرواية»[1].

١٣ـ بيانه عليه السلام أيضاً : «**حديث تدريه خير من ألفٍ ترويه ، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتَّىٰ يعرف معاريض كلامنا ...**»[2].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة على ضرورة الدراية بمتن ومضمون الرُّواية ، وعدم صحَّة واعتبار وحُجِّيَّة منهج الإِقتصار على مُجَرَّد الرُّواية.

التنبيه والقضيَّة الثانية :

الإِستدلال بالخبر الواحد في أَبواب العقائد

إِنَّ كلمة العلماء اتَّفقت على عدم كفاية الاستدلال بالخبر الواحد المُعتبر في الدوائر المركزيَّة وأُصول وضروريَّات وأُسس الدِّين والعقائد ، وإِنَّما لابُدَّ أَنْ تكون مبنيَّة على البراهين والقطع واليقين ؛ وحيانيٌّ أَكان ذلك القطع واليقين أَم عقليٌّ.

نعم وقع الخلاف في التفاصيل ؛ فذهب أَكثر المُحقِّقين من فقهاء الشيعة وفلاسفة ومُتكلِّمين وذوي العلوم المُختلفة ـ كما نقل ذلك الكثير ، منهم : الشَّيخ الأَنصاري ـ : إِلى صحَّة التَّمسُّك بالخبر المُعتبر في تفاصيل العقائد.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٦١/ح١٤.

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤/ح٥.

ومن القائلين بذلك : الخواجة نصير الدِّين الطوسي[١]، والشَّيخ محمَّد حسين الأَصفهاني الكمباني[٢].

التنبيه والقضيَّة الثالثة :

لغات ترجمة وقراءة معارف الوحي بقدر تعدُّد العلوم

هناك قاعدة مُهمَّة جِدّاً ، ينبغي الإِلتفات إِليها بِيَقَظَةٍ ، واستذكارها مراراً ، حاصلها : أَنَّ ترجمة وقراءة أُصول وأَبواب العقائد والمعارف الحقَّة يجب أَنْ تكون بلغات مُتعدِّدة ؛ فإِنَّ لكلِّ علمٍ لغته الخاصَّة به ؛ يمكن من خلالها إِيصال المعلومة الحقَّة إِلى مُختلف شرائح البشر ؛ عبر جودة انتخاب اللُّغة العلميَّة المناسبة للطرف ؛ مع حفظ ثوابت الحقائق.

فإِيصالها للمُتخصِّص بعلم القانون ـ مثلاً ـ ينبغي أَنْ يكون بلغة علم القانون ، وإِلَّا فلغة علم الكلام وما شاكلها قد تكون بالنِّسْبَة إِليه لغة مُشَفَّرة لا يلتفت من خلالها إِلى المُراد ، وحينئذٍ لا يستجيب للطَّرح ، وذلك لم يكن ناشئاً من عناده وجحوده ، بل لإِبهام اللُّغة المُستعملة ، فالحزارة لم تكن في البيان اللساني ، وإِنَّما في بيان اللُّغَة العلميَّة. وهذا ما يكون غالباً هو السبب المانع من انتشار نور الدِّين والإِيمان وحقائق الثقلين.

وهذا الأَمر يأتي أَيضاً في تربية الإِنسان لأُسرته ، بل ولنفسه ؛ فلرُبَما

---

(١) مُتكلِّم ، لكنَّه في الأَصل من الفلاسفة اللامعين.

(٢) فقيه ، وأُصولي ، وفيلسوف.

تستعصي عليه نفسه في جانب ما فيأخذها بلغةٍ وبرنامجٍ علميٍّ آخر ؛ أَسهل في تطويعها وترويضها وتربيتها من اللُّغة والبرنامج السَّابق.

فلسفة استخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام لعلم الفنِّ والجمال

وهذا ما يوضِّح : نكتة وفلسفة استخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام وتوظيفه لعلم الفنِ والجمالِ المُحلَّل ؛ للدعوة إلى التَّوحيد.

وهذا أَمر بديع كشفت عنه بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ شأنه المُقتصّ لخبره عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فإِنَّه برهانٌ وحيانيٌّ ، وأَصلٌّ قرآنيٌّ مُشرِّع لجواز استعمال الفنّ والجمال في الدَّعوة الإِلٰهيَّة.

ومعناه : أَنَّ نشر الدَّعوة إِلى الحقِّ لا يتوقَّف على البرهان العقلي والفكر الجاف ، بل أَدقُّ المعاني المُعقَّدة والصعبة يمكن تسويقها في أَذهان ونفوس وأَرواح البشر لإِيجاد الجذبات المعنويَّة في دخيلة ذواتهم ؛ بتوسُّط لغة الفن والجمال ؛ ولعلَّ بلقيس لم تستجب لِلُغة البرهان العقلي كما استجابت للغة الفنّ والجمال ؛ نتيجة أَنَّها صاحبة فنون وسلطان وإِمكانيَّات

(١) النمل : ٤٤.

دولة ، فلمست من خلال إِمكانيات دولة النَّبيّ سليمان عليه السلام ؛ ومهاراتها الخارجة عن مِكنة وقدرة دولة البشر : التَّوحيد ، لكن لا بلغة البرهان العقلي واللُّغة الفكريَّة ؛ والدَّليل الفلسفي والكلامي والعرفاني ، وإِنَّما ـ لمسته ـ من خلال لغة : (علم الفن والمهارات والجمال).

وهذا ما يُوضِّح : نكتة تعدُّد معاجز الأَنبياء والرُّسل عليهم السلام ؛ في السِّحر، والطب ، والنحت ، والفنِّ ، والبلاغة ، وهلَّمَ جرّاً.

وهذا ما نفتقده بشكلٍ استراتيجي كبير في الدَّعوة إِلى هدي نور الثقلين؛ فنحن أَتباع أَهل البيت عليهم السلام لم نستخدم الفنّ والجمال في جانبه المُحلَّل لجهة الخير والصلاح كما استخدمه أَعدائهم عليهم السلام لجهة الشرّ والفساد ونشر الرذيلة ، ومن ثَمَّ كانت شعوب كثير من البلدان الإِسلاميَّة قبل فترة موالية لأَهل البيت عليهم السلام ، لكن الوهابيَّة وعِبر فنّ وجمال قراءة القرآن الكريم وجماليَّة صوت ترتيله وتجويده قلبت ولائهم إِلى عداء لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

ولك أَنْ تقول : هناك معارف وعقائد ولطائف توحيديَّة عظيمة جِدّاً؛ أَصحرت بها بيانات الوحي من خلال لغة القصص وما شاكلها من بقيَّة اللُّغات ، ولم تُبيِّنها بلغة البرهان العقلي ، أَو بلغة الحكمة والأَحكام ، ومن ثَمَّ لا يظنّ الباحث أَنَّ تراث وبيانات الثقلين تُبيَّن من خلال قالب تعليميّ فارد؛ وهو قالب البرهان العقلي ، فلذا ذكر جملة من المُحَقِّقين البارعين في علم التَّفسير وبقيَّة علوم المعارف : أَنَّ بيانات الثقلين تصحر بمعارف

عظيمة ومهولة جِدّاً في التَّوحيد بلغة الدُّعاء ؛ فإنَّه أَحد اللُّغات والأَساليب البيانيَّة التعليميَّة ، الَّتي لا تقتصر على قالب : الحكمة والبرهان العقلي ، بل لها عدَّة قوالب ، منها : القصص ـ كما تقدَّم ـ ، والأَمثال ، والزيارات ، والأَذكار ، والخطابة ، والمواعظ ، والجدل ، والمغالطة ، والشعر ، والزجر ، والطلب ، والسنن ، والآداب ، والأَحكام ، والتأريخ ، والتصوير والتمثيل والتخييل ؛ لأنَّ طبيعة قوالب بيانات المعارف الإلٰهيَّة مُتداخلة وبأَثواب مُتعدِّدة.

إذَنْ : في جملة العلوم يقين عقلي ، لكنَّه لا ينحصر بالبرهان العقلي ـ خلافاً لِـمَا ادَّعاه أَرسطو ، وابن سينا ، وبقيَّة فلاسفة المشاء وفَلاسفة الإشراق ـ ، فلا ينحصر البرهان بعلم الفلسفة ، ولا بِعلم الكلام ، ولا بعلم العرفان ، وإنَّما يعمُّ كافَّة العلوم ، ومن ثَمَّ يحصل لكثير من نوابغة علم الفيزياء وعلم الكيمياء ، وغيرهم من نوابغة بقيَّة العلوم مُشاهدات عظيمة، وحالات انبهار معنوي ، رهيبة تُضعضع ذواتهم ونفوسهم ، ويشتدُّ بسببها خضوعهم وخشوعهم لساحة القدس الإلٰهيَّة ، ويدركون ببركتها براهين عقليَّة وعلميَّة قد لا تحصل لفيلسوفٍ أَو مُتكلِّمٍ أَو عارفٍ ما ، تكشف عن مدىٰ هول وعظمة السَّاحة الإلٰهيَّة وأَفعالها[1].

إذَنْ : البراهين والشُّهود والمُشاهدات لا تختصُّ بعلم الفلسفة وعلم

---

(١) الحكمة الإلٰهيَّة ـ الإلٰهيَّات بالمعنىٰ الأَعم ـ ، وهي : الخطوط العامَّة للأُلوهيَّة والرؤية العقائديَّة والمعرفيَّة بتسالم جميع أَصحاب العلوم هي أَساس إنطلاق جملة العلوم.

الكلام وعلم العرفان ، بل تشمل جميع العلوم.

وعليه : فرُبَما يُثبِت الفيزيائي : التَّوحيد وبقيَّة مباحث وحقائق أَبواب العقائد والمعارف كالنُّبُوَّة والإِمامة والمعاد بعلم الفيزياء. وهذا أَمر دارج ومعروف.

التنبيه والقضيَّة الرَّابعة :

المانع من اعتناق دين الله وشرعه

الحاجز عن السير على نهج أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّ سبب عدم اعتناق البشريَّة لأَفكار خارطة المستقبل الإِلٰهيَّة ، المشار إِليها في بيان قوله تعالىٰ : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[1]، وهي عقيدة الثقلَين ـ أَهلَ البيت عليهم السلام والقرآن الكريم ـ : الأَمراض النفسيَّة ـ كالحسد لأَهل البيت عليهم السلام ـ والشَّهوات ؛ فالأَزمة ليست في الفكر والإِدراك والمنطق والتَّعَقُّل ، وإِنَّما في الأَصل أَزمة روحيَّة وأَزمة طغيان الأَمراض النَّفسيَّة والشَّهوات والنزوات ، وهذا ما يشير إِليه بيان قوله تعالىٰ : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[2]، فإِنَّه لم يقل : «ادع إِلى سبيل ربك بالبرهان» وإِنَّما قال : «بالموعظة» ، وهذه إِشارة إِلى أَنَّ الأَزمة الَّتي تمرُّ بها البشريَّة ليست منحصرة بالبرهان والفكر ، وإِنَّما في الأَمراض النفسيَّة

---

(١) الصف : ٩.

(٢) النحل : ١٢٥.

وطغيان الشَّهوات ـ كـ : شهوة : البطن والفرج وحبّ الرياسة والشُّهرة والبذخ واللباس والزينة ـ والَّذي يداوي ويُعالج الأَمراض النَّفسيَّة والشَّهوات ليست لغة البرهان ، بل لغة الموعظة.

التنبيه والقضيَّة الخامسة :

عموم الفتن والإمتحانات الإلهيَّة لجملة عوالم المخلوق

إزدياد شدَّة ودقَّة الفتن والإمتحانات بتصاعد عوالم المخلوق

الثَّابت في بيانات البراهين الوحيانيَّة : أَنَّ الفتن والإمتحانات والإختبارات الإلٰهيَّة لبني البشر ؛ معرفيَّة وعقائديَّة أَكانت أَم غيرها ـ والَّتي أَشارت إليها بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيانات قوله تعالىٰ : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٢] ـ لا تختصُّ بعَالَم الدُّنيا الأُولىٰ وهذه النَّشْأَة الأَرضيَّة ، بل تأتي في جملة العوالم المارُّ بها الإنسان ، منها : ما تقدَّم ، وما سيأتي ـ كـ : عَالَم البرزخ، وعَالَم الرَّجعة ، وعَالَم القيامة ، وعَالَم الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ـ ، والنكتة واضحة ؛ فإنَّه لا يوجد هناك عَالَم ولا توجد نشأة وبقعة في عَالَم الإمكان والوجود والحقيقة خالية من الدِّين ، بل في تلك العوالم تكون

---

(١) العنكبوت : ٢.

(٢) الإنشقاق : ٦.

الفتن والإمتحانات والإختبارات الإلٰهيَّة لاسيما المعرفيَّة والعقائديَّة سيما المُختصَّة بمعرفة أَهل البيت عليهم السلام أَشدَّ وأَطَمّ ، ومن ثَمَّ عُبِّرَ عن عَالَمنا هذا بـ : (المهد) ، ومعناه : أَنَّ ما يحصل فيه من فتنٍ وامتحاناتٍ واختباراتٍ إبتدائيَّة ؛ كامتحانات واختبارات أَطفال الروضة.

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي ، منها :

بيان خطبة أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه : «... **فإِنَّ اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل**»[1].

فقوله عليه السلام : «**فإِنَّ اليوم عمل ولا حساب**» ، يعني : أُخروي أَبدي محسوم وصارم ، وإِلَّا فالحساب الدُّنيوي في نشأتنا هذه موجود ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ، منها : بيان قوله علا ذكره : ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾[2].

وقوله عليه السلام : «**وغداً حساب ولا عمل**» ، يعني : ولا عمل ذو مهلة ومُتيسِّر بسهولة ؛ فالعمل في العوالم والنَّشَآة التَّالية في قوس الصعود موجود ، لكنَّه يمتاز بسرعة الحساب والجزاء ، وبصعوبة الإِيجاد ، وقلَّة النتاج والثمار بالقياس إِلى عَالَمنا ونشأتنا هذه ، وكأَنَّ العمل ممتنع الإِيجاد ، ففي عَالَم البرزخ الصَّاعد ـ مثلاً ـ يوجد عمل للمكلَّف ، لكنَّه يمتاز عن أَعمال المُكلَّف في نشأتنا وعَالَمنا هذا : أَنَّه يحتاج إِيجاده من المُكلَّف إِلى كُلفة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٧٤ : ٤١٧/ح٣٩. إرشاد المفيد : ١١٣.

(٢) الشورىٰ : ٣٠.

وطاقة شديدة وقويَّة ، ومع هذا يتَّصف بقلَّة النتاج والثمار والجزاء ، عكس نشأتنا هذه ، فمُجمل أَعمالنا لا تحتاج إِلى تلك الكُلفة والشِّدَّة والقوَّة ، ومع هذا يكون نتاجها وثمارها وجزائها عظيم جدّاً ، فيحصل العبد ـ مثلاً ـ في عَالَم البرزخ نتيجة قطع آلاف الكيلو مترات على ثمارٍ قليلةٍ ونتاجٍ وجزاءٍ قليلٍ ، وكأَنَّه إِذا قيس إِلى أَفعال عَالَمنا ونشأتنا هذه لا شيء ، فإِنَّ العبد في عَالَمنا هذا ونشأتنا هذه يحصل إِذا مشىٰ خطوة واحدة لزيارة أَهل البيت عليهم السلام على ثمار عظيمة ، ونتاج وجزاء مهول وخطير جِدّاً.

إِذَنْ : يبقىٰ العبد في تلك العوالم مواظباً على عمله لأَحقابٍ ومِئات السنين ليحصل على فوائد ونتاج سنة واحدة من عمل عَالَمنا هذا.

التنبيه والقضيَّة السَّادسة :

اقتناص منظومة العقائد والمعارف لا يتمُّ إِلَّا من مجموع المصادر

هناك الكثير من المؤمنين ، بل من أَهل الفضل والفضيلة والإِجتهاد والتَّحقيق والتَّحصيل يعيشون في غفلة عميقة جِدّاً عن منظومة العقائد الإِيمانيَّة ؛ فإِنَّهم رُبَما يتخيَّلون إِمكان إِقتناصها من مصدر أَو مصدرين أَو ثلاثة ـ كـ : كتاب التَّجريد وشرحه ، وكتاب الباب الحادي عشر ، وكتاب عقائد الإِماميَّة ـ ، لكنَّها : غفلة بعيدة عن الحقيقة ؛ فإِنَّ ما كتبه الأَعلام بالضرورة ليس كمال وتمام بناء مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ؛ لأَنَّها بحور خضم زاخرة ، طمطامة لا متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور ؛ فتكون خارجة عن

مكنة إِستيعاب جملة المخلوقات.

وعليه : فلا يمكن حصر المسار الرسمي لمدرسة أَتباع أَهل البيت عليهم السلام إِلَّا بمجموع أَجيال علماء الإِماميَّة ـ فقهاء وفلاسفة ومُتكلِّمين وأَهل المعرفة ومُفسِّرين ورجاليِّين وغيرهم ـ منذُ عصر النصُّ والتَّشريع إِلى يومنا هذا ، ومن ثَمَّ لا يُمكن تلخيص واختصار مدرسة الإِماميَّة (أَعزَّهم اللّٰـه تعالىٰ) بشخصيَّة مُعيَّنة من علماء الإِماميَّة وفي أَيِّ مجالٍ كان ـ كالشَّيخ الطُّوسيّ والنَّجاشي[1] ـ ولا بجيلٍ ولا بأَجيالٍ مُتعدِّدةٍ ، فيُخطئ مَنْ يتوهَّم خلاف ذلك ، ويكون بعيداً عن الحقيقة والصَّواب ؛ وصاحب منهجاً منكوساً.

وبالجملة : مدرسة الإِماميَّة لا تتمثَّل إِلَّا بمجموع علماء الإِماميَّة عبر كافَّة الأَجيال.

وهذه ليست عاطفة ودغدغة أَحاسيس ، وإِنَّما قضيَّة لبيان واقع.

---

(١) ذهب البعض إِلى أَنَّ النجاشي أَقوىٰ علماء الإِماميَّة في علم الرِّجَال.

والحقّ : أَنَّه وإِنْ كان كذلك في علم الأَنساب والتَّراجم والتأريخ وعلم الأَسمآء والكُنىٰ ، لكنَّه ليس كذلك في علم العقائد ؛ والَّذي هو أَخطر وأَهمّ العلوم لتنقيح المُفردات الرجاليَّة وتوثيق الرُّواة ، فإِنَّه قطرة في بحر الشَّيخ الطوسي ، ومن ثَمَّ لا يُعتَمَد على جرحه وتعديله.

ثُمَّ إِنَّ مَنْ لم يلتفت إِلى هذه القضيَّة فسيجني على تراث الوحي ، وعلى باب الجرح والتَّعديل عند الإِماميَّة وغيرهم ، فالتفت.

التنبيه والقضيَّة السَّابعة :

قصور التصانيف من شمول جملة علومها

جملة العلوم والمعارف مُودعة في البديهيَّات

فتقُ غير المعصوم للبديهيَّات لا يكون إلَّا بالتَّدريج

هناك كثير من المتواترات والمُبدَّهات والضروريَّات الثَّابتة في بيانات الوحي ؛ والبديهيَّات[1] والضروريَّات الثابتة إرتكازاً عند المسلمين فضلاً عن المؤمنين مغفول عنها تفصيلاً في كُتُب العقائد والمعارف والكلام وكلمات الأَعلام ، ومن ثَمَّ يحتاج فتقها وبلورتها إلى تنامي في العقل البشري.

وهذه القضيَّة لا تختصُّ بالعلوم الدينيَّة ، بل تشمل أَيضاً جملة العلوم البشريَّة ، ومن ثَمَّ ذهب المناطقة والفلاسفة والمُتكلِّمون وذوي المعرفة والعقليَّات إلى أَنَّ جملة العلوم ومسائل العلم والمعرفة مُودعة في البديهيَّات ، لكنَّها تحتاج إلى مَنْ يُفكِّكها ويخرج لباب دررها. فاللّٰـه عزَّوجلَّ والمعصوم عليه السلام لهما القدرة على تفكيكها من دون تدريج ، بخلاف بقيَّة البشر؛ فإنَّ لهم القدرة على تفكيكها ، لكن بشكلٍ تدريجي جيلاً بعد جيل.

---

(١) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ تبدُّه مباحث التَّوحيد والنُّبوَّة والوحي والإمامة والمعاد وبقيَّة أَبواب المعارف الإلٰهيَّة مبتنية على التنزيل والتدريج ، بل قابليَّة وطبيعة الإنسان ، بل وطبيعة عَالَمَ الدُّنيا مبتنية على ذلك.

وهذه نكتة مُهمَّة.

وعليه : فلا يُستَغْرَب وصول جيل من علماء المسلمين إِلى حقائق في الدِّين ـ إِستناداً للضروريَّات والبديهيَّات والمتواترات ـ غفلت عنها أَجيال المُتقدِّمين ، مع أَنَّها واقعة بين أَيديهم ، لكنَّهم لم يلتفتوا إِليها ومن ثَمَّ غفلوا عن فتقها وبلورتها.

الفارق بين البِدْعَة والتَّحقيق والتَّجديد

وهذه القضيَّة ليست من البِدْعَة في شيءٍ ، بل تحقيقٌ وتجديدٌ في الدِّين. بعد الإِلتفات : أَنَّ الفاصل والفارق بين التَّحقيق والبِدْعَة يكمن في : أَنَّ النتائج الَّتي يتوصَّل إِليها الباحث عبر التَّحقيق تكون على وفق الموازين العلميَّة ؛ وإِنْ كانت موازين ظنيَّة فضلاً عن الضَّروريَّة والبديهيَّة والمتواترة. بخلاف البِدْعَة ؛ فإِنَّها لا تكون على وفق الموازين العلميَّة.

وهذا بحثٌ مُهمٌّ ، وجدليَّة ولغط دائر بين الأَصالة والتَّجديد ، فالأَصالة إِذا كانت بمعنىٰ عدم فتق علوم وحقائق الدِّين فهذه أَصالة مذمومة جامدة. أَمَّا إِذا كانت بمعنىٰ : أَنَّ كُلَّ نتيجة يُتوصَّل إِليها ـ سوآء أَكانت ظنيَّة معتبرة أَو يقينيَّة وقطعيَّة ـ لابُدَّ أَنْ تكون على وفق ثوابت وضروريَّات وبديهيَّات ومتواترات الدِّين والشَّريعة ـ والمُعبَّر عنها : بـ : (العرض على الكتاب الكريم والسُّنَّة الشَّريفة) ـ فهذه أَصالة حيَّة ونشطة.

وعليه : فالتَّجديد : إِنْ كان يتوافق مع بديهيَّات وضروريَّات

ومتواترات الدِّين والشَّريعة فهذا تجديد يتوافق ويتطابق ويتعانق مع الأَصالة. وإِنْ كان ـ التَّجديد ـ يصطكُّ ويتدافع ويتنافىٰ مع بديهيَّات وضروريَّات ومتواترات الدِّين والشَّريعة فهذا هو البِدْعَة.

وهذه نكاتٌ ونتفٌ منهجيَّة ، يجب الإِلتفات إِليها ، والتَّعامل معها في البحوث العقائديَّة والمعرفيَّة والعلميَّة.

التنبيه والقضيَّة الثَّامنة :

لا تناهي الحقيقة

عدم وقوف المعارف والعقائد الإِلهيَّة عند حدٍّ مُعيَّن

إِنَّ معرفة العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة في جملة أَبوابها لا تقف بالضرورة أَبداً عند مرتبة مُعيَّنة. وهذا لا يعني سفسطة وتشكيك في الحقيقة ، وإِنَّما يعني: لا تناهي الحقيقة ، ومن ثَمَّ أَقرَّت البشريَّة بوجدانها : أَنَّ مسيرة العلم لا تقف أَبداً عند حدٍّ مُعيَّنٍ ؛ ولا يُسَدُّ بابها في يوم ما. وهذا لا يعني التَّشكيك في بديهيَّات العلوم والحقائق المُكتشفة ، وإِنَّما يعني : أَنَّ الحقيقة الماديَّة في بُعدها الفيزيائي ـ مثلاً ـ لا متناهية بالقياس إِلى الإِمكانيَّات والقدرات البشريَّة.

ومنه يتَّضح : مدىٰ فساد دعوىٰ مَنْ يدَّعي : أَنَّه لا تقولوا ما لم يقله الأَوائل.

ويتَّضح أَيضاً : أَنَّ التفاوت في درجات ومراتب الكمال نسبيَّة في

الحقيقة ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ؛ وتعني : سعة مراتب الحقيقة ، بخلاف النِّسبيَّة المطروحة في المدارس الماديَّة والسفسطيَّة ؛ فإِنَّها تعني : المزج بين الحقيقة والباطل ، وهذه نسبيَّة تشكيكيَّة.

التنبيه والقضيَّة التَّاسعة :

خطورة آثار الهويَّة العقائديَّة

تلوِّن الأَخلاق والآداب والفضائل بتلوِّن العقائد

إِنَّ أَكبر مُجنِّد وأَكبر مُسخِّر للمخلوق على الإِطلاق : الهويَّة العقائديَّة ؛ فإِنَّها تُجنِّد جملة طبقات المخلوق.

إِذَنْ : العقيدة أَكبر ميزان لتجنيد المخلوقات وانتماءاتها إِلى أَيِّ مسيرٍ كان.

ومنه يتَّضح : أَنَّ فلسفة جمال الأَخلاق وحسن الفضائل لا تكون إِلَّا بتوسُّط العقائد الحقَّة.

إِذَنْ : جمال الفضائل في الأَخلاق والأَعمال مُترشِّح من جمال العقيدة.

التنبيه والقضيَّة العاشرة :

العقيدة رؤية عامَّة لجميع الأَزمان

للعقيدة تداعيات وأَمواج خطيرة على أَوضاع المخلوق

العقيدة أَمرٌ مصيريٌّ

إِنَّ العقيدة ليست تُراث لتأريخٍ مضىٰ ، وإِنَّما هي رؤية لحاضر راهن

ولمُستقبل واعد ، فهي رؤية عامَّة تختصُّ وتشمل الوضع الراهن والمُستقبل الواعد والمُستقبل البعيد المدىٰ الآتي ، ومن ثَمَّ تكون لها تداعيات خطيرة وأَمواج كبيرة على وضع المخلوق الراهن وعلى وضعه في المُستقبل ؛ فلذا العقيدة ليست أَمراً خياريّاً وندبيّاً ، بل أَمرٌ مصيريٌّ.

وهذه القضيَّة يجب الإلتفات إليها في جملة العقائد والمعارف ، لاسيما في أَساسيَّات وأُصول العقائد ، كالإعتقاد بأَهل البيت صلوات اللّٰه عليهم، لاسيما طبقات حقائقهم الصَّاعدة.

التنبيه والقضيَّة الحادية عشرة:

حقيقة الدِّين

الدِّين شامل لجملة العوالم وكافَّة المخلوقات

إنَّ الدِّين عبارة عن منظومة ونظام تَحَكُّم ، راسم للعلاقة بين الخالق عزَّوجلَّ وجملة المخلوقات ، ومن ثَمَّ لا يختصُّ بِعَالَمٍ مُعيَّنٍ ، ولا ببعض المخلوقات ـ كالجنِّ والإنسِ ـ ، بل شامل للجميع.

بخلاف الشَّريعة ؛ فإنَّها مُختصَّة بِعَالَمِ الدُّنيا وبالثقلين ـ الجن والإنس ـ.

لكن : كثير من أَصحاب كُتُب : التَّفاسير ، وعلم : الفقه والكلام وغيرها يخلطون بين الدِّين والشَّريعة[1].

---

(١) الفارق بين الدِّين والشَّريعة : أَنَّ الدِّين يُطلق ويُراد به مجموع العقائد ، وأَركان الفروع ، وأُصول الأَخلاق والآداب ، وأُصول الواجبات والمُحرَّمات ، وهو شامل لكافَّة العوالم ولجملة المخلوقات ، ومن ثَمَّ يكون دين الأَنبياء عليهم السلام واحداً لدىٰ الجميع. ←

إِذَنْ : الدِّين بمنظومته ومعارفه وعقائده لا يختصُّ بِعَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ، بل يشمل جملة العوالم والنَّشَآة ، وكافَّة المخلوقات ؛ لكونه الرابطة بين الخالق عزَّوجلَّ وجميع المخلوقات. وحيث إِنَّ ولاية وإِمامة أَهل البيت عليهم السلام من الدِّين ، بل من أُصوله وأُسسه وأَركانه كانت شاملة لكلِّ العوالم وجملة المخلوقات ؛ من بداية الخلقة والوجود إِلى ما لا نهاية له.

التنبيه والقضيَّة الثانية عشرة:

إِستحالة استقصاء خرائط عَالَم المخلوقات الواردة في بيانات الوحي

إِنَّ فهرست خرائط عَالَم المخلوقات الواردة في بيانات أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم مهولة وعظيمة ومفزعة جِدّاً ، بل لا يمكن لمخلوق ما استقصائها ؛ لأَنَّها وحي مُعجز. وهذه حقيقة تطفح لمن يستيقظ بحاسته العقليَّة والذوقيَّة.

التنبيه والقضيَّة الثَّالثة عشرة:

دين اللّه لا يُصَاب بالعقول

إِنَّ التَّفسير الدارج للقاعدة والمقولة الوحيانيَّة العظيمة الواردة في بيانات الوحي ، منها : بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام : «**إِنَّ دين اللّـه لا**

← بخلاف الشَّريعة ؛ فإِنَّها تُطلق ويُراد بها : تفاصيل الفروع ، وهي مُختصَّة بالإِنس والجنِّ ، وبِعَالَم الدُّنيا بِنَشَآتِه الثَّلاث ـ عَالَم الدُّنيا الأُولىٰ ، وعَالَم البرزخ ، وَعَالَم آخرة الدُّنيا (الرَّجعة) ـ ، ولِكُلِّ نبيٍّ شريعته الخاصَّة.

يُصاب بالعقول ... ولا يُصَاب إِلَّا بالتَّسليم ، فَمَنْ سَلَّمَ لنا سَلِم ، وَمَنْ اهتدىٰ بنا هُدي ، وَمَنْ دان بالقياس والرأي هَلَك ، وَمَنْ وجد في نفسه شيئاً مِمَّا نقوله أَو نقضي به حرجاً كفر بالَّذي أَنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم»[1] من اختصاصها بتشريعات الفروع ليس بسديدٍ ؛ فإِنَّها شاملة أَيضاً، بل أَبرز مصاديقها : أُصول الدِّين وبقيَّة العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، وشاملة أَيضاً لأَحكام الأَخلاق والآداب والسنن والأَعمال والحالات والرياضات الرُّوحيَّة والنَّفسيَّة.

والنكتة واضحة ؛ فإِنَّ العقل بمفرده يتيه في هذه المباحث والأَبواب ؛ لكونها خارجة عن حريمه وعالمه وحدوده ومكنته ، فلا بُدَّ له من الاهتداء ببيانات الوحي ، بل كلَّما ارتقت وتصاعدت معاني وحقائق أُصول الدِّين والعقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، ومعاني وحقائق الأَخلاق والآداب والسُّنن ؛ والأَعمال والحالات والرياضات الروحيَّة والنَّفسيَّة ، ومعاني وحقائق فروع الدِّين كُلَّما ازدادت الحاجة أَكثر إِلى هدي بيانات الوحي.

وبالجملة : الجزء الأَعظم من الدِّين وعمدته يكمن في العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ، فيكون التَّفسير المناسب لهذه القاعدة : أَنَّ جملة دين اللّٰـه وشرعه لا يُصَاب بالعقول. ومعناه : أَنَّه لا يُمكن استبداد عقول البشر وذواتهم وقواهم الإِدراكيَّة مهما عَلَت وارتقت من الوصول إِلى حقائق العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة ؛ لأَنَّها موجودات نوريَّة حيَّة شاعرة ، من عوالم

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ٣٠٣/ ح٤١.

نوريَّة صاعدة ، فوق عَالَم العقل وعوالم طبقات حقائق ذوات البشر وأَرواحهم الصَّاعدة.

لكن : هذا لا يعني تشطيب لدور العقل وإِقصائه ، كيف وهو والمُخاطب الأَوَّل بالدِّين.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**لَـمَّا خَلَقَ اللّٰـهُ العقلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قال له: أَقْبِل ، فَأَقْبَل ، ثُمَّ قال له : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ . ثُمَّ قال : وعِزَّتِي وجَلَالي ، مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هو أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ، ولا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيْمَنْ أُحِبُّ ، أَمَا إِنِّي إِيّاك آمُرُ، وإِيَّاكَ أَنْهىٰ ، وَإِيّاكَ أُعَاقِب ، وَإِيّاكَ أُثِيبُ**»[1].

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**... إِنَّ اللّٰـهَ عزَّوجلَّ خَلَقَ العقل ، وهو أَوَّلُ خَلْقٍ من الرُّوحَانِّيينَ عن يمين العرش من نورهِ ، فقال له : أَدْبِرْ ، فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبِل ، فَأَقْبَل ، فقالَ اللّٰـه تبارَكَ وتعالىٰ : خَلَقْتُكَ خَلْقاً عَظِيماً ، وكرَّمْتُكَ على جميع خلقي ...**»[2].

وإِنَّما يعني : عدم صحَّة استبداد العقل في إِقامة أَقيسة الاستدلال في أَبواب العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة وفروع الدِّين لاستكشاف الحقيقة ، فدين اللّٰـه وشرعه لا يُصَاب بانفراد وتفرُّد العقل.

---

(١) أصول الكافي ، ١ : ١١/ ح١.

(٢) المصدر نفسه : ١٧/ ح٤.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن الحسن بن عَمَّار ، قال : «... **قِيْلَ له : فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال : إِنَّ العاقل لدلالة عقله الَّذي جعلهُ اللّـه قِوَامَهُ وزينته وهدايته ، عَلِمَ أَنَّ اللّـه هو الحقُّ ، وأَنَّه هو رَبُّهُ ، وعَلِمَ أَنَّ لخالقه مَحَبَّةً ، وأَنَّ له كراهية ، وَأَنَّ له طاعةً ، وأَنَّ له معصيةً ، فلم يجد عقلهُ يَدُلُّهُ على ذلك ، وَعَلِمَ أَنَّه لا يُوصَلُ إِليه إِلَّا بالعلم وطلبه ، وأَنَّه لا يَنْتَفِعُ بعقله إِنْ لم يُصِبْ ذلك بعلمه ، فوَجَب على العاقل طلب العلم والأَدَبِ الَّذي لا قوامَ له إِلَّا به**»[١].

٢ـ بيان الإِمام موسىٰ الكاظم عليه السلام : «... **نَصْبُ الحقِّ لطاعة اللّـه ، ولا نجاة إِلَّا بالطَّاعة ، والطَّاعة بالعِلْم ، والعِلْمُ بالتَّعَلُّم ، والتَّعَلُّمُ بالعقل يُعْتَقَدُ ، ولا عِلْمَ إِلَّا من عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ ، ومعرِفَةُ العلم بالعقل ...**»[٢].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

وعلى هذا قس أَشباه ونظائر هذا البيان الوحيانيّ الشَّريف[٣]، كبيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **والسُّنَّة إِذا قيست محق الدِّين**»[٤].

---

(١) أصول الكافي ، ١ : ٢٢/ ح٣٤.

(٢) المصدر نفسه : ١٣/ ح١٢.

(٣) المراد من البيان الوحياني : ما تقدَّم في صدر المبحث ، وهو : بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام : «**إِنَّ دين اللّـه لا يُصاب بالعقول ...**».

(٤) وسائل الشيعة ، ٢٩ : ٣٥٢/ ح١. الكافي ، ٧ : ٢٩٩/ ح٦.

ومن ثَمَّ إذا أَراد أَصحاب جملة المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ فلاسفة أَو عرفاء أَكانوا أَم غيرهم ـ الوصول إِلى جواهر ودرر ولباب العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة بعقولهم وفلسفتهم وعرفانهم وما شاكلها بمنأىٰ عن بيانات الوحي فهذه حوالة على مُفلِّس ؛ ولن يصلوا أَبداً ، والواقع الخارجي يشهد عليهم ـ نتيجة هذا السلوك ـ بإخفاقات حصلت لهم في لبِّ لباب التَّوحيد فضلاً عن غيره ، ومن ثَمَّ وقعوا في شراك الشرك والكفر الخفي ، المشمول بقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1] .

نعم ، لا بأس بتجنيد جهود أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ونتاجاتهم لقراءة بيانات وعلوم ومعارف الوحي الإِلٰهيّ.

ومنه يتَّضح : مدىٰ ضحالة ما يقوم به أَصحاب المذاهب والمدارس المعرفيَّة ؛ فإِنَّهم يأتون بأَقوالٍ وآراءٍ وفتاوىٰ علماء البشر لتوسعة أُفق البحث العقائدي والمعرفي ، ويعرضون عن ما يأتي به كُمَّل المخلوقات : رسل الغيب ورجالات الوحي ـ رأس هرمهم أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم ـ ، فأَيُّ تعصُّبٍ أَعمىٰ هذا.

بعد الإِلتفات : أَنَّ عقول كُمَّل المخلوقات فوق عقول بقيَّة البشر.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : « **... ولا بَعَثَ اللّٰـهُ نبيّاً وَلَا رَسُولاً حتَّىٰ**

---

(١) يوسف : ١٠٦.

يستكمِل العقل ، ويكون عقلُهُ أَفضل مِنْ جميع عُقُول أُمَّتِهِ»[١].

ثانياً : بيانه ﷺ ، مُنْضَمّاً إِليه بيان الإِمام الصادق عليه السلام ، قال : «**مَا كلَّمَ رسولُ اللّـه ﷺ العِبَادَ بِكُنْه عَقْلِهِ قَطُّ**». وقَالَ : قَالَ رسولُ اللّـهِ ﷺ : «**إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنبياء أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ على قَدْرِ عُقُولِـهِمْ**»[٢].

ودلالتهما واضحة.

إِذَنْ : الوحي لا يدعو إِلى عدم تحكيم العقل ، ولا يدعو إِلى قراءة الوحي بلغة حسيَّة أَو لغة عاطفيَّة ، وإِنَّما يدعو إِلى قراءة وفهم بيانات الوحي العقائديَّة والمعرفيَّة وقراءة بقيَّة الحقائق بلغة وبراهين عقليَّة ، لكن من خلال الخوض في نتاج بحور بيانات الوحي الطمطامة اللامتناهية وهدايتها.

ولَكَ أَنْ تقول : على الباحث والمُسْتَنْبِط للنتائج في أَبواب العقائد والمعارف الإِلٰهيَّة كما يقرأ كلام علماء البشر بقراءة عقليَّة عميقة عليه أَنْ يقرأ أَيضاً كلام الوحي بقراءة عقليَّة عميقة ، ويكون التَّعامل على وفق قاعدة : «أُنظر إِلى ما قيل ولا تنظر إِلى مَنْ قال» ، وكما يعكف الباحث الدَّهر كُلّه على قراءة كلام فيلسوفٍ أَو عارفٍ بشريٍّ فليعكف أَيضاً الدَّهر كُلّه على قراءة بيانات الوحي.

والغريب أَنَّ الكثير من الفلاسفة والعرفاء إِذا طُلب منهم ذلك

---

(١) أُصول الكافي ، ١ : ١٢/ ح١١.

(٢) المصدر نفسه : ١٩/ ح١٥.

أَجابوا: أَنَّ ذلك مسلكٌ إِخباريٌّ حشويٌّ قشريٌّ ، لكن نقول له : مَنْ قال لكَ اِقرأ بيانات الوحي بقراءة حشويَّة قشريَّة ، ولا تغوص في أَعماق بحور معاني وحقائق كلمات الوحي ، بل عمدة التَّعَبُّد هو : «التَّعَقُّل» ، لكن برافد وعين الوحي النوريَّة.

وهذه المُؤاخذة لا تُسجَّل على الفلاسفة والعرفاء حسب ، بل على كُلِّ مَنْ لم يجعل الأَربعة عشر معصوماً عليهم السلام هم المدار ، وهذا نحو صنميَّة تقف أَمام الوحي لتعطيله.

التنبيه والقضيَّة الرابعة عشرة:

أَبواب المعارف الإِلهيَّة قائمة في الحقائق

إِنَّ أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة عبارة عن جرعات مُنَبِّهَة عن سكر المجاز ؛ والعَود إِلى الحقيقة ، فالتَّوسُّل والدُّعاء والطَّلَب والصَّلاة وما شاكلها من العبادات لا تدور حقيقتها مدار الجوارح كاللسان ، بل مدار القلب وأَعماق الرُّوح والجوانح والجَنَان ، ومن ثَمَّ مَنْ يتوسَّل ويُصلِّي ويدعو ويتعبَّد وقلبه ساهٍ فليس بمتوسِّلٍ ولا مصلٍّ ولا داعٍ ولا مُتعبِّدٍ حقيقة ، بل مجازاً ، فإِنَّ حقيقة العبادة قائمة بالخضوع والخنوع القلبي ، وليس البدني.

التنبيه والقضيَّة الخامسة عشرة:

دور الإِصطلاحات في أَبحاث المعارف الإِلهيَّة

إِنَّ أَبواب المعارف الإِلٰهيَّة وبحوثها المعرفيَّة ليست قائمةٍ على

الاصطلاحات بقدر ما هي قائمة على الحقائق وتُميِّزها عن غيرها.

نعم التَّعَرُّض إلى المُصطلحات ضرورة لبيان المطالب ، وإيصال معارف بيانات الوحي إلى الطّبَقَة المُثقَّفة ، وأَوساط بيئيَّة بشريَّة لم تعتنق ديننا ومدرسة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

التنبيه والقضيَّة السَّادسة عشرة:

ينبغي الإلتفات : في البحوث المعرفيَّة وغيرها إلى الأَمرين التَّاليين :

خطورة التَّصَوُّر

الأَوَّل : أَنَّ بداية كُلّ الإنزلاقات تنطلق من غفلة تصوُّريَّة ، فرغم سهولة التَّصَوُّر ، لكنَّه مُؤثِّر جِدّاً.

التَّصديقُ العفوي حالة مرضيَّة

الثَّاني : أَنَّ التَّصديق العفوي الإسترسالي : حالة مرضيَّة حمقيَّة ؛ تُصيب الإنسان كحال (الرِّيبة) ؛ فإنَّها حالة أَيضاً مرضيَّة جهاليَّة حمقيَّة تُصيب الإنسان.

والتَّكامل والإستقامة ، والحالة الصحيَّة تكمن في الفحص والسعي العلمي من دون توقُّف ؛ القائم على : «الأَمر بين الأَمرين». هذه هي حالة العلم ، وهو[1] منهج علميٌّ عقليٌّ فطريٌّ.

---

(١) مرجع ضمير (هو) : الفحص والسعي العلمي من دون توقُّف ؛ القائم على : «الأَمر بين الأَمرين».

التنبيه والقضيَّة السَّابعة عشرة:

أَصل انحراف الغُلاة قراءتهم الخاطئة

ينبغي الإلتفات : أَنَّ ما أَتىٰ به الغلاة من أُمورٍ وإِنْ كانت سلبيَّة ، لكنَّها تكشف عن صدور إِرهاصات غيبيَّة شوهدت من أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم ، لكن زلَّ البعض وانحرف وخطأ في قراءتها.

التنبيه والقضيَّة الثَّامنة عشرة:

أعظم ظُلامة لأَهل البيت ^ جفوتهم في علومهم

أَعظم ظُلامة وقطيعة بيننا وبين أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم : هجرانهم وجفوتهم في علومهم لاسيما العقائديَّة والمعرفيَّة ، وأَعظم وأَكبر وصال وصلة بيننا وبينهم عليهم السلام ـ والَّذي أَمرنا اللّٰـه عزَّوجلَّ بصلته ـ ، وأَعظم وأخطر رحم نصلها ونتواصل معها : الإِتِّصال بهم صلوات اللّٰـه عليهم والتَّواصل معهم في علومهم لاسيما العقائديَّة والمعرفيَّة.

التنبيه والقضيَّة التَّاسعة عشرة:

تعظيم المخلوق

إِنَّ تعظيم المخلوق مهما بلغ إِذا كان على وفق الأُسس والأُصول والقواعد الوحيانيَّة لا يكون إِلَّا عين التَّوحيد ، وليست فيه شائبة ورائحة الغلوّ والتَّأليه.

التنبيه والقضيَّة العشرون:

لا بُدَّ من أَخذ الطبقات الصَّاعدة في تعاريف حقائق أَهل البيت ^

إِنَّه إِذا لم تُلحظ في حدِّ حقيقة وماهيَّة سيِّد الأَنبياء وأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم طبقات ذواتهم وحقائقهم النوريَّة والكُنْه الروحاني فما يؤتىٰ به من تعاريف لماهيَّاتهم وحقائقهم عليهم السلام الشَّريفة المُقدَّسة شطط من القول، وابتعاد عن جادَّة الحقِّ والحقيقة.

التنبيه والقضيَّة الحادية والعشرون:

طبقات حقائق أَهل البيت ^ الصَّاعدة تُحيط وتُهيمن على جملة المخلوقات

هناك قاعدة ومنظومة عقليَّة نُقِّحت في مباحث علوم المعقول ـ كـ: المباحث: الفلسفيَّة والكلاميَّة والعرفانيَّة ـ يجدر الإِلتفات إِليها، حاصلها: «أَنَّ المخلوق السَّابق والمُتقدِّم في الصدور ـ بعدما كان وجود ما دونه من المخلوقات وكمالاتها مُتَشَعِّبة عنه فلا بُدَّ أَنْ ـ يُحيط ـ المخلوق السَّابق والمُتقدِّم في الوجود ـ بما دونه من المخلوقات ويُهيمن عليها؛ بمدد وقدرة من اللّٰـه عزَّوجلَّ».

وحيث إِنَّ الثَّابت في بيانات الوحي المُتواترة: أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم الصَّاعدة وأَنوارهم خُلِقَت قبل جملة بقيَّة المخلوقات؛ فلا بُدَّ أَنْ تكون تلك الحقائق والأَنوار والطَّبقات الشَّريفة

المقدَّسة لأَهل البيت عليهم السلام مُحيطة بطرِّ العوالم وكافَّة المخلوقات ، ومُهيمنة عليها هيمنة اللَّطيف على الأَغلظ ، ومن ثَمَّ تكون لهم صلوات اللّٰـه عليهم ولاية ـ كولاية اللّٰـه تعالىٰ ـ على سائر المخلوقات وعوالمها.

التنبيه والقضيَّة الثَّانية والعشرون :

انتماءات المخلوق واصطفافاته لابُدَّ أَنْ تكون في ظلِّ أَهل البيت ^

معنى الهويَّة المهدويَّة

ضرورة الأَخذ بمجموع مناهج أَهل البيت ^

إِنَّ ما ورد في دعاء النُّدْبَة الشَّريف : «... **اللَّهُمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ... واجعلنا مِمَّن يأخذ بحجزتهم ويمكث في ظلهم** ...» [1] توصية عظيمة ، وبند وميزان عظيم ، ومعناه : أَنَّه يجب على الفقيه والعَالِم والمرجع والمؤمن والسياسي والتَّاجر والعسكري والأَمني وهلمَّ جرّاً الحذر في انتماءاته واصطفافاته في كلِّ الأَصعدة ، ويجب عليه المُكوث في ظلِّ أَهل البيت عليهم السلام ، ويأخذ بحجزتهم ليس إِلَّا ، ويجعل تلويناته دائماً مع مسارهم ومنظومتهم عليهم السلام.

وهناك قضيَّة ونكتة لطيفة أُخرىٰ أَشار إِليها هذا البيان الشَّريف ، حاصلها : أَنَّه يجب على المخلوق أَنْ لا يُلوِّن نفسه ومسيرته بلون ومسيرة أَحد أَهل البيت الأَربعة عشر معصوماً عليهم السلام خاصَّة ، بل عليه الأَخذ بلون ومسيرة مجموع الأَربعة عشر معصوماً. هذا هو معنىٰ الهويَّة المهدويَّة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٠٩.

التنبيه والقضيَّة الثَّالثة والعشرون:

لا بُدَّ من التَّحرُّر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة

مَنْ أَراد تحرِّي حقيقةً فعليه التَّحَرُّر من ضيق المشرب والمدرسة الَّتي ينتمي إِليها ، لكن الواقع يشهد عكس ذلك ؛ مع أَنَّ كثير من المدارس البشريَّة ـ كالمدرسة الفلسفيَّة ـ مأخوذ في شعارها عدم التعصُّب.

ومن ثَمَّ كثير من الإِشكالات والإِعتراضات والشُّبهات الواردة والنَّاشئة على مشهد الثقافة الإِسلاميَّة والإِيمانيَّة حصلت نتيجة البناء على قناعاتٍ مرسومة في المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كـ : المدرسة : الفلسفيَّة والكلاميَّة والعرفانيَّة والتفسيريَّة ـ .

التنبيه والقضيَّة الرابعة والعشرون:

القوقعة على النتاج البشري حجبٌ لحقائق الوحي

هناك مُحورٌ مُهمٌّ يلزم تصحيحه في المعرفة والثقافة الإِسلاميَّة والإِيمانيَّة، حاصله : أَنَّ هناك أَبواباً معرفيَّةً إِلٰهيَّةً كثيرةً ، ثابتة في بيانات الوحي، عظيمة جِدّاً ، لا زالت إِلى الآن بكراً لم تُفتق ، ولم يُنقَّب ولم يُنجز فيها عملٌ، وسببه : تشاغل العلماء بالنتاج المعرفي البشري والقوقعة عليه ، وعدم السباحة في بحور حقائق الوحي المُتلاطمة الطمطامة اللامتناهية أَبد الآباد ودهر الدهور.

التنبيه والقضيَّة الخامسة والعشرون :

المطالب العقائديَّة أشقُّ وأَصعبُ من مطالب فقه الفروع

إِنَّ مباحث وأَبواب العقائد بحورٌ موَّاجةٌ ، متلاطمةٌ وخطيرةٌ جِدّاً ، وبحوثها صعبة ومُعقَّدة وعظيمة جِدّاً ؛ أَصعب وأَعظم من أَبحاث فقه الفروع بمليار مرَّة ، ومن ثَمَّ سُمِّيت العقائد بـ : (الفقه الأَكبر) ؛ فلذا يُراد لها جهوداً ضخمة تُبذل من قِبَلِ أَجيال العلماء والفضلاء والباحثين وطلبة العلوم الدِّينيَّة.

ثُمَّ إِنَّ كُلَّ بابٍ عقائديٍّ يحتاج له إِلى لغته الخاصَّة ؛ فمباحث التَّوحيد شَكْلٌ ، ومباحث النُّبوَّة شَكْلٌ آخر ، ومباحث الإِمامة شَكْلٌ ثالث ، ومباحث المعاد شَكْلٌ رابع ، ومباحث علم الخلاف شَكْلٌ خامس ، ومباحث المذاهب والأَديان شَكْلٌ سادس ، ومباحث الكُتُب السَّماويَّة شَكْلٌ سابع وهلمَّ جرّاً.

وقد يصير الشَّخص مُتَنَمِّراً في بابٍ وفي لغةٍ وأُمِّيّاً في بابٍ آخر ولغةٍ أُخرىٰ. ومعناه : أَنَّ البحث العقائدي صعبٌ ومُعقَّدٌ وشاقٌّ جِدّاً.

التنبيه والقضيَّة السَّادسة والعشرون :

التَّعَمُّق والتَّدقيق في المطالب مذمومٌ ومحمودٌ

إِنَّ ظاهرة مَنْ يهتم بالتَّفاصيل ويترك الأُسس والقواعد والأُصول ظاهرة خطيرة ، عبَّرَ عنها منطق بيانات أَهل البيت عليهم السلام بـ : «التَّعَمُّق

والتَّدقيق الخاطئ والمذموم» ؛ فإنَّ التَّعَمُّق والتَّدقيق على نحوين :

أَحدهما : إيجابيٌّ ومحمودٌ ؛ ذلك إنْ كان إهتمام الباحث بالأُسس والقواعد والأُصول كإهتمامه بالتَّفاصيل ، بل أَكثر.

ثانيهما : خاطئ ومذموم ، وهو : ما تقدَّمت الإشارة إليه. وفي تسمية هذا النحو بـ : (التَّعَمُّق) مُسامحةٌ ظاهرة. والمراد منه : التَّركيز على التَّفاصيل، والغفلة أَو التَّغَافل عن الأُسس والقواعد والأُصول.

وهذه الظَّاهرة أُبتليت بها التيَّارات المذهبيَّة والفكريَّة الإسلاميَّة ؛ المنفصلة عن منهج مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ، فضيَّعت الأُسس والقواعد والأُصول ، وركَّزت على التفاصيل ، ومن ثَمَّ لم يبقَ لديها من الإسلام إلَّا اسمه ورسمه واستقبال الكعبة.

وهذا ما تُشير إليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، الوارد في حقِّ المخالفين : «**لا واللّـه ما هم على شيءٍ مِمَّا جاء به رسول اللّـه صلى الله عليه وآله إلَّا استقبال الكعبة فقط**»[1].

التنبيه والقضيَّة السَّابعة والعشرون :

أَعظم الفواحش بث ثقافة التَّخاذل بين المؤمنين

إنَّ ما ورد في بيان قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

(١) بحار الأَنوار ، ٦٥ : ٩١/ ح٢٦. المحاسن : ١٥٦.

﴿تَعْلَمُونَ﴾[1] قاعدة معرفيَّة شاملة بالإِضافة إِلى القضايا الأَخلاقيَّة والفجور شاملة أَيضاً لبثِّ روح وثقافة تخاذل المؤمنين ، ونشر ثقافة الإِياس والتَّقاعس واللامسؤوليَّة والنظرة السوداويَّة والتَّشائميَّة بين المؤمنين ، وهذه من أَكبر وأَعظم الفواحش.

ومن ثَمَّ يلزم على المؤمنين النَّظر إِلى مواقع القوَّة فيهم ؛ لِيُفَعِّلوها ويحتفظوا بها ، والنَّظر أَيضاً إِلى المواقع السَّلبيَّة فيهم لعلاجها. ويلزم عليهم أَيضاً تنبيه المؤمنين إِلى ذلك وتنبيههم إِلى ما يتمتَّعون به من نقاط القوَّة ، ومن إِمكانيَّات ، وكيفيَّة تفعيلها وتوظيفها واستثمارها.

وهذه القضايا ليست أَموراً راجحةً شرعاً وعقلاً ومُستحبَّة ، أَو واجبة وجوباً كفائيّاً ، وإِنَّما واجبة على كُلِّ مُكلَّفٍ وجوباً عينيّاً.

التنبيه والقضيَّة الثَّامنة والعشرون :

خطورة الفرعونيَّة وما شاكلها لدى أَصحاب العلوم

هناك ظواهر ومناهج خطيرة نراها في عَالَم السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل ؛ موجودة أَيضاً بنفس تلك المناهج الخطيرة في العلم أَيضاً ، لكنَّها بشكلٍ أَشَدُّ وأخطر بمراتب.

وهذه قضيَّة مُهمَّة ومُؤثِّرة جِدّاً ، فمثلاً : الجبتيَّة والطاغوتيَّة والفرعونيَّة في العلم أَخطر بمراتب من الجبتية والطَّاغوتيَّة والفرعونيَّة في عَالَم

---

(١) النور : ١٩.

السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَلِ والنِّحَلِ ، والنمروديَّة في العلم أَخطر بمراتب أَيضاً من النمروديَّة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل ، والسقيفيَّة في العلم أَخطر بمراتب أَيضاً من السقيفة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل ، والأَمويَّة في العلم أَخطر بمراتب من الأَمويَّة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل، والعبَّاسيَّة في العلم أَخطر بمراتب من العبَّاسيَّة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل ، والزيديَّة في العلم أَخطر بمراتب من الزيديَّة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل ، والجاهليَّة في العلم أَخطر بمراتب من الجاهليَّة في عَالَمَ السياسة وفي المجتمع وفي المذاهب والمِلَل والنِّحَل.

التنبيه والقضيَّة التَّاسعة والعشرون :

قضيَّتان من القضايا الَّتي تميَّزت بهما مدرسة أَهل البيت ^

هناك قضيَّتان ترتبطان بحيويَّة مدرسة أَهل البيت عليهم السلام وفاعليَّتها وتنامي قدرات أَتباعها ، وبهما تميَّزت على جملة المذاهب والمدارس ، بل دليل على إِعجازها ، وقد أَكَّدت عليهما بياناتهم صلوات اللّـه عليهم كثيراً ، ومن لم يلتفت إِلى نظام هاتين القضيَّتين وضوابطهما ومحاورهما ، أَو التفت لكن لم يراعها لم يتمكَّن من السير في ركاب هذه الحيويَّة ؛ والمسيرة العظيمة لهذه المدرسة الشَّريفة المُقدَّسة ، بل يزيغ به المسار والمسير لا محالة.

إِحداهما : حفظ نظام مراتب الحُجَج.

وإلى هذه القضيَّة أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ شأنه : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾(١) .

وعدم مراعاة المخلوق لهذه المراتب يوقعه لا محالة في الكفر الخفي ، شعر بذلك أَم لا .

الأُخرىٰ : فتح باب الإِجتهاد ؛ بالموازين والضوابط العلميَّة ؛ من خلال مراعاة ضروريَّات وبديهيَّات العلوم الدِّينيَّة .

التنبيه والقضيَّة الثلاثون :

للإِنسان كينونة في العوالم السَّابقة أَشَدُّ شاعريَّة من كينونته في هذه النَّشْأة

أَبدان الإِنسان في العوالم السَّابقة تختلف عن أَبدانه في هذه النَّشْأة

الثَّابت في بيانات الوحي : أَنَّ الإِنسان مرَّ بعوالم ونَشَآت كثيرة سابقة قبل عَالَمنا ونَشْأتنا الأَرضيَّة هذه ، وعاش فيها بأَبدان عديدة غير بدنه الدُّنيوي الأَرضي الغليظ هذا ، وكانت له كينونة حيَّة بحياةٍ شاعرةٍ أَعظم من كينونته في عَالَم الدُّنيا وشؤونها .

وهذه القضيَّة مع ثبوتها في بيانات الوحي لكن لم يستوعبها أَصحاب المدارس المعرفيَّة البشريَّة ـ كـ: المُتكلِّمين ، والعرفاء ، والصوفيَّة ، والمُفسِّرين ،

---

(١) البقرة : ٢٥٣ .

والفلاسفة بما فيهم المشَّاء والإشراق القائلين بِقِدَم الرُّوح ، فإنَّهم لا يقولون بـ : أَنَّ للرُّوح أَبدان سابقة ـ وغُيِّبت في ثقافتهم.

بعد الإلتفات : أَنَّ ما رُسم من خريطةٍ معرفيَّةٍ في علم : الكلام والعرفان والتَّصَوُّف والتَّفسير والفلسفة بناء بشريٍّ ضئيل جِدّاً ، ومن ثَمَّ أَوَّلوا حقائق معرفيَّة وحيانيَّة دامغة ، واردة في صريح بيانات الوحي الإلٰهي ، وحملوها على معانيها المجازيَّة.

التنبيه والقضيَّة الحادية والثلاثون :

خطورة الورع والتَّقوى في أَبواب العلم والمعرفة

قد يكون الإنسان ورعاً وتقيّاً في الأَعمال البدنيَّة ، لكنَّه غويٌّ ورديٌّ وهالكٌ ومرتطم في أَمواج الكفر والشرك والضلال والإنحراف في أَبواب العلم والمعرفة ، ومشمولاً بقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1].

والورع والتَّقوىٰ في العمل العلمي والمعرفي أَشَدُّ وأَعظم مسؤوليَّة من الورع والتَّقوىٰ في العمل البدني.

وإلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام أَبي جعفر عليه السلام ، عن زيد الشحام : «في قول اللّـه : ﴿فَلْيَنْظُرِ

(١) يوسف : ١٠٦.

﴿الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾[١]. قال : قلتُ : ما طعامه؟ قال : **علمه الَّذي يأخذه مِمَّن يأخذه**»[٢].

(١) عبس : ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ، ٢ : ٩٦/ ح٣٨.

رجوع إلى صلب الموضوع

أَدلَّة ضرورة التَّوسُّل والوسيلة والآية وبقيَّة مرادفاتها العقليَّة

وبعد الإنتهاء من استعراض ما تقدَّم من تنبيهات وقضايا نعود إلى صلب الموضوع لمواصلة البحث ، ونتعرَّض إلى جملة من الأَدلَّة والبراهين الوحيانيَّة الدَّالَّة على ضرورة التَّمَسُّك بالوسيلة ـ والآية الإلٰهيَّة وبقيَّة مرادفاتها الإلٰهيَّة العقليَّة ـ للارتباط بساحة القدس الإلٰهيَّة في قوس الصُّعود والنزول ، والأَدلَّة هي :

أَوَّلاً : بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[1] .

بتقريب : أَنَّ الآيات الإلٰهيَّة على نمطين :

أَحدهما : ناطقة.

الآخر : صامتة.

والنَّمط الثَّاني حيث ليست لها دعوىٰ وادّعاء فلا يتَّصَف المؤمن بها بـ : (التَّصديق بها) ، ومنكرها بـ : (التَّكذيب بها) ، وإِنَّما يتَّصف بـ : (الإِيمان والإِعتبار بها) ، و (الكفر والجحود بها والإِعراض عنها).

---

(١) الأعراف : ٤٠.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله علا ذكره : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾(١) .

بخلاف النَّمَط الأَوَّل ، حيث إِنَّ لها دعوىٰ وادِّعاء صحَّ إِتِّصاف مَنْ يُؤمن بها بـ : (التَّصديق بها) ، ومَنْ لا يُؤمن بها بـ (التَّكذيب بها)(٢) .

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **والدَّليل على أَنَّ هذا في الرَّجعة قوله** عزَّ وجلَّ : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣) **قال : الآيات أَمير المؤمنين والأَئمَّة** عليهم السلام ...»(٤) .

وحيث حَكَمَ بيان قوله (تعالىٰ ذكره) بـ : أَنَّ مَنْ يُكذِّب بآيات اللّٰـه ويستكبر عليها ويصدُّ عنها(٥) يستحيل عليه وعلى معارفه وأَعماله الصَّالحة

---

(١) القمر : ١ ـ ٢.

(٢) هذه نتفة معرفيَّة مهمَّة جِدّاً ينبغي الإِلتفات إِليها.
ومنه يُعلم : أَنَّ كُلَّ لبنةٍ وخطوةٍ ولفظةٍ واردة في بيانات الوحي : معادلة مجهريَّة ضخمة ورهيبة جِدّاً.

(٣) النمل : ٨٣ ـ ٨٤.

(٤) مختصر البصائر : ١٥٢/ح١١٨ ـ ١٨.

(٥) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ بيان قوله (تعالىٰ ذكره) : ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ دالٌّ مِنْ باب التَّضمين على فعل وفاعل محذوف ، يُناسب سياق الكلام ، ويناسب الجار والمجرور ﴿عَنْهَا﴾ ، وهو: ←

وعباداته : ولوج أَبواب السَّمآء والدُّخول في الجنَّة ثبت المطلوب.

وهذا برهان وحيانيٌّ دالٌّ بإطلاق منطوقه : أَنَّ تحصيل التَّوحيد والإيمان الحقّ ، والمعارف الحقَّة ، وقبول التَّوبة ، ونيل الحُظوَة والحبوة الإلٰهيَّة، والقرب إليه (سبحانه وتعالىٰ) لا يكون إلَّا بالتَّشَفُّع بالوسيلة والآيات الإلٰهيَّة النَّاطقة ؛ وبقيَّة مرادفاتها العقليَّة المنصوبة من قِبَل الباري (تبارك اسمه) ؛ طبقات حقائق أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام الصَّاعدة ، وحصر العروج والوصول إلى السَّاحة الإلٰهيَّة المُقدَّسة بها.

ودالٌّ بمفهومه : أَنَّ التَّوسُّل والتَّشَفُّع بالوسائط غير المجعولة ؛ وغير المنصوبة مِنْ قِبَلِ اللّٰـه (تبارك وتعالىٰ) حوالة على مُفلِّس ؛ تورِث مَنْ تَمَسَّكَ بها : شرك ووثنيَّة ، وضلال وانحراف ، وعبادة لغير اللّٰـه تعالىٰ ، وظنون فاسدة ، وتوهمات كاذبة تمليها عليهم أَنفسهم وتوهمهم الحقيقة ، لكنَّ واقعها ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(١).

ثانياً : بيان قوله جلَّ جلاله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾(٢).

← ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ ، وإِلَّا كان المناسب لجملة : ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ أَنْ يكون الجار والمجرور المرتبط بها : (عليها) كما هو واضح.

(١) النور : ٣٩.

(٢) المائدة : ٣٥.

فإنَّه يُثبت بإطلاقه : ضرورة التَّشَفُّع بالواسطة والوسيلة الإلٰهيَّة في العروج والوصول لساحة القدس الإلٰهيَّة ؛ لنيل : الحُظوَة والحبوة من اللّٰه (جلَّ وعلا) ، والقرب إليه (جلَّ شأنه) ، والتَّوحيد[١] والإيمان الحقيقي والتَّام والكامل والمرضي لديه (جلَّت آلاؤه) ، والمعارف[٢] الحقَّة ، وقبول[٣] الأَعمال والعبادات والتَّوبة وقضاء الحوائج.

بعد الإلتفات إلى قضيَّةٍ مُهمَّةٍ وخطيرةٍ جِدّاً ، حاصلها : أَنَّ الوسيلة ـ كـ: الاسم الإلٰهي والصِّفة والآية الإلٰهيَّة ؛ وبقيَّة مرادفاتها الإلٰهيَّة العقليَّة ـ مخلوقٌ، وأَمرٌ تكوينيٌّ عظيمٌ وخطيرٌ ومهولٌ جِدّاً ، وهو : أَحد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، إذا قيست إليه بقيَّة العوالم وجملة المخلوقات كانت كالنقطة في بحره الطمطام اللامتناهي.

ثالثاً : بيان الحديث القدسي الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام : «... **وأَنْتُم خيار خلقي فيما بيني وبين خلقي ، خلقتكم مِنْ نور عَظَمَتي واحتجت[٤] بكم عَمَّنْ سواكم من خلقي ، وجعلتكم وأُستقبَل بكم وأُسأل بكم ، فكُلُّ شيءٍ هالك إلَّا وجهي ، وَأَنتم وجهي ، لا تبيدون ولا تهلكون ، ولا يبيد ولا يهلك مَنْ تولَّاكم ، وَمَنْ استقبلني بغيركم فقد ضلَّ وهوىٰ ...**» [٥].

---

(١) هذا عطف على كلمة (الحُظوَة) ، فتكون العبارة هكذا : «ولنيل التَّوحيد والإيمان الحقيقي ...».

(٢) هذا عطف آخر على كلمة (الحُظوَة) أَيضاً ، فتكون العبارة هكذا : «ولنيل المعارف الحقَّة ...».

(٣) هذا عطف ثالث على كلمة (الحُظوَة) ، فتكون العبارة هكذا : «ولنيل قبول الأَعمال ...».

(٤) في نسخة : «احتجبت».

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦ ـ ١٧/ ح٣١.

رابعاً : بيان الحديث القدسي أَيضاً ؛ الوارد في عظمة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام : «**... يا آدم ، هؤلاء وسيلتك ووسيلة مَنْ أَسعدتُ مِنْ خلقي ، هؤلاء السَّابقون المُقَرَّبُون ، والشَّافعون المُشَفَّعُون ؛ وهذا أَحمد سيِّدهم ... وهذا صنوه ووصيّه ووارثه ... وهذه سيِّدة إمآئي ... وهٰذان السِّبطان والخلفان لهم ، وهذه الأَعيان الضارع نورها أَنوارهم بقيَّة منهم ...**»[1].

خامساً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**... يا عَلِيّ ، أَنْتَ بابي الَّذي أُوتىٰ منه، وَأَنا باب اللّـه ، فَمَنْ أَتاني مِنْ سواكَ لم يصل ، ومَنْ أَتي سواي**[2] **لم يصل ...**»[3].

ودلالته ـ كدلالة سابقيه ـ واضحة ؛ فإِنَّه دالٌّ وحاصر بإِطلاقه على أَنَّ سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله وأَمير المؤمنين عليه السلام وتبعاً لهما بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام : وسائل ووسائط فيض إِلٰهيَّة في قوس النزول والصعود لجملة العوالم والمخلوقات ؛ في هذه النَّشْأَة وفي بقيَّة النَّشَآة ، مِنْ بداية الخلقة والوجود إِلى أَبد الآباد ودهر الدُّهور. وفي الحِيْدَةِ عنهم عليهم السلام : اِسْتِحَالَة الوصول إِلى ساحة القُدس الإِلٰهيَّة ، واِسْتِحَالَة قبول : العبادات والأَعمال والتوبة وغفران الذنوب في (قوس الصعود) ، واِسْتِحَالَة تحصيل : التَّوحيد والإِيمان الحقّ والمعارف الحقَّة في (قوس النزول).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣١٠ ـ ٣١٢/ ح٧٧. تفضيل الأَئمَّة (مخطوط).

(٢) في المصدر : «ومن أَتى اللّـه مِنْ سواي».

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٢٠٤.

بعد الإلتفات : أَنَّ عنوان : (الباب) المأخوذ في هذا البيان الشَّريف مُشيرٌ لمخلوقين عظيمين ومهولين وخطيرين جِدّاً ، من مخلوقات عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ، ومن المرادفات العقليَّة للآية الإِلٰهيَّة ، **أَحدهما** : طبقة ومرتبة من طبقات ومراتب حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ الصَّاعدة. **والآخر**: طبقة ومرتبة من طبقات ومراتب حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه الصَّاعدة ، إِذا قيست إِليهما كافَّة العوالم وسائر المخلوقات كانت كالنقطة في بحريهما الطمطامين اللامتناهين.

فالتفت واغتنم هذه النكات وما شاكلها ؛ والتف البكر المعرفيَّة ، وعض عليها بضرس قاطع تربت يداك.

سادساً : بيانه ﷺ أَيضاً : «**... فنحن الأَوَّلون ونحن الآخرون ... ونحن الشَّافعون ... ونحن خاصَّة اللّٰـه ... ونحن وجه اللّٰـه ... ونحن محال قُدس اللّٰـه ... ونحن مفاتيح الرحمة ، ونحن ينابيع النعمة ... والحماة والسُّقاة والرعاة وطريق النجاة ، ونحن السَّبيل ... والطريق المُستقيم ، مَنْ آمن بنا آمن باللّٰـه ، ومَنْ رَدَّ علينا رَدَّ على اللّٰـه ، وَمَنْ شَكَّ فينا شَكَّ في اللّٰـه ، وَمَنْ عرفنا عرف اللّٰـه ، وَمَنْ تولَّىٰ عنَّا تولَّىٰ عن اللّٰـه ، وَمَنْ أَطاعنا أَطَاعَ اللّٰـه ، ونحن الوسيلة إلى اللّٰـه ، والوصلة إلى رضوان اللّٰـه ... ونحن معدن الحكمة وباب الرَّحمة ... والعروة الوثقىٰ الَّتي مَنْ تمَسَّكَ بها نجا**»[1].

سابعاً : بيانه ﷺ أَيضاً ، مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... يا عَلِيّ ...**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٢ ـ ٢٣/ ح٣٨. رياض الجنان (مخطوط).

وأَنْتَ السَّبَب فيما بين اللّٰـه وبين خلقه بعدي ، فَمَنْ جَحَدَ ولايتكَ قطع السَّبب الَّذي فيما بينه وبين اللّٰـه ، وكان ماضياً في الدَّرجات[1]، يا عَلِيّ ، ما عرف اللّٰـه إِلَّا بي ثُمَّ بِكَ ، مَنْ جَحَدَ ولايتكَ جَحَدَ اللّٰـه ربوبيَّته ... فَمَنْ رَكَنَ إِلَيْكَ نَجَا ، وَمَنْ خَالَفَكَ هوىٰ وَهَلَكَ ...»[2].

ثامناً : بيانه صلى الله عليه وآله الوارد في حقِّ أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام : «**... لَا يدخل الجنَّة إِلَّا مَنْ عَرَفَهُم وَعَرَفُوه ، ولا يدخل النَّار إِلَّا مَنْ أَنكرهم وَأَنْكرُوه ؛ لأَنَّهم عرفاء اللّٰـه ...**»[3].

تاسعاً : بيانه صلى الله عليه وآله في حديث المعراج ؛ مُنضمَّاً إِليه بيان الملائكة في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام : «**... قلتُ : يا ملائكة ربِّي ، هل تعرفونا حَقّ معرفتنا؟ فقالوا : يا نبيّ اللّٰـه ، وكيف لا نعرفكم وَأَنْتُم أَوَّل مَا خلق اللّٰـه ... فَمَا نَزَل مِن اللّٰـه فإِليكم ، ومَا صعد إِلى اللّٰـه فَمِنْ عندكم ...**»[4].

ودلالته ـ كدلالة سوابقه ـ واضحة ؛ فإِنَّه دالٌّ بإِطلاقه : على أَنَّ ما ينزل من فيضٍ من ساحة القدس الإِلٰهيَّة لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات ، وما يصعد إِليها من كافَّة العوالم وسائر المخلوقات ؛ في هذه النَّشْأة وفي كافَّة النَّشَآة لا يكون إِلَّا بالتَّوسُّل بأَهل البيت الأَطهار عليهم السلام ، شَعَرَ المخلوق بذلك أَم لا.

---

(١) في المصدر : «وكان ماضياً في الدركات».

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٢ : ١٤٧ ـ ١٤٨/ ح١٤١.

(٣) المصدر نفسه ، ٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٤) المصدر نفسه ، ١٥ : ٨ ـ ٩/ ح٨. تفسير فرات : ١٣٤ ـ ١٣٦.

العاشر : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**إِنَّ اللّـهَ تبارك وتعالىٰ أَحَد واحد ، تفرَّدَ في وحدانيَّته ، ثُمَّ تكلَّم بكلمة فصارت نوراً ، ثُمَّ خلق من ذلك النُّور محمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرِّيَّتي ... وبنا احتجب عن خلقه ، فما زلنا في ظلَّة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ، ولا ليل ولا نهار ، ولا عين تطرف، نعبده ونقدِّسه ، ونُسَبِّحه قبل أَنْ يخلق خلقه ...**»[١].

الحادي عشر : بيان فاطمة الزهراء عليها السلام[٢]: «**... الَّذي لعظمته ونوره يبتغي مَنْ في السَّماوات والأَرض إِليه الوسيلة ، ونحن وسيلته في خلقه ...**»[٣].

الثَّاني عشر : بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام : «**فلولانا لم يخلق اللّـه تعالىٰ الدُّنيا والآخرة ... بنا عُرِفَ اللّـه ، وبنا عُبِدَ اللّـه ، ونحن السبيل إِلَى اللّـه ...**»[٤].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٩١ ـ ٢٩٢/ ح٥١. كنز الفوائد : ٥٥.

(٢) يجدر صرف النظر في المقام إِلى القضايا الثلاث التَّالية في حقِّ فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها:

الأُوْلَىٰ : أَنَّه من العقائد الأَساسيَّة ، ومن الأُمور المُبَدَّهة الثابتة في مدرسة أَهل البيت عليهم السلام : أَنَّ فاطمة الزَّهراء صلوات اللّـه عليها من ولاة الأَمر ، وهذا مقام من مقاماتها.

الثَّانية : أَنَّها صلوات اللّـه عليها ـ بشهادة القرآن الكريم ـ من أَكبر المُحَدَّثين. بل إِذا كان جبرئيل عليه السلام نزل على مريم عليها السلام وحدَّثها فكيف بسيِّدتها : فاطمة صلوات اللّـه عليها.

الثَّالثة : أَنَّ لها صلوات اللّـه عليها موقف عظيم في قضيَّة السَّقيفة ، ولولاه لعميت الحقيقة عن أَجيال المسلمين ، ولَـمَا وصلت إِلينا ـ الحقيقة ـ كاملة. وهذا يُدَلِّل على أَنَّ بينها وبين أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما كفؤيَّة.

(٣) السقيفة وفدك : ١٠١. شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد ، ١٦ : ٢١١.

(٤) بحار الأَنوار ، ٤٦ : ٢٠١ ـ ٢٠٣/ ح٧٧. كفاية الأَثر ، للخزَّاز : ٣٢٦.

الثَّالث عشر : بيان الإمام الباقر عليه السلام : «**بِنَا عُبِدَ اللّـه ، وبِنَا عُرِفَ اللّـه ، وبِنَا وُحِّدَ اللّـه ، ومحمَّد صلى الله عليه وآله حجاب اللّـه**»(١).

الرابع عشر : بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**... نحن العالمون بِأَمرِهَ ، والدَّاعون إِلَى سبيله ، بِنَا عُرِفَ اللّـه ، وبِنَا عُبِدَ اللّـه ، نحن الأَدِلَّاء على اللّـه ، ولولانا ما عُبِدَ اللّـه**»(٢).

الخامس عشر : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**ليس شيءٌ يخرج مِنْ اللّـه حتَّىٰ يبدأ برسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ بأمير المؤمنين ، ثُمَّ واحداً بعد واحد ...**»(٣).

السَّادس عشر : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وكان رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وَأَمير المؤمنين عليه السلام دين اللّـه ووجهه وعينه في عباده ، ولسانه الَّذي ينطق به ، ويده على خلقه ، ونحن وجه اللّـه الَّذي يُؤْتَىٰ منه ، لن نَزَال في عباده ما دامت للّـه فيهم روية. قلتُ : وما الروية؟(٤) قال : الحاجة ، فإذا لم يكن للّـه فيهم حاجة رفعنا إِليه فصنع ما أَحَبّ**»(٥).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٠٢/ ح٨ . بشارة المصطفىٰ : ١١٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٦٠/ ح٣٨ . توحيد الصدوق : ١٤١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٩٢/ ح٢٠. بصائر الدرجات : ١١٦. الإختصاص : ٣١٣.

(٤) في المصدر : (الرؤية). واستظهر صاحب البحار : (رؤبة) بالهمزة والباء ، قال : «الروية : إِمَّا بالتشديد بمعنىٰ : (التَّفَكُّر) ؛ فإِنَّ من له حاجة إِلى أَحَدٍ ينظر ويتفكَّر في إِصلاح أُموره. أَو بالتَّخفيف مهموزاً ، أَي : (نظر رحمة). والأَظهر أَنَّه كان بالباء المُوحَّد ، قال الفيروزآبادي : الرؤية ويضم : الحاجة ، وعلى التقادير هي كناية عن إِرادة بقائهم وخيرهم وصلاحهم». البحار، ٢٤ : ١٩٤.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١٩٧/ ح٢٣. توحيد الصدوق : ١٤٠.

السَّابع عشر : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **ونحن السَّبيل فيما بين اللّٰـه وخلقه، ونحن الرباط الأَدنىٰ ...**»(١).

الثَّامن عشر : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**نحن السَّبَب بينكم وبين اللّٰـه عزَّوجلَّ**»(٢).

التَّاسع عشر : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **ونحن أُمناؤه على خلقه ، والدُّعاة إِلى دينه ، والحجاب فيما بينه وبين خلقه ...**»(٣).

العشرون : بيان زيارة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام(٤) : «... **مَنْ أَرَاد اللّٰـه بدأَ بكم ، ومَنْ وحَّدَه قَبِلَ عنكم ، ومَنْ قصده توجَّه بكم ...**»(٥).

ودلالة الجميع قد اتَّضحت مِمَّا تقدَّم ، بل واضحة في نفسها ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام الصَّاعدة هي : السَّبيل والوسيلة ، ووجه اللّٰـه ، والسبب ، والباب ، والحجاب ، والرباط الإِلٰهي الأَدنىٰ بين الخالق (عزَّ وجهه) وكافَّة العوالم وجملة المخلوقات بقَضِّها وقضيضها ، وبعدما كانت طبقات حقائقهم عليهم السلام هي : نظام عَالَم الوجود

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢١٦ ـ ٢١٧/ ح٨. تفسير العياشي ، ١ : ٢١٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٠١/ ح٥. أَمالي ابن الشَّيخ : ٩٧.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٦٣/ ح٢٣. المحتضر : ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٤) **يجدر الإِلتفات** : أَنَّ في كلِّ زيارةٍ من زيارات أَهل البيت عليهم السلام معلومات ومعطيات وبيانات وحقائق تختلف عن الزيارات الأُخرىٰ.

(٥) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٣١. الزيارة الجامعة الثَّانية. البلد الأَمين : ٣٠٢.

والخلقة على الإطلاق قاطبة فلابُدَّ كيما يصل المخلوق وتصل أعماله وعباداته ـ ولو كانت بمقدار حبّةٍ مِنْ خردَلٍ ـ إلى ساحة القدس الإلٰهيَّة ، في نعيم لا يبيد ، وسرور لا يشوبه غمّ ، وحُبُور لا يختلط به همّ ، وحياة لا تتعقَّبها وفاة، ونعمة لا يعتورها نقمة ، وحَبْوَات وحُظُوَات وكرامات ، ورعاية وقرب وجوديّ في كلِّ آنٍ من المبدأ العالي (جلَّ ذكره) في (قوس الصعود) ، وليتنعَّم بفيوضات إلٰهيَّة لا غاية لعددها ، ولا نهاية لمددها ، ولا نفاد لأَمدها (في قوس النزول) أَنْ ينشب أَظفاره ويتمسَّكَ بِكُلِّ ما أُوتي مِنْ قُوَّةٍ ، ويتوسَّل بتلك الطبقات والقنوات الحصريَّة ، الَّتي لا يعرج من المخلوق إلى السَّاحة الرُّبوبيَّة ولا ينزل إليه مِنها شيء ولو كان بمقدار مثقال ذرة إلَّا عن طريقها.

بعد الإلتفات أَيضاً : أَنَّ ما أَخذته هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة من عناوين ، كـ : عنوان : (وجه اللّٰـه) ، و(السَّبيل) ، و(السَّبب) ، و(الحجاب)، و(الرباط الأَدنىٰ) مشيرةٌ إلى مخلوقاتٍ عظيمةٍ وخطيرةٍ ومهولةٍ جِدّاً ؛ من مخلوقات عَالَم : (الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة) ، ومن المرادفات العقليَّة للآية الإلٰهيَّة ، وهي بعض طبقات ومراتب ودرجات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، مهيمنة على ما تحتها من جملة العوالم وطُرِّ المخلوقات من بداية الخلقة إلى ما لا نهاية ، وتتصرَّف فيها تصرُّف اللَّطيف في الأَغلظ ، فهي : (داخلة فيها ، لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارجة عنها ، لكن لا بالمزايلة والمفارقة) ، إذا قيست ـ جملة العوالم وطُرّ المخلوقات ـ إليها كانت كالنقطة في بحورها الطمطامة اللامتناهية. فاغتنم.

رأي بعض المدارس البشريَّة في التَّوسُّل

هذا وقد نقل صاحب تفسير الميزان قاعدة معرفيَّة ، ذكرها أَهل المعنىٰ والمعرفة ، وهي : «أَنَّه لا بُدَّ للنَّفس النَّازلة لتحصيل معرفة الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من التَّوسُّل بالوسائط والآيات الإِلٰهيَّة ، وهي على نمطين : فتارة تُلحظ الوسائط ـ كنزول جبرئيل عليه السلام ـ ، وأُخرىٰ لا تُلحظ».

ويحصل في النَّمط الثَّاني : تجلِّي الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة للمخلوق مِنْ خلال الآيات الإِلٰهيَّة بدرجةٍ أَظهر وأَجلىٰ.

لكنَّ : حصلت له غفلة ، بل غفلات عن هذه القاعدة في موارد مُتعدِّدة مِنْ تفسيره ، تبعاً لجملة مِنَ الفلاسفة والعرفاء والصُّوفيَّة وأَهل المعرفة مِنَ الإِماميَّة ؛ حيث قالوا : إِنَّ لكلِّ مخلوقٍ بلحاظ إِرتباطه بالسَّاحة الإِلٰهيَّة المُقَدَّسة وجهتين :

إِحداهما : وجهة تسلسل الوسائط والأَسباب. وأَطلقوا عليها : «الجهة الَّتي تلي الخلق».

الأُخرىٰ : وجهة مِنْ دون وسائط وأَسباب. وأَطلقوا عليها : «الجهة الَّتي تلي الرَّبّ».

وفُسِّرَ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[1] بالوجهة

---

(١) البقرة : ١١٥.

الأُولىٰ. وبيان قوله جلَّ قدسه : ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[1] بالوجهة الثانية.

وغير خفيٍّ لِـمَن أَلهمه اللّـه الرشد ، ولاحظ ما تقدَّم من بيانات الوحي الباهرة الزاهرة ، درر الرَّحمة ، وقطرة من بحر الحكمة ، البراهين السَّاطعة الواضحة ، والحُجَج البالغة ، وصغىٰ لها سمعه ، وذلَّل لها فهمه ، وأَشغل لها قلبه : أَنَّ ما ذُكر في النمط الثَّاني ـ المُدعَّىٰ لنفي الوسائط ـ طنطنة قصَّاصين ، وفخفخة قولٍ مِمَّن داخله الشَّكّ ، واستولىٰ عليه الرَّيب ، بل سقيفة معرفيَّة ؛ أَضرُّ على : الإيمان وأَهله ، والتَّوحيد ، والمعارف الحقَّة ، وأَهل البيت عليهم السلام مِن يزيد بن معاوية وجيشه (عليهم اللعنة) ؛ لاستلزامه محاذير عقائديَّة ومعرفيَّة خطيرة جِدّاً ، منها :

١ـ معرفة ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة بالكُنْه.

٢ـ إِحاطة المخلوق بالذَّات الإلٰهيَّة.

٣ـ صيرورة المخلوق المُحيط أَعظم من خالقه (تبارك وتعالىٰ).

٤ـ تصغير الشَّأن الإلٰهي.

٥ـ تشبيه الباري (جلَّ وتقدَّس) بمخلوقاته.

٦ـ الغلوّ في حقِّ المخلوق المُحيط.

٧ـ التَّقصير في المعرفة الإلٰهيَّة.

---

(١) البقرة : ١٤٨.

٨ـ الشرك الخفي[١].

وغيرها من بقيَّة المحاذير ، والمعارف والعقائد الفاسدة الباطلة بضرورة الوحي والعقل ، المشمول من يرتطم بها بإطلاق بيان قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[٢].

والتَّحقيق[٣]: أَنَّ هذا التَّقسيم الثنائي[٤] بنفسه حقٌّ ونظامٌ وحيانيٌّ ، لكنَّه لا بذلك التَّفسير ؛ فإِنَّ الوسائط والوسائل والأَسباب الإِلٰهيَّة يحتاج إِليها المخلوق بالضَّرورة في الوجهة الثانية أَيضاً ، لكنَّها لا تُلحظ ؛ لكونها محواً وفانيةً في حكاية الشأن الإِلٰهيّ ، وهو[٥] على درجات.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

---

(١) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ هذه المحاذير لا تُخرج المرتطم بها عن دائرة الإِيمان والملَّة والدِّين ما دامت خفيَّة ، نعم تُخرجه عن المراتب العالية ، كمرتبة : (المخلصين). وهذا ما أَشار إِليه بيان قوله تعالىٰ التَّالي الذكر.

(٢) يوسف : ١٠٦.

(٣) هذا مبحث حسَّاس جِدّاً ، يدخل في عموم أَبواب المعرفة ، ومِنْ ثَمَّ التَّأَنِّي والتَّدبُّر فيه مُفيد ونافع ومثمر جِدّاً ؛ يدفع كثير من الإِشكالات والشُّبهات ؛ منها : (شُبهة الوحدة الشَّخصيَّة) ، المرتطم بها كثير من العرفاء والصُّوفيَّة.

(٤) هذا التَّقسيم وإِنْ كان ظاهره ثنائي ، لكنَّ واقعه : انطواء كُلّ قسمٍ على أَنواع ومراتب ، منها : (الوجهة في الأَسباب) ، و(الوجهة في طيِّ الأَسباب).
وقد خلط العرفاء والصُّوفيَّة وجعلوا : (وجهة طيّ الأَسباب) من الوجهة الَّتي تلي الرَّبّ ، والمناسب: أَنَّها من وجهة تسلسل الوسائط والأَسباب.

(٥) مرجع الضمير : (المحو والفناء في الحكاية).

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام في حديث الحقيقة ، في جواب سؤال كميل بن زياد : «يا أَمير المؤمنين ، ما الحقيقة؟ فقال : ... **الحقيقة كشف سبحات الجلال مِنْ غير إِشارةٍ** ، قال : زدني بياناً ، قال : **محو الموهوم ، وصحو المعلوم** ، فقال : زدني بياناً ، قال : **هتك الستر لغلبة السرّ** ، فقال: زدني بياناً ، قال : **نور يشرق مِنْ صبح الأَزل ؛ فيلوح على هياكل التَّوحيد آثاره** ، فقال : زدني بياناً ، فقال : **إِطفئ السِّراج فقد طلع الصبح**»[1].

فقوله صلوات اللّـه عليه : «**الحقيقة : كشف سبحات الجلال من غير إِشارةٍ**» ، وقوله عليه السلام : «**محو الموهوم**» ، وقوله عليه السلام : «**نور يشرق مِن صبح الأَزل ؛ فيلوح على هياكل التَّوحيد آثاره**» إِشارة إِلى ما قدَّمناه من تفسير للنَّحو الثاني ، وهو : (محو الوسائط والأَسباب) ؛ وإِنَّه محوٌ وفناءٌ في الحكاية ؛ لا حقيقة.

وبالجملة : تحصيل المعرفة وبقيَّة الفيوضات الإِلٰهيَّة في (قوس النَّزول)، بل وقبول الأَعمال وغيرها في (قوس الصُّعود) لا تكون إِلَّا بتوسُّط : الآيات والوسائط والوسائل والأَسباب الإِلٰهيَّة ، لكنَّها : تارة تُلحظ ، وأُخرىٰ لا تُلحظ ، ويُعبَّر عن الثانية بـ : «محو الوسائط والأَسباب»[2].

نظيره : النَّظر إِلى المرآة ؛ فإِنَّه : تارة تُلحظ ويُلحظ المنعكس فيها ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٨٧ . عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، ١ : ٢٣٣/ ح١. تحف العقول : ٤٣٠. عوالي اللآلي : ٢٠٥/ ح٤.

(٢) هذا التَّقسيم عبارة أُخرىٰ عن الموضوعيَّة والطريقيَّة ـ أَي : الآليَّة ـ ، وهما على أَنماطٍ وضروبٍ مُتعدِّدة.

وأُخرىٰ ـ أَي : حينما يشتدُّ صفاء المرآة وانعكاسها وتشتدُّ حكايتها ـ لا يُلحظ إِلَّا المنعكس فيها ، ولا ينشدُّ إِلَّا إِليه. والنَّحو الأَوَّل مشوب بحجاب الواسطة ؛ فبعد ما لم يحصل لها محو لم يَصحُ الرَّائي إِلى المرئي بيقظةٍ كاملةٍ. بخلاف النَّحو الثَّاني.

وإِلى هذا النحو[1] أَشار بيان قوله (تعالىٰ ذكره) ، الحاكي لخبر بلقيس مع النَّبيّ سليمان عليه السلام : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

فإِنَّه مع وجود الواسطة واقعاً ـ وهي : (الصَّرح) ـ لكنَّه لتمرُّد ذاته ، وشفافيَّته وخلوصه في حكاية ذيه لم يُرِ نفسه ؛ ولم يكن حجاباً مانعاً ، ومن ثَمَّ لم تلحظه بلقيس ؛ ولم تلتفت أَو تنتبه إِليه أَو تشعر به ، وحسبته المحكي ؛ وهو : اللُّجَّة ؛ أَي : الماء الغزير ، ومِنْ ثَمَّ كشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ـ وأَنَّه صَرْحٌ مُـمَرَّدٌ ـ آمنت مِنْ دون نظر وتروٍّي ومهلة وتدبُّر ؛ لكونها التقطت إِشارة معرفيَّة توحيديَّة إِلى معنىٰ : (تجلِّي وظهور الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) في المخلوقات المُكرَّمة ؛ طبقات[3] حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

---

(١) أَي : النحو الثَّاني.

(٢) النمل : ٤٤.

(٣) هذه العبارة تعود : (للتَّجَلِّي والظُّهور) ؛ فإِنَّ الخالق (تقدَّس ذكره) يتجلَّىٰ ويظهر للمخلوقات في طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

وهذه القضيَّة الَّتي أنجبتها أَلفاظ بيانات الوحي ، وولَّدتها طاهر كلماته، وأَظهرتها كالشَّمس الضَّاحية بياناته الواضحة الَّتي لا نهاية لعددها ولا نفاد لمددها ؛ فبزغت ماثلة لكلِّ عينٍ ، مالئة لكلِّ سمعٍ كبراها[١] عقليَّة وبديهيَّة قبل أَنْ تكون وحيانيَّة. نعم صغراها [٢] وتشخيص مصاديقها (الطبقات الصَّاعدة لحقائق أَهل البيت : سيِّد الأَنبياء مُحَمَّد ﷺ والعترة الأَطهار عليهم السلام) قضيَّة وحيانيَّة ، لا دخل للعقل بها ؛ لكونها مِن عوالم خارجة عن مِكنته وحريمه وَحَدِّه ، ومِنْ ثَمَّ مهما بَعُدَ في الغوص والغور لا ينال حقيقتها. فتأَمَّل جيِّداً.

مِمَّا تقدَّم يتَّضح الجمّ الغفير من طوائف بيانات الوحي الأُخرى

ومِنْ كلِّ هذا : تتجلَّىٰ الغشاوة عن أَبصار مُتأمِّلي كثير من بيانات الوحي[٣] ودلائله النيِّرة وبراهينه الباهرة ، وينقشع العمىٰ عن عيون

---

(١) أَي : اِسْتِحَالَة وصول المخلوق للذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من دون واسطة ووسيلة إِلٰهيَّة.

(٢) أَي : إِنَّ طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المُتوسطة والنَّازلة هي الواسطة والوسيلة الإِلٰهيَّة الفاردة لطُرِّ العوالم وجملة المخلوقات.

(٣) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّه من خلال ما تقدَّم ستنحل شفرات كم هائل من بيانات الوحي عين اليقين وحقيقته ، وصراط الحقّ وعصمته ، المستعصي حلّها وفهمها وهضمها عبر القرون على مَنْ تعامل معها ، فاضطرَّه إِمَّا إِلى دفع حُجِّيَّتها أَو رفعها وإِسقاطها سنداً أَو متناً ؛ بالتَّأويل وما شاكله ، أَو إِحالتها على أَهلها (صلوات اللّٰـه عليهم) على أَفضل الأَحوال ، لكنَّه سيتِّضح (إِنْ شاء اللّٰـه تعالىٰ) : أَنَّ تلك التَّأويلات وذلك الدَّفع أَو الرفع فخفخة قول مِمَّن داخله الشَّكّ واستولىٰ عليه الرَّيب ، بل تخطب على نفسها : أَنَّ هذا الصنيع ظاهر التكلُّف ، بَيِّن التوليد ، ←

متدبِّريها ، ليمتد بصرهم إِلى أَعنان عوالم لم يصل إِليها فكر وخيال ملك مُقرَّب ولا نبيٍّ مرسل ولا مؤمن ممتحن ، ليزدادوا في هذا الأَمر : بصيرة وسروراً ، وإِيماناً مع إِيمانهم ، ويقيناً ورغبةً وتصديقاً بشرع السَّماء ، وكرامة وزلفىٰ وأَثَرة عند اللّـه. وهذه مِنَّة من اللّـه (جلَّ شأنه) يجب شكرها.

وهلمَّ معي لنكشف نقاب بعض طوائفها ؛ المُترادفة عقلاً مع ما تقدَّمها وما يتلوها ؛ ليعضد بعضها الآخر لترتقي من درجات اليقين الحاصلة من نفس طائفتها إِلى درجات أَرقىٰ من اليقين والقطع العقلي والوحياني اللامتناهي[1] ، ونخرج بعض لبابها وشذرات من دررها.

→ وجرأة على الشريعة القويمة ، وهتك لأَستار السُّنَّة الكريمة ، ولو مشينا مع ذلك الكم الهائل من بيانات الوحي كما تشاء الصناعة العلميَّة والقواعد الأُصوليَّة لوجدنا منها الكم الغفير مقطوع الصدور والدلالة بالقطع العقلي ، بل الوحياني من خلال التَّرادف العقلي وغيره ، ومن ثَمَّ لا يبقىٰ مجال لموقف الشَّكّ ، أَو ميداناً لمُشكِّكٍ.

(١) إِنَّ اليقين والقطع بعدما كانا على درجات ومراتب لا متناهية فتلك البيانات الوحيانيَّة المُتقدِّمة وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) وإِنْ كانت كُلُّ طائفةٍ تورث بنفسها اليقين والقطع العقلي ، بل والوحياني ، لكن : بضم بعضها إِلى الآخر ستحصل درجات ومراتب أَرقىٰ من اليقين والقطع العقلي والوحياني اللامتناهي. فالتفت ، واغتنم.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة انعكاسات لصفات الذَّات المُقدَّسة

صفات أهل البيت عليهم السلام وشؤونهم تجلِّيات لصفات وشؤون الذَّات الإلهيَّة

الطَّائفة الأُولىٰ ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) في خطبةٍ في جامع البصرة : «**معاشر المؤمنين والمسلمين : إِنَّ اللّٰـه (عزَّوجلَّ) أَثنىٰ على نفسه فقال: «هو الأَوَّل ... والآخِر ... والظَّاهر ... والباطن ... سلوني قبل أَنْ تفقدوني ، فأَنا الأَوَّل ، وَأَنا الآخر»** ، إِلى آخِر كلامه ، فبكىٰ أَهل البصرة كلّهم، وصلّوا عليه»[1].

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وأَنا ... قلب اللّٰـه وبابه الَّذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سُجَّداً أَغْفِر لكم خطاياكم وأَزيد المحسنين ...**»[2].

ثالثاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... ولولا مَا نَهَىٰ اللّٰـهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكيةِ المَرءِ نَفسَهُ؛ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائلَ جَمَّةً ، تَعرِفُهَا قُلُوب المُؤمِنينَ ، ولا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعينَ ، فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ، فَإِنَّا صَنَائعُ رَبِّنَا ، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ...**»[3].[4]

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ ح٢٠. مناقب آل أَبي طالب ، ١ : ٥١٢ ـ ٥١٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ ح٢٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٣ : ٥٨/ ح٣٩٨. نهج البلاغة/ باب : المختار من الكتب : ٤١٣/ كتاب : (٢٨).

(٤) قال صاحب البحار مُعَلِّقاً على عجز هذا المقطع : «هذا كلام مشتمل على أَسرار عجيبة من غرائب شأنهم الَّتي تعجز عنها العقول ...».

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فَضْلِنَا ما شِئْتُم؛ فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ... لا تُسَمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا مَا شِئْتُم ؛ فإِنَّكم لَنْ تبلغوا مِنْ فضلنا كُنْه ما جعله اللّـه لنا ، ولا معشار العشر...**»[١]. [٢]

خامساً : بيانهم عليهم السلام : «**لنا مع اللّـه حالات : هو هو ، ونحن نحن ، وهو نحن ، ونحن هو**»[٣].

سادساً : بيان أَبي جعفر عليه السلام ، عن أَبي حمزة ، قال : «سئلتُ أَبا جعفر عليه السلام عن قول اللّـه : ﴿**وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا**﴾[٤]، قال: **تفسيرها في بطن القرآن : عَلِيّ هو ربُّه في الولاية والطَّاعة ، والرَّبُّ هو : الخالق الَّذي لا يوصف**»[٥].

سابعاً : بيان تفسيرهم صلوات اللّـه عليهم لبيان قوله تعالىٰ :« ﴿**أَمَّا**

← وقال ابن أَبي الحديد في شرح عجز هذا المقطع ، ١٥: ١٩٤ : «هذا كلام عظيم ، عالٍ على الكلام ، ومعناه عالٍ على المعاني ...».

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٢) **ينبغي الإِلتفات** : أَنَّ هذا البيان ثبت بالاستقراء اليسير ، وفي بعض المصادر الحديثيَّة : أَنَّ له إِثني عشر طريقاً.

(٣) مصباح الهداية : ١١٤.

(٤) الفرقان : ٥٥.

(٥) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٣٦٩ ـ ٣٧٠/ ح١٤. بصائر الدرجات : ٢١ ـ ٢٢.

مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾[١] ... : يرد إلى أَمير المؤمنين عليه السلام فيُعذِّبه عذاباً نكراً حتَّىٰ يقول : ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾[٢] ... أَي: من شيعة أَبي تراب»[٣].

ثامناً : بيان النَّاحية المُقدَّسة : «... **ونحن صنائع ربُّنا ، والخلق بَعْدُ صنائعنا**»[٤].

تاسعاً : بيان دعاء أَيّام شهر رجب ، عن النَّاحية المُقدَّسة أَيضاً ، الوارد في حَقِّ أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ... بما نطق فيهم من مشيئتِكَ ، فجعلتهم معادنَ لكلماتِكَ ، وأَركاناً لتوحيدكَ ، وآياتكَ ومقاماتكَ الَّتي لا تعطيل لها في كُلِّ مكانٍ ، يَعْرِفُكَ بها مَنْ عَرَفَكَ ، لَا فرق بينكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادُكَ وَخَلقُك ، فتقُها وَرَتقُها بيدِكَ ، بدؤها مِنكَ وعودُها إِلَيْكَ ... فبهم ملأَتَ سماءكَ وَأَرضكَ حتَّىٰ ظهر : أَن لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ...**»[٥].

ودلالتها قد اِتَّضحَت ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة نظام عَالَم الخلقة

---

(١) الكهف : ٨٧.

(٢) النبأ : ٤٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٦٢ ـ ٢٦٣/ح٢٠. كنز الفوائد : ٣٦٩.

(٤) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٨/ح٩. غيبة الشَّيخ : ١٨٤ ـ ١٨٥. الإِحتجاج : ٢٥٣.

(٥) بحار الأَنوار ، ٩٥ : ٣٩٣.

والوجود والإمكان على الإطلاق قاطبة ، ووسائط الفيض الإلٰهيّ الفاردة ، والوسيلة الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة ، ووجه اللّٰـه ، والسَّبيل والسَّبب والحجاب والرباط الإلٰهيّ التَّكويني الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ[1] ـ (جلَّ وتقدَّس) وبين جملة العوالم وطُرّ المخلوقات كانت تلك الطَّبقات خالصة من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، وانمحت لشدَّة خلوصها ماهيَّاتها وذواتها الممكنة ؛ فلم يُرَ فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) ، وفنيت في الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة فناء حكاية أَنعكست فيها جميع صفات وأَسمآء وشؤون الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة إلَّا الأُولوهيَّة ،

---

(١) **ينبغي الإلتفات** : أَنَّ استعمال الإسم الإلٰهيّ كـ : اسم (اللّٰـه) على نحوين ، فتارة يُطلق ويُراد به المُسَمَّىٰ ، وما وراء الإسم الإلٰهيّ ، أَي : الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأُخرىٰ يُطلق ويُراد به نفس الإسم الإلٰهيّ ، وهو : مخلوق عظيم وخطير ومهول جِدّاً ، من مخلوقات عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ، يحكي الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة من وجهٍ ، مهيمن على ما تحته من عوالم ومخلوقات ، ويتصرَّف فيها تصرُّف اللَّطيف في الأَغلظ ، فهو : «داخل فيها لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارج عنها لكن لا بالمزايلة والمفارقة».

والاستعمال الأَوَّل هو الأَكثر إنسباقاً إلى الذهن ، وهو استعمال آلي وطريقي للوصول إلى ما وراء حقيقته وواقعيَّته الشَّريفة ، والاستعمال الثَّاني موضوعي.

ثُمَّ إنَّه ينبغي الإلتفات أَيضاً : أَنَّ الآليَّة والموضوعيَّة ليست في لفظ الإسم الإلٰهيّ المقدَّس ، ولا في معناه ، بل في ما وراء المعنىٰ من واقعيَّة وحقيقة مُقدَّسة ، فينظر إلى تلك الواقعيَّة والحقيقة المُقدَّسة تارة بما هو آية وعلامة مشير وحاكي للذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وأُخرىٰ بما هو هو كواقعيَّة وحقيقة ووجود مُقدَّس ، مخلوق خطير ومهول وعظيم جِدّاً من عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإلٰهيَّة ؛ عَالَمَ السَّرمد والأَزَل ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ : عنوان : (عنده). فالتفت.

لخروجها تخصُّصاً وموضوعاً ، فكما أَنَّ اللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة هو : (اللّٰـه ، رحمٰن ، رحيم ، ملك ، قدوس ، سلام ، مؤمن ، مهيمن ، عزيز ، جبَّار ، مُتكبِّر ، خالق ، بارئ ، مصوِّر ، غفَّار ، قهَّار، وهَّاب ، رزَّاق ، فتَّاح ، عليم ، قابض ، باسط ، خافض ، رافع ، معز ، مذل ، سميع ، بصير ، لطيف ، خبير ، عظيم ، عَلِيّ ، مقيت ، رقيب ، مُجيب ، شهيد، حقٌّ ، قويٌّ ، متين ، محصي ، محي ، مميت ، حيّ ، قيُّوم ، واحد ، صمد ، قادر ، مقتدر ، أَوَّل ، آخر ، ظاهر ، باطن ، توَّاب ، منتقم ، عفو ، رؤوف ، غني ، مغني ، مانع ، ضار ، نافع ، هادي ، باقي ، بديع ، وارث) وهلمَّ جرّاً من بقيَّة الأَسمآء الإِلٰهيَّة الحُسنىٰ ، وموصوف بما يلائمها من الصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة المقدَّسة كذلك طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة تتَّصف بهذه الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة المقدَّسة ، وتفعل أَفاعيلها ، لكن لا بالأَصالة ، بل بالتَّبع وبالتَّجَلِّي والظُّهور والإِفاضة ، كرماً وعطيَّة من الذَّات الإِلٰهيَّة المقدَّسة ، وتفعل أَفاعيلها بإِذن الواحد الأَحد (عزَّ ذكره).

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) ، فإِنَّه سُئِلَ عن العَالَمَ العلوي فقال : «**صور عارية من المواد ، عالية عن القُوَّة والإِستعداد ، تجلَّىٰ لها فأَشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وأَلقىٰ في هويَّتها مِثاله فأَظهر عنها أَفعاله ...**»[1].

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٦٥.

نظيره :

أَوَّلاً : المرآة شديدة : الصقل ، والصَّفاء ، والفناء ، والحكاية ، والإِنعكاس ؛ فإِنَّها بعدما كانت فانية فناء حكاية في محكيِّها ، فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها انطبعت فيها كافَّة صفات وشؤون محكيِّها ـ الشَّاخص الخارجي ـ ، وأَخذت صورتها بالتَّبع جملة صفاته وأَسمائه وشؤونه إِلَّا ما خرج موضوعاً وتخصُّصاً.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان خطبة أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه : «**الحمدُ للّٰـه الَّذي ... تتلقَّاه الأَذهان لا بمشاعرة ، وتشهد له المرائي لا بمحاضرة ، لم تحط به الأَوهام ، بل تجلَّىٰ لها بها ، وبها امتنع منها ، وإِليها حاكمها ...**»[1].

ثانياً : (الصَّرح) الوارد في قضيَّة بلقيس مع النَّبيّ سليمان عليه السلام ، الواردة في بيان قوله جلَّ قوله : ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]، فإِنَّه لشدَّة خلوصه وصفائه وانعكاسه وتمرُّد وفناء ذاته في الحكاية ، فلم يُرِ نفسه ، بل محكيِّه ـ اللُّجَّة ، أَي:

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ٢٦١/ ح٩.

(٢) النمل : ٤٤ .

الماء الغزير ـ انعكست فيه[١] جميع صفاته[٢] وأَسمائه وشؤونه ، فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ؛ وأَنَّه : (صرح مُمَّرد) تمرَّدت ذاته وفنيت في حكاية ذيه آمنت بالله تعالىٰ من دون نظر وتدبُّر ومهلة وتردُّد ؛ لإلتقاطها إِشارة معرفيَّة توحيديَّة إِلى معنىٰ تجلِّي وظهور الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة.

ومنه يتَّضح : ما تقدَّم من بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قولهم عليهم السلام : «... **هو هو ، ونحن نحن ، وهو نحن ، ونحن هو**» ؛ فإِنَّه لَـمَّا لم يكن هناك فارق بين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وبين طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة من جهة الحكاية ـ لا من جهة التَّحَقُّق والواقع ـ كان اللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ ثناؤه) : (هو نحن ، ونحن هو)، لكنَّه لَـمَّا كان من جهة التَّحَقُّق والحقيقة والواقع ؛ وأَنَّ الحاكي غير المحكي صار : (هو هو ، ونحن نحن) ، فاللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ اسمه) إِلٰه وخالق ومعبود ، وأَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) بجميع طبقاتهم منها الصَّاعدة مألوهين وعباد مخلوقين ، وصفاته (تعالىٰ ذكره) بالذَّات والأَصالة ، وصفاتهم عليهم السلام بالغير وبالتَّبع وحكاية ووجود ظلِّي لصفاته تعالىٰ ، وهو (جلَّ

---

(١) مرجع ضمير : (فيه) : (الصرح) ، كمرجع الضمائر المُتقدِّمة ؛ المُتصلة بكلمة : (فإِنَّه) و(صفائه) و(انعكاسه) و(ذاته). و(نفسه) و(محكيِّه).

(٢) مرجع الضمير المُتَّصل بكلمة : (صفاته) و(أسمائه) و(شؤونه) و(لتتخطَّاه) : المحكي ، وهو : اللُّجَّة ، أَي : الماء الغزير والوفير.

ذكره) غنيّ بالذَّات ، وهم صلوات اللّـه عليهم وإِنْ كانوا أَغنياء عن بقيَّة المخلوقات لكنَّهم فقراء ومحتاجين إِليه (علا ذكره).

وعلى هذا قس بيان النَّاحية المُقدَّسة : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ... بما نطق فيهم من مشيئتِكَ ، فجعلتهم ... آياتِكَ ومقاماتِكَ ... يعرفكَ بِها من عرفَكَ، لا فرق بينَكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادكَ وخلقكَ ...**».

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**هو : الأَوَّل ، والآخر ، والظَّاهر ، والباطن ، سلوني قبل أَنْ تفقدوني ؛ فأَنا : الأَوَّل وأَنَا الآخر ...**» ؛ فإِنَّه لَـمَّا كان هناك إِتِّحاد في الحكاية بين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وطبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة انعكست ـ في هذه الطَّبقات ـ جميع أَسماء وصفات وشؤون الذَات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ واتَّصفت بأَسمآء وصفات وشؤون الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (عزَّ وجهه) ؛ فكما هو : (الأَوَّل ، والآخر ، والظَّاهر ، والباطن) كذلك أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) ، لاسيما أَمير المؤمنين رأس الهرم بعد سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهما وعلى آلهما) ؛ فإِنَّه عليه السلام بلحاظ تلك الطَّبقات الشَّريفة هو : (الأَوَّل ، والآخر ، والظَّاهر ، والباطن).

وعلى هذا قس بيانه (صلوات اللّـه عليه) الآخر : «... **وأَنَا ... قلب اللّـه وبابه الَّذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سُجَّداً أَغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ...**» ؛ فإِنَّه بعدما انعكست كافَّة الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة إِلَّا الأُلوهيَّة في طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ لاسيما

طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) الصَّاعدة كان الاسم الإلٰهي : (الغفَّار) و(المحسن) بعض تلك الأَسمآء الإلٰهيَّة المُنعكسة في تلك الطَّبقات ، ومن ثَمَّ مَنْ يُطيعه عليه السلام يغفر له خطاياه ما تقدَّم منها وما تأَخر ويزيد المحسنين ، كُلُّ ذلك بإذن اللّـه (جلَّ قدسه) وبقوَّته وفضله ومدده وعطائه. فافهم ، وتأَمَّل جيِّداً.

وبيان الإمام الباقر عليه السلام المُفسِّر لبيان قوله عزَّ قوله : ﴿**وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا**﴾ قال: «**تفسيرها في بطن القرآن : عَلِيّ هو ربُّه في الولاية والطَّاعة ، والرَّبُّ هو : الخالق الَّذي لا يوصف**».

وبيان تفسيرهم (صلوات اللّـه عليهم) لبيان قوله تعالىٰ : ﴿**أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**﴾ «... : **يرد إلى أَمير المؤمنين** عليه السلام **فيُعذِّبه عذاباً نكراً حتَّىٰ يقول** : ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ أي : من شيعة أَبي تراب».

فإِنَّ من ضمن الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإلٰهيَّة المُنعكسة في طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة لاسيما طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) الصَّاعدة الاسم الإلٰهي : (الرَّبّ) ؛ القاضي بإدارة شؤون عوالم الخلقة والمخلوقات ، والاسم الإلٰهي : (الخالق) و (شديد العقاب) ، ويفعلون (صلوات اللّـه عليهم) ما يقتضيانه بحقِّ مَنْ يستحق كُلّ ذلك بـ : إِذن اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ وقوَّته وفضله ومدده وعطائه (تبارك اسمه).

ثالثاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **لا تجعلونا أَرباباً وقولوا في فَضْلِنَا ما شِئْتُم؛ فإِنَّكم لا تبلغون كُنْه ما فينا ولا نهايته ... لا تُسَمُّونا أَرباباً وقولوا في فضلنا مَا شِئْتُم ؛ فإِنَّكم لَنْ تبلغوا مِنْ فضلنا كُنْه ما جعله اللّـه لنا ، ولا معشار العشر**...» فإِنَّ من ضمن الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة المُنعكسة في طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة : (اللاتناهي) ؛ فكما أَنَّ الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّت آلاؤه) لا متناهي من حيث : الذَّات والأَسمآء والصِّفات والأَفعال والشؤون ، ولا يُحاط به (جلَّ شأنه) ولا يُبلغ كُنْه ما فيه ولا نهايته كذلك تلك الطَّبقات الشَّريفة المُقدَّسة ؛ فمهما وُصِف أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) بلحاظ تلك الطَّبقات لا يبلغ الواصف كُنْه ما فيهم ولا معشار العشر ولا نهايته.

ومنه يتَّضح : وجه الجمع بين هذا البيان الوحياني الشَّريف وما تقدَّمه من البيانين الوحيانيين المُفسِّرين لبيانات القرآن الكريم المُتقدِّمة ؛ فإِنَّ ذينك البيانين ناظرين إِلى الاسم الإِلٰهيّ : (الرَّبّ) بما هو اسم إِلٰهي تتَّصف به طبقات حقائق أَهل البيت لاسيما طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة، بخلاف بيان أَمير المؤمنين عليه السلام هذا في قوله : «... **لا تجعلونا أَرباباً** ...» فإِنَّه ناظر إِلى (الرَّبِّ) ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وعلا) أَي : الإِلٰه ؛ صاحب : (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، فارتفع التنافي ؛ لعدم إِتحاد الموضوع.

رابعاً : بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**فإِنَّا صنائعُ رَبِّنَا والنَّاس بعد صنائع لنا** ...» ، وبيان النَّاحية المُقدَّسة : «... **ونحن صنائع ربِّنا ، والخلق**

بَعْدُ صنائعنا».

فإنَّه بعدما لم تكن هناك واسطة بين الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ؛ وبين طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة كان اللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ جلاله) هو الَّذي يتولَّىٰ شؤون تلك الطَّبقات وإدارة أُمورها من خلق وإماتة وإحياء وإيجاء وأَرزاق وما شاكل ذلك ، فكان هو (تبارك وتعالىٰ) : (الصَّانع لهم ، والمتولِّي لشؤونهم وأَحوالهم صلوات اللّٰـه عليهم). بخلاف جملة العوالم وكافَّة المخلوقات ؛ فإنَّه لَـمَّا كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المُتوسطة والنَّازلة : (نظام عَالَم الخلقة والإمكان والوجود ، ووسائط الفيض الإلٰهي الأَقدس التَّكوينيَّة الحصريَّة ، والعلل الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الفاعلة ـ كما سيأتي (إنْ شاء اللّٰـه تعالىٰ) ـ ، والوسيلة الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الفاردة ، ووجه اللّٰـه ، والباب والسَّبيل والسَّبب والحجاب والرباط الإلٰهيّ التَّكويني الحصري الأَدنىٰ) بين الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة وبين مُطلق العوالم وكافَّة المخلوقات بقَضِّها وقضيضها كان كُلُّ ما يصدر ـ ولو كان مثقال ذرَّة ولا أَصغر من ذلك ولا أَكبر ـ من الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة باتجاه جملة عوالم الخلقة وجميع المخلوقات من خلق وإماتة وإحياء وإيجاء ، وتزريق المعارف والمعلومات والعلوم ، وأَرزاق ، ورحمة وعذاب وهلمَّ جرّاً من الفيوضات الإلٰهيَّة وإدارة شؤونها لا يكون إلَّا عن طريق هذه الطَّبقات والحقائق الحيَّة الشَّاعرة ، القابضة والباسطة والفاعلة بإذن اللّٰـه وقوَّته ومدده؛ فكان من الطَّبيعي أَن يكون مُطلق عَالَم الإمكان والوجود ؛ والخلائق

وعوالمها صنائع لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ؛ من دون غلوّ ولا ارتياب ولا تردُّد ولا إِشكال ؛ فإِنَّ ما تفعله هذه الطَّبقات الصَّاعدة من حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ليس من باب : (ما منه الوجود أَصالة وبالذَّات) ؛ فإِنَّ هذا من مختصَّات الذَات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وإِنَّما من باب : (ما منه الوجود حكاية وبالغير) ، وهذا تتمتَّع به المخلوقات المكرَّمة ، رأس هرمها : (طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسِّطة والنَّازلة) ؛ فإِنَّها تفعل وتتصرَّف وتفيض طرّ الخير والوجود ، وكُلّ ما يتعلَّق بشؤون المخلوقات وعوالمها ، لكن بمشيئةٍ وإِرادةِ وبعطاءٍ ومددٍ من الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المقدَّسة ، فهم (صلوات اللّـه عليهم) لا يشاؤون إِلَّا ما شاء اللّـه ، ولا يريدون ولا يفعلون إِلَّا ما أَراد اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ شأنه). فتدبَّر جيِّداً.

ويضاف إِليه : أَنَّ الخلق والإِماتة والإِحياء والإِيجاء وما شاكلها من الأَفعال الإِلٰهيَّة المُتعلِّقة بالمخلوقات تحتاج إِلى : محاذات وقرب ، وملامسة وملابسة ، ومباشر وتباشر ، والباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (علا ذكره) منزَّه عن جميع ذلك بالضرورة الوحيانيَّة والعقليَّة ؛ لاحتياجها إِلى حركة وقرب وبُعد.

فانظر : بيانات الوحي الباهرة ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، في جوابه على سؤال الزنديق حين سأله : «... فيُعَانِي الأَشْيَاءَ بنفسه؟ قال أَبوعبداللّـه عليه السلام: **هُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُعاني الأَشياء بمباشرة ومُعَالجَةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المَخْلُوقِ الَّذي لا تجيءُ الأَشياءُ له**

إِلَّا بالمباشرةِ والمُعَالجَةِ ، وهُوَ مُتَعَالٍ نافِذُ الإِرَادَةِ والمَشيئَةِ ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ»[1].

ومن ثَمَّ أَوكَلَ (تعالىٰ ذكره) مَهامَّها وأُمورها ـ كـ : خلقها وإِحيائها وإِماتتها ، وما يتعلَّق بجميع أَحوالها وشؤونها وشراشرها ـ إِلى مخلوقاته المُكرَّمة ، رأس هرمها : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة ؛ فكانت يد اللّـه المبسوطة على العباد ، وقواه الفاعلة في مُطلق شؤون العوالم وسائر المخلوقات بإِذنٍ ومددٍ وعطاءٍ منه (جلَّ وتقدَّس) ، فلذا كانت طُرُّ المخلوقات : (صنائع لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم) ، من دون غلوّ ولا ارتياب ولا تردد ولا إِشكال.

والفارق بين عطاء اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (تبارك وتعالىٰ) وأَفعاله ؛ وبين عطاء طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وأَفعالها هو : ما تقدَّم وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) من الفارق بين : (ما منه الوجود أَصالة وبالذَّات)، و(ما منه الوجود حكاية وبالغير) ، والأَوَّل من مختصَّات الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ليس إِلَّا ، والثَّاني وجود ظلِّي تتمتَّع به المخلوقات المكرَّمة ، وحينئذٍ لا غلوّ في البين بعدما كان الجميع منه (عظمت آلاؤه) ، كحال ما يقوم به (إِسرافيل عليه السلام) في درجات ومراتب الإِحياء النَّازلة ، وما يقوم به (عزرائيل عليه السلام وجنده) في درجات الإِماتة بطبقاتها النَّازلة ، وما يقوم به (روح القدس ـ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ) في درجات الإِيحاء

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٠ : ١٩٤ ـ ١٩٩/ ح٣. أُصول الكافي ، ١ : ٥٩ ـ ٦١/ ح٦. التوحيد : ٢٤٨ ـ ٢٥٣.

المتوسِّطة ، وما يقوم به (جبرئيل عليه السلام) في مراتب الإِيحاء النَّازلة ، وما يقوم به (ميكائيل عليه السلام) في إِنزال الأَرزاق بطبقاتها النَّازلة على المخلوقات ، وما يقوم به (مالك عليه السلام وأَعوانه) من العذاب في جهنَّم بمراتبه النَّازلة ، وما يقوم به (رضوان عليه السلام) من نعيم الجنان بدرجاته النَّازلة ، وهلَّم جرّاً ، فإِنَّ هذه الشؤون والأَفعال لا تكون إِلَّا بإِذن الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وبقوَّةٍ وعطاءٍ وفضلٍ وكرمٍ ومددٍ من اللّٰـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ اسمه) ليس إِلَّا ، عبر طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وتتبعها حقائقها المتوسِّطة والنَّازلة.

وينبغي الإِلتفات : أَنَّ أَفعال طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) أَرفع وأَشف وأَلطف ، وأَشَدُّ قوَّة وهيمنة من دون قياس مِمَّا تأتي به بقيَّة المخلوقات المُكرَّمة ؛ فإِحياء أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) وإِماتته ، الواردان في بيان قوله عليهم السلام : «... **وأَنَا أُحيي وأُميت** ...»[1] أَعلىٰ وأَرفع ، وأَشَّف وأَلطف ، وأَشَدُّ قوَّة وهيمنة من دون قياس من إِحياء (إسرافيل عليه السلام) وإِماتة (عزرائيل عليه السلام).

ومنه يتَّضح : كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ، منها :

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، عن الحارث الأَعور ، قال : «أتيت أَمير المؤمنين عليه السلام فقال : **ما جاء بك؟** فقلت : حُبُّكَ ، فقال : **اللّٰـه اللّٰـه ما جاء بك إِلَّا حُبِّي؟** فقلت : نعم ، فقال : **أَمَا إِنِّي سأُحدّثُكَ بشكرها ، إِنَّه لا يموت عبد**

(١) بحار الأَنوار ، ١٠٣ : ٣٤.

يُحبّني حتَّىٰ يراني حيث يحبّ ، ولا يموت عبد يبغضني حتَّىٰ يراني حيث يكرهه»[1].

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإنَّه (صلوات اللّٰـه عليه) لَـمَّا كان هو القابض للأَرواح والمميت بدرجات الإماتة الصَّاعدة ، وبطبقات حقيقته عليه السلام الصَّاعدة والَّتي يُمثِّل بعضها الاسم الإلٰهي المميت ؛ فإنْ كان الميِّت مؤمناً ومحبّاً له ولأَهل بيته (صلوات اللّٰـه عليهم) تجلَّىٰ عليه السلام له بلحاظ تلك الطَّبقات، وحضر عنده بأَسمآء الجمال الإلٰهيَّة كإسم : (الرحمٰن ، والرَّحيم ، والرَّافع ، والمعز ، والغفور ، والبَرّ ، والشكور ، والودود ، والولي ، والحميد ، والعفو ، والرؤف ، والمغني ، والنَّافع ، والنُّور ، والهادي ، والباقي ، والوارث ، والرشيد). وإنْ كان كافراً ومبغضاً له ولأَهل بيته (صلوات اللّٰـه عليهم) تجلَّىٰ عليه السلام له بلحاظ تلك الطبقات ، وحضر عنده بأَسمآء النقمة والعذاب ، كإسم : (المُتكَبِّر ، والقَهَّار ، والخافض ، والمُذل ، والمُقيت ، والحسيب ، والقوي ، والمتعال ، والمنتقم ، والمانع ، والضَّار).

وهذه وغيرها نكات ونتف معرفيَّة توحيديَّة لا زالت بكراً لم تفضَّ من قَبْل قَطُّ ، خذها واغتنم ، وعضّ عليها بضرس قاطع تربت يداك.

خلط الملائكة بين الذات المُقدَّسة وحقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة

ومن كُلِّ ما تقدَّم تتَّضح : نكتة حصول الخلط والإشتباه لدىٰ جملة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٢٢/ح١٠٦.

الملائكة عليهم السلام ـ منهم المُقرَّبين ؛ كـ : إسرافيل وجبرئيل عليهما السلام ، مع أَنَّ الجميع معصومون ـ وعدم تمكُّنهم من التمييز بين صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون: (الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) ، وبين صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون : (طبقات حقائق سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة) ؛ والنكتة هي ما تقدَّم : من أَنَّ جملة صفات وأَسمآء وكمالات وشؤون الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ـ إِلَّا الأُلوهيَّة ـ قد انعكست وتجلَّت وظهرت في تلك الطبقات المهولة العظيمة الخطيرة الشَّريفة إِفاضة من الذَّات المُقدَّسة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **أَوَّل ما خلق اللَّـه عزَّوجلَّ : خلق أَرواحنا ... ثُمَّ خلق الملائكة فلمَّا شاهدوا أَرواحنا نوراً واحداً استعظموا أَمرنا فسبَّحنا ؛ لتعلم الملائكة : أَنَّا خلق مخلوقون ، وأَنَّه مُنزَّه عن صفاتنا ، فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا ونزَّهته عن صفاتنا ، فلمَّا شاهدوا عظم شأننا هلَّلنا؛ لتعلم الملائكة : (أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه) وأَنَّا عبيد ، ولسنا بآلهة يجب أَن نُعبد معه ، أَو دونه، فقالوا : (لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه) ، فلمَّا شاهدوا كبر محلّنا كبَّرنا ؛ لتعلم الملائكة : أَنَّ اللَّـه أَكبر من أَنْ ينال عظم المحل إِلَّا به ، فلمَّا شاهدوا ما جعله لنا من العزَّة والقوَّة قلنا : (لا حول ولا قوَّة إِلَّا باللَّـه) ؛ لتعلم الملائكة : أَن لاحول لنا ولا قوَّة إِلَّا باللَّـه ، فلمَّا شاهدوا ما أَنعم اللَّـه به علينا وأَوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا : (الحمد للَّـه) ؛ لتعلم الملائكة : ما يحقُّ للَّـه تعالىٰ ذكره علينا من الحمد على نعمته فقالت الملائكة : (الحمد للَّـه) ، فبنا اهتدوا**

إلى معرفة توحيد اللَّـه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده ...»[١].

٢ـ بيان حديث المعراج ، عن الإمام الصادق عليه السلام : «... إنَّ اللَّـه (العزيز الجبَّار) عرج بنَبيِّه إلى سبعاً ... ثُمَّ عرج به إلى السمآء الدُّنيا فنفرت الملائكة إلى أَطراف السمآء ثُمَّ خرَّت سُجَّداً فقالت : (سبُّوح قدوس ربّنا وربّ الملائكة والروح) ، ما أَشبه هذا النُّور بنور ربّنا. فقال جبرئيل عليه السلام: (اللَّـه أكبر ، اللَّـه أكبر). فسكتت الملائكة ، وفتحت أَبواب السَّمآء ، واجتمعت الملائكة ثُمَّ جاءت فسلَّمت على النَّبيّ صلى الله عليه وآله أَفواجاَ ... ثُمَّ عرج به إلى السمآء الثانية ، فلَمَّا قرب من باب السمآء تنافرت الملائكة إلى أَطراف السَّمآء وخرَّت سجَّداً وقالت: (سبُّوح قدوس ربّ الملائكة والرُّوح ، ما أَشبه هذا النور بنور ربّنا). فقال جبرئيل عليه السلام : (أَشهد أَنْ لا إلٰه إلَّا اللَّـه ...) فاجتمعت الملائكة وفتحت أَبواب السمآء ، وقالت : يا جبرئيل ، مَنْ هذا معكَ ؟ فقال : هذا محمَّدٌ صلى الله عليه وآله ... قال : رسول صلى الله عليه وآله : ... ثُمَّ عُرج بي إلى السَّمآء الثالثة فنفرت الملائكة إلى أَطراف السَّمآء ، وخرَّت سجَّداً ... ثُمَّ عُرج بي إلى السَّمآء الرابعة...»[٢].

٣ـ بيان حديث المعراج ، عن الإمام الصادق عليه السلام أَيضاً : «... إنَّ رسول اللَّـه صلى الله عليه وآله كان نائماً في ظلِّ الكعبة ، فأَتاه جبرئيل عليه السلام ... فأَيقظه ... ثُمَّ صعد به حتَّىٰ انتهىٰ إلى أَبواب السَّمآء ، فلَمَّا رأته الملائكة نفرت عن أَبواب

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٧/ ح٥٦. علل الشرائع : ١٣ ـ ١٤. عيون أَخبار الرضا عليه السلام : ١٤٤ـ ١٤٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧٩ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢/ ح١. علل الشرائع ، ٢ : ٢ـ٦. الكافي ، ٣ : ٤٨٢ ـ ٤٨٦.

السَّمآء وقالت : (إِلٰهين ؛ إِلٰه في الأَرض وإِلٰه في السَّمآء ، فأمر اللَّـه جبرئيل فقال : (اللَّـه أَكبر...) ، فتراجعت الملائكة نحو أَبواب السَّمآء وعلمت أَنَّه مخلوق ؛ ففتحت الباب ، فدخل رسول اللَّـه ﷺ حتَّىٰ انتهىٰ إلى السَّمآء الثانية ، فنفرت الملائكة عن أَبواب السَّمآء فقالت : (إِلٰهين ؛ إِلٰه في الأَرض ، وإِلٰه في السَّمآء) فقال جبرئيل : (أَشهد أَنْ لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ...) فتراجعت الملائكة وعلمت أَنَّه مخلوق ثُمَّ فُتح الباب فدخل عليه السلام...»[1].

ودلالة الجميع قد اتَّضحت ، ولا غبار عليها ، فتأمَّل جيِّداً.

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغلو

لا شائبة ولا شبهة غلو في مقامات أَهل البيت عليهم السلام

ولخطورة هذه الأَبحاث المعرفيَّة والتَّوحيديَّة نُعيد ما ذكرناه سلفاً بشيءٍ من التَّفصيل ، فنقول : ثُمَّ إِعلم أَنَّه لا تُوجد في جملة هذه الأَبحاث وما سيأتي (إِنْ شاء اللَّـه تعالىٰ) أَيّ شائبة غلوّ ـ وخروج عن الجادَّة والمنزلة الوسطىٰ الَّتي ليلها كنهارها جادَّة ومنزلة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم، وهي الديانة الَّتي من تقدَّمها مرق ، ومن تخلَّف عنها محق ، ومن لزمها لحق ، والَّتي لا تخرج إِلى عوج، ولا تزيل عن منهج الحقّ ، ولا تجد لها بديلاً ، ولن تجد لها تحويلاً ، نعم، هي دقيقة الوزن ، حادَّة اللِّسان ، صعبة التَّرَقِّي حتَّىٰ على الحاذق اللَّبيب ـ لأَنَّنا نعضُّ بضرس قاطعٍ على ضابطةٍ وقاعدةٍ معرفيَّةٍ وعقليَّةٍ بديهيَّةٍ ، مستفادة من بيانات الوحي ، ضربها وقنَّنها علماء المعقول في

---

(١) تفسير العيَّاشي ، ١ / رقم : (٥٣١) : ١٧٧ ـ ١٧٨.

القرنين الأَخيرين في باب الغلوّ والتقصير ، تقدَّم بيانها في بابها ، مضروبة للتمييز بين الغلوّ والتقصير في صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ صاحب الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة (جلَّ ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه، وصفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه ، وهي : «أَنَّ صفات الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه تحكمها وواقعة في إِطار ضابطة : (ما منه الوجود) ، بخلاف صفات المخلوق وأَسمائه وأَفعاله وكمالاته وشؤونه فتحكمها وواقعة في إِطار ضابطة : (ما به الوجود)».

فصفة : (اللاتناهي) والأَسمآء ـ كالأَسمآء الذاتيَّة الواردة في سورة الإِخلاص : (الأَحد ، والصمد ، ولم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أَحَد) ـ والأَفعال والكمالات والشؤون إِذا نُسبت وأُسندت إلى الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وتقدَّس) كصفات وأَسماء وأَفعال وكمالات وشؤون إِلٰهيَّة فالمراد منها : (ما منه الوجود). أَمَّا إِذا نُسبت وأُسندت إِلى المخلوق كصفات وأَسمآء وأَفعال وكمالات وشؤون مخلوقة فالمراد منها : (ما به الوجود) ، وحينئذٍ لا إِشكال ولا شبهة ولا شائبة غلو في المقام ؛ بعدما أُفيضت وتجلَّت وظهرت وانعكست في المخلوق من الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فأين شائبة الغلوّ بعدما كان الجميع من ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

بل هذه الضابطة أُستحدثت في الآونة الأَخيرة وتوسَّعت بقاعدة وضابطة بديهيَّة أَيضاً ، أَكثر دِقَّة وغوراً وعمقاً ، وهي : «أَنَّ ما منه الوجود على ضربين : أَحدهما : (ما منه الوجود أَصالة وبالذات). الآخر : (ما منه

الوجود حكاية ومن الغير)».

والأَوَّل مختصٌّ ومنحصرٌ بـ : (الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة) أَزلاً وأَبداً.

وإِلى هذا تشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

٢ـ بيان قوله عزَّ قوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2].

ودلالتهما قد اتَّضحت.

والثَّاني وجود ظلِّي وحاكٍ ، يأتي في الممكنات ، مفاض عليها من ساحة القدس الإِلٰهيَّة.

نظيره : المرآة المنطبعة فيها صورة الشَّاخص الخارجي.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان قوله عزَّ من قائل الحاكي لخبر النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام في إِحتجاجه على بني إِسرائيل : ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي

---

(١) صٓ : ٧٢.

(٢) الزمر : ٤٢.

ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (١).

٢ـ بيان قوله تقدَّس ذكره : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (٢).

٣ـ بيان قوله تعالىٰ ذكره : ﴿كَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ (٣).

٤ـ بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٤).

ودلالة الجميع واضحة.

٥ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **يا أَيُّها النَّاس ، لعلَّكُم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إِلَّا مفتر ... أَنا موتم البنين والبنات ، أَنا قابض الأَرواح...**» (٥).

٦ـ بيانه صلوات اللَّـه عليه أَيضاً : «... **أَنَا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ، أَنا أُنبئكم بما تأكلون ، وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن ربِّي وأَنا عَالِم بضمائر قلوبكم، والأَئمَّة من أَولادي** عليهم السلام **يعملون ويفعلون هذا إِذا أَحَبُّوا وأَرادوا ...**» (٦).

---

(١) آل عمران : ٤٩.

(٢) الأَنعام : ٦١.

(٣) محمَّد : ٢٧.

(٤) السجدة : ١١.

(٥) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ٤٥/ ح١.

(٦) المصدر نفسه ، ٢٦ : ١ـ٧/ ح١.

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة ، ومضمونه نفس مضمون البيانات الوحيانيَّة المُتقدِّمة ، لا سيما البيان الأَوَّل ؛ فإِنَّ أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم لَـمَّا كانوا أَشرف وأَكمل المخلوقات ، وأَعلاها وجوداً ومقاماً ورتبةً ، وكانوا وسائط الفيض الإِلٰهي لجملة العوالم وسائر المخلوقات فما أُعطي لبقيَّة جملة المخلوقات من شرفٍ وعزَّةٍ وكمالٍ وفضلٍ ومقامٍ ورتبةٍ فبالأَولىٰ يُعطىٰ لهم صلوات اللَّـه عليهم وزيادة.

وهذا برهانٌ عقليٌّ بديهيٌّ.

ومن ثَمَّ ما تمتَّع به النَّبيّ عيسىٰ عليه السلام وبقيَّة المخلوقات المُكرَّمة ؛ منهم : إِسرافيل وعزرائيل عليهما السلام تمتَّع به أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وزيادة ؛ فيحيون ويميتون بفعلٍ أَلطف ، وأَعظم هيمنة ، وأَشدُّ سلطنة وقدرة وقوَّة على وفق القاعدة ؛ ومن دون أَيّ شائبة غلوّ في المقام.

بل البراهين والبيانات الوحيانيَّة قائمة على ذلك.

فلاحظ ، منها :

١ـ بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام ، عن الثمالي ، قال : «**قلتُ له : جُعِلْتُ فداك ، الأَئمَّة يعلمون ما يُضمر ؟ فقال : علمتُ واللَّـه ما علمت الأَنبياء والرُّسل ، ثُمَّ قال لي : أزيدكَ ؟ قلتُ : نعم. قال : ونزاد ما لم تزد الأَنبياء**»[1].

٢ـ بيان الإِمام الصادق عليه السلام : «**إِنَّ عيسىٰ بن مريم** عليه السلام **أُعطي حرفين**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٥٥/ ح١١٤. بصائر الدرجات : ٦٦.

كان يعمل بهما ، وأُعطي موسىٰ عليه السلام أَربعة أَحرف ، وأُعطي إِبراهيم عليه السلام ثمانية أَحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإِنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ جمع ذلك كلّه لمحمَّد صلى الله عليه وآله [١]، وإِنَّ اسم اللَّـه الأَعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، أَعطىٰ [٢] محمَّداً صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً ، وحجب عنه حرفاً واحداً»[٣].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

الإِماتة وبقيَّة الأَفعال الإِلهيَّة على طبقات

وَمِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح : أَنَّ الإِماتة على مراتب وطبقات ودرجات من حيث الغلظة واللطافة.

أَحدها : ما يقوم به جنود عزرائيل عليهم السلام.

ثانيها : أَلطف وأشف ، وهي : ما يقوم به عزرائيل عليه السلام.

ثالثها : أَلطف وأَشف مِمَّا يقوم به عزرائيل عليه السلام ، وهي : ما يقوم به الاسم الإِلٰهي (المميت) ، وهو : أَحد طبقات حقيقة أَمير المؤمنين وحقائق بقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة في مرتبة الأَسمآء والصفات الإِلٰهيَّة. وهذا ما تُشير إِليه بياناتهم صلوات اللَّـه عليهم ، منها : ما تقدَّم ، ويضاف إِليها : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام أَيضاً ، مُخاطباً الحارث الهمداني : «**يا**

---

(١) في البصائر : (وإِنَّه جمع اللَّـه ذلك لمحمَّد صلى الله عليه وآله وأَهل بيته).

(٢) في البصائر : (أَعطىٰ اللَّـه).

(٣) بحار الأَنوار ، ١٧ : ١٣٤/ح١١. أُصول الكافي ، ١ : ٢٣٠. بصائر الدرجات : ٥٧.

حار همدان ، من يمت يرني ، من مؤمن أَو منافق قبلاً»[١]. وبيانه صلوات اللَّـه عليه أَيضاً ، عن عبد الرحيم القصير ، قال : «قلت لأَبي جعفر عليه السلام: حدَّثني صالح بن ميثم ، عن عباية الأَسدي أَنَّه سمع عليّاً عليه السلام يقول : **واللَّـه، لا يبغضني عبد أَبداً يموت على بغضي إِلَّا رآني عند موته حيث يكره ، ولا يحبّني عبداً أَبداً فيموت على حبِّي إِلَّا رآني عند موته حيث يحب**. فقال أَبو جعفر عليه السلام: **نعم، ورسول اللَّـه صلى الله عليه وآله باليمين»**[٢].

رابعها : وهي الأَلطف والأَشدُّ على الإِطلاق والمهيمنة على جميع ذلك ما يقوم به : (الـمُميت) ـ الْمُسَمَّىٰ ـ صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة الْمُقدَّسة.

وعلى هذا قس الإِحياء وبقيَّة الأَفعال والصفات والأَسماء والشؤون[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦ : ١٨١.

(٢) المصدر نفسه ، ٣٩ : ٢٣٨/ ح٢٥. فروع الكافي ، ٣ : ١٣٢ـ١٣٣.

(٣) هناك خلط حصل لدىٰ البعض بين الفاعل بالآلة ـ كحال عزرائيل وإسرافيل وجندهما عليهم السلام ـ ، والفاعل بالتَّجلِّي ـ كحال الباري الْمُسَمَّىٰ (تعالىٰ ذكره) ، والأَسماء والصفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ وحكم بالوحدة.

والحقُّ : أَنَّ بينهما فرق وبون شاسع ؛ فإِنَّ الفاعل بالآلة ناقص ؛ لإِحتياجه إِلى حركة ، وقرب وبُعد ، ومُوازاة ، ومباشرة ومعالجة. بخلاف الفاعل بالتَّجلِّي ؛ فإِنَّه أَكمل أَنواع الفاعل ، ولا نقص فيه ؛ ومن ثَمَّ لا يحتاج إِلى جملة ذلك.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصادق عليه السلام في ردِّه على سؤال الزنديق : «... فما هو ؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **هو الرَّبُّ ، وهو الْمَعْبُود ، وهو اللَّـهُ** ... قال السَّائلُ : فيُعاني الأَشياء بنفسه ؟ قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : **هو أَجَلُّ من أَنْ يُعَانِيَ الأَشياء بمباشرةٍ ومعالجةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المخلوق الَّذي لا تجِيءُ الأَشياءُ** ←

فأَين الغلوّ في المقام.

نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام

إِنَّه لَـمَّا كانت هذه المعارف الإِلٰهيَّة بكراً لم تُفتق من قبل قطُّ بهذا الشَّكل والبيان الموجود في سلسلة المعارف الإِلٰهيَّة هذه ، ولم يُنبس بها ببنت شفة مع أَنَّ بيانات الوحي زاخرة بها فمن الطبيعي يحصل فيها توقُّف وتردُّد لدىٰ مَنْ يُخبر من ضعيفيِّ الإِيمان بمقاماتهم صلوات اللَّـه عليهم وبصفاتهم وأَسمائهم وكمالاتهم وفضائلهم وشؤونهم وأَحوالهم ؛ وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي.

مضافاً : أَنَّ ما جادت به يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة على أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم عطايا لا تتحمَّل تصوُّرها طاقة وقابليَّة مخلوق قَطُّ ، ولا يمكن خطورها على بالٍ قَطُّ فمن الطبيعي أَيضاً حصول توقُّف وتردُّد لدىٰ من يطَّلع عليها من ضعيفيِّ الإِيمان أَو يُخبر بها وإِنْ قام عليها الدَّليل القطعي.

بعد الإِلتفات : أَنَّ لازم ذلك التوقُّف والشَّكّ والتردُّد : إِلحاد وشرك وكفر باللَّـه (العزيز الجبَّار). وهذا ما نبَّهت عليه وحذَّرت منه بيانات الوحي ، منها:

١ـ إِطلاق بيان الحديث القدسي : «... **يا مُـحَمَّد ... وعزَّتي وجلالي، لو لقيني جميع خلقي يشكُّونَ فيكَ طرفة عين ، أَو يبغضون صفوتي مِنْ**

← **له إِلَّا بالمباشرةِ والمعالجةِ ، وهو مُتعَالٍ نافِذُ الإِرادة والمشِيئَة ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ**». أُصول الكافي ، ١ : ٥٩ـ ٦١/ ح٦.

ودلالته واضحة.

ذُرِّيَّتكَ لأَدخلتهم ناري ولا أُبالي...»[١].

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ : «**إِنَّ حديث آل مُـحمَّد صعب مستصعب ، لا يؤمن به إِلَّا مَلَك مُقَرَّبٌ ، أَو نَبِيٌّ مرسل ، أَو عبد امتحن اللَّـه قلبه للإِيمان... وإِنَّما الهالك : أَنْ يُحدَّث بشيءٍ منه لا يحتمله فيقول : واللَّـه ، ما كان هذا شيئاً ، والإِنكار هو الكفر**»[٢].

٣ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن يزيد ، قال : «**... يا جابر ، حديثنا صعب مستصعب ، أَمرد ، ذكوان ، وعر أَجرد ، لا يحتمله واللَّـه إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَل ، أَو مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَو مؤمن مُمتحن ، فإذا ورد عليك يا جابر شيءٌ من أَمرنا فلان له قلبكَ فاحمد اللَّـه ، وإِنْ أَنكرته فردَّه إِلينا أَهل البيت ، ولا تقل: كيف جاء هذا ؟ وكيف كان ؟ وكيف هو ؟ فإِنَّ هذا واللَّـه الشرك باللَّـه العظيم**»[٣].

ودلالتها واضحة.

وبالجملة : لعظم هول ما أُعطي لأَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وعظم خطره يحصل لدىٰ من يطَّلع عليها أَو يُخبر بها وإِنْ كان بدليل قطعيٍّ يقينيٍّ توقُّفاً أَو شَكّاً أَو تردُّداً أَو إِلحاداً أَو شركاً أَو كفراً بعضه جليّ ، والآخر خفيّ على دركات لا متناهية ، مشمولة ببيان قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٧/ ح١٠٠. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين : ٨٩ ـ ٩١.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٨٩/ ح٢١.

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٨/ ح١٠٢.

﴿بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[١]، يرجع إلى مدىٰ تحمُّل قابليَّات واستعدادات المخلوق.

حيلولة أَهل البيت عليهم السلام مِنْ نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها

ولأَجل الحيلولة من وقوع المخلوقات وفي طُرِّ العوالم ؛ في هذه المحاذير المعرفيَّة العقائديَّة الجسيمة الخطيرة الفادحة ، القاصمة للظهر ، بل لا تبقي ولا تذر منع أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها ، بل سيرتهم قائمة على ذلك.

فانظر : بيناتهم صلوات اللَّـه عليهم ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام في وصيَّته لكميل بن زياد : «... **يا كميل ، كُلّ مصدور ينفث ، فمن نفث إِليكَ مِنَّا بأمرٍ أَمركَ بستره فإِيَّاك أَنْ تبديه ، فليس لَكَ من إِبدائه توبة ، فإِذا لم تكن توبة فالمصير إِلى لظىٰ. يا كميل ، إذاعة سرّ آل مُـحمَّد عليهم السلام لا يقبل اللَّـه تعالىٰ منها ولا يحتمل أحداً عليها. يا كميل ، وما قالوه لكَ مطلقاً فلا تُعَلِّمه إِلَّا مؤمناً موفَّقاً ...**»[٢].

٢ـ بيان الإِمام زين العابدين عليه السلام : «... **فأنتم الآن العارفون الفائزون المستبصرون ، وأَنتم الكاملون البالغون ، اللَّـه اللَّـه لا تطّلعوا أَحداً من المقصِّرين المستضعفين على ما رأيتم مِنِّي ومن مُـحمَّد فيشنِّعوا عليكم**

---

(١) يوسف : ١٠٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٧٤ : ٢٧٠/ح١.

ويُكذِّبوكم ...»[١].

٣ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام : «**... ما سترنا عنكم أكثر مِمَّا أظهرنا لكم ...**»[٢].

٤ـ إطلاق بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**إنِّي لأُحدِّث الرَّجُل الحديث فينطلق فيُحدِّث به عنِّي كما سمعه ، فأستحلُّ به لعنه والبراءة منه**»[٣].

٥ـ إطلاق بيانه عليه السلام أيضاً ، عن داود بن كثير ، قال : «قال لي أبو عبداللّـه عليه السلام : **يا داود ، إذا حدَّثتَ عنَّا بالحديث فاشتهرت به فأنكره**»[٤].

٦ـ بيانه عليه السلام أيضاً ، عن أبي سعيد المدائني ، قال : «قال أبو عبداللّـه عليه السلام: **اقرأ موالينا السَّلام ، وأعلمهم : أنْ يجعلوا حديثنا في حصون حصينة ، وصدور فقيهة ، وأحلام رزينة ، والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ما الشَّاتم لنا عرضاً والنَّاصب لنا حرباً أشدُّ مؤونة من المذيع علينا حديثنا عند مَنْ لا يحتمله**»[٥].

ودلالة الجميع واضحة.

إنْ قلتَ : إنَّ ما تقومون به مشمول ببيانات الوحي هذه وغيرها ؛ فإنَّه

---

(١) بحار الأنوار ، ٢٦ : ١٦/ ح٢.

(٢) بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦/ ح١٣٣٨ ـ ٥. دلائل الإمامة ، الطبري : ٢٢٤ ـ ٢٢٦/ ح١٥١. الاختصاص : ٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٣) بحار الأنوار ، ٢ : ٧٩/ ح٧٥.

(٤) المصدر نفسه : ٧٥/ ح٥١.

(٥) المصدر نفسه، ٧٩/ ح٧٣.

إذاعة لسرِّ آل محمَّد صلوات اللّـه عليهم ، ونشر لبياناتٍ وحيانيَّةٍ نُهي الإصحار بها وتداولها عند المُقَصِّرة ومَنْ لا يحتملها فضلاً عن المغرضين والنَّواصب وأَعداء أَهل البيت عليهم السلام ، ومن ثَمَّ وجب عدم التَّعَرُّض لها والتَّحَدُّث عنها.

قلتُ : إنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة ناظرة لحالة قبل النشر واشتهار وتفشي ما تعرَّضنا له من بياناتٍ وحيانيَّةٍ ، أَمَّا بعد أَنْ انتشرت واشتهرت وتفشَّت في الكُتُب وفي المصادر الحديثيَّة ـ كما عليه الحال في يومنا هذا ـ ووقعت في يدِ مَنْ هبَّ ودبَّ ، لاسيما المُغرضين والمُقصِّرة والمُستضعفين ، والنَّواصب وأَعداء أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم وجب على مَنْ له المِكْنَة الدفاع عنها ، وبيان فلسفتها ونكاتها ونتفها المعرفيَّة والعلميَّة والعقليَّة ، لتُدفع أَو تُرفع الشبهات والإشكالات والتساؤلات الَّتي يمكن أَنْ تُثار ، بل وتُثار عليها ، وما يمكن أَنْ يُحوم حومها.

طبقات تحمُّل علوم أَهل البيت عليهم السلام

وبعبارة أُخرىٰ : أَنَّ بعض ما أُعطي لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم لا يحتمله إلَّا من كتب اللّـه في قلبه الإيمان.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**إنَّ أَمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلَّا من كتب اللّـه في قلبه الإيمان**»[1].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٥/ ح٤١.

وبعضها الآخر لا يحتمله إِلَّا نبيٌّ مرسلٌ ، أَو ملكٌ مُقَرَّب ، أَو مؤمنٌ مُـمتحنٌ.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها : ما تقدَّم.

وبعضها الثالث لا يحتمله لا نبيّ مرسل ـ كـ : النَّبيِّ إِبراهيم ـ ولا مَلَك مُقَرَّب ـ كـ : جبرئيل عليه السلام ـ ولا مؤمن ممتحن ـ كـ : سلمان رضوان اللَّـه عليه ـ إِلَّا مَنْ شاؤوا صلوات اللَّـه عليهم.

فانظر : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال : «**إِنَّ حديثنا صعب مستصعب ، شريف كريم ، ذكوان ذكيٌّ وعر ، لا يحتمله مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ ، ولا مؤمن مُـمْتَحن**. قلتُ: فَمَنْ يحتملهُ جعلتُ فداك ؟ قال: **مَنْ شئنا يا أَبا الصامت**. قال أبو الصَّامت : فظننتُ أَن للَّـه عباداً هُم أفضل من هؤلاء الثلاثة»[1].

وبعضها الرَّابع لا يحتمله إِلَّا هم صلوات اللَّـه عليهم.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن أَبي الصَّامت ، قال : «سمعتُ أَبا عبداللَّـه عليه السلام يقول : **إِنَّ من حديثنا مالا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نبيٌّ مُرسَل،**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٢/ ح٣٤.

ولا عبد مؤمن. قلتُ : فَمَنْ يحتمله ؟ قال : **نحن نحتمله**»[1].

وإلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **إنَّ عندنا سرّاً مِنْ سرِّ اللَّـه ، وعلماً من علم اللَّـه لا يحتمله مَلَك مُقَرَّب ، ولا نبيّ مُرسَل ، ولا مؤمن أَمتحن اللَّـه قلبه للإيمان ، واللَّـه ما كلَّف اللَّـه أَحَداً ذلك الحمل غيرنا ، ولا استعبد بذلك أَحداً غيرنا ، وإنَّ عندنا سرّاً من سرِّ اللَّـه ، وعلماً من علم اللَّـه أَمرنا اللَّـه بتبليغه ، فبلَّغنا عن اللَّـه (عزَّوجلَّ) ما أَمرنا بتبليغه ، ما نجد له موضعاً ، ولا أَهلاً ولا حمَّالة يحملونه حتَّىٰ خلق اللَّـه لذلك أَقواماً ؛ خُلقوا من طينةٍ خُلق منها مُـحمَّد صلى الله عليه وآله وذرِّيَّته ، ومن نور خلق اللَّـه منه مُـحمَّداً وَذُرِّيَّته ، وصنعهم بفضل صنع رحمته الَّتي صنع منها مُـحَمَّداً صلى الله عليه وآله ؛ فبَّلغناهم عن اللَّـه (عزَّوجلَّ) ما أَمرنا بتبليغه ، فقبلوه واحتملوا ذلك ، وبلغهم ذاك عنَّا فقبلوه واحتملوه ، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا ، فلولا أَنَّهم خُلقوا من هذا لَـمَا كانوا كذلك ، ولا واللَّـه ما احتملوه. ثُمَّ قال: إنَّ اللَّـه خلق قوماً لجهنَّم والنَّار ؛ فأَمرنا أَنْ نُبَلِّغهم كما بلَّغناهم فاشمأزوا من ذلك ، ونفرت قلوبهم وردوه علينا ، ولم يحتملوه ، وكذبوا به ... فطبع اللَّـه على قلوبهم وأَنساهم ذلك ، ثُمَّ أَطلق اللَّـه لسانهم ببعض الحقِّ ، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة ؛ ليكون ذلك دفعاً عن أَوليائه وأَهل طاعته ، ولولا ذلك ما عُبد اللَّـه في أَرضه ، فأمرنا بالكفِّ عنهم ، والكتمان منهم ، فاكتموا مِـمَّن أَمر**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٩٣/ ح٣٦.

اللَّـه بالكفِّ عنهم ، واستروا عمَّن أَمر اللَّـه بالستر والكتمان منهم ، قال : ثُمَّ رفع يده وبكىٰ وقال : اللَّهُمَّ ، إِنَّ هؤلاء لشرذمةٍ قليلون فاجعل محياهم محيانا، ومماتهم مماتنا ، ولا تُسَلِّط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم ؛ فإِنَّكَ إِن فجعتنا بهم لم تُعبد أَبداً في أَرضك»[1].

نكتة إِبتلاءات بعض الأَنبياء عليهم السلام

وهذا ما يُوضِّح : نكتة وفلسفة تعرُّض بعض الأَنبياء عليهم السلام السَّابقين إِلى الإِبتلاءات ، منهم : النَّبيّ آدم عليه السلام ؛ فإِنَّه لَـمَّا عُرضت عليه بعض مقامات وشؤون أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم توقَّف فعوقب بإِبتلائه المعروف وأُخرج من الجنَّة ، وعفي عنه بعد أَن رجع واستغفر وتاب ، لكنَّه لم يُجعل من أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام بسبب توقفه.

وهكذا النَّبيّ أَيوب عليه السلام ؛ فابتُلي بالمرض وبقيَّة إِبتلاءاته إِلى أَنْ تاب فأدركته السعادة بأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم.

وعلى هذا قس حال النَّبيّ يونس عليه السلام ، فأبتُلي بالحوت ، وحُبس في بطنه إِلى أَنْ تاب وقَبَل ولاية أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم.

وهذا ما تشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، منضمّاً إِليه بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه ، قال : «**إِنَّ اللَّـه تعالىٰ عرض ولاية عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام على أَهل**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٣٨٥ـ٣٨٦/ح٤٤. المحتضر : ١٥٤ ـ ١٥٥.

السَّماوات وأَهل الأَرض فقبلوها ما خلا يونس بن متى ، فعاقبه اللَّـه وحبسه في بطن الحوت ؛ لإنكاره ولاية أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام **حتَّىٰ قبلها»**.

قال أبو يعقوب[1]: «**فنادىٰ في الظلمات أَنْ لا إِلٰه إِلَّا أَنْتَ سبحانك إِنِّي كنت من الظالمين لإنكاري ولاية عَلِيّ بن أبي طالب** عليه السلام».

قال أبو عبد اللَّـه: فأنكرتُ الحديث فعرضته على عبداللَّـه بن سليمان المدنيّ فقال لي : «لا تجزع منه ؛ فإنَّ أَمير المؤمنين عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام خطب بنا بالكوفة ، فحمد اللَّـه تعالىٰ وأَثنىٰ عليه ، فقال في خطبته : «**فلولا إِنَّه كان من المُقِرِّين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون**». فقام إِليه فلان بن فلان وقال: يا أَمير المؤمنين ؛ إِنَّا سمعنا اللَّـه[2]: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ**﴾. **فقال : أُقعد يا بكّار ، : «فلولا إِنَّه كان من المُقِرِّين للبث ... إلى آخِر الآية»**[3]»[4].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه ، مُخاطِباً سلمان (رضوان اللَّـه عليه) : «... **يا سلمان ، أَنا الَّذي دُعيت الأُمم كُلِّها إِلى طاعتي فكفرت فعُذِّبت بالنَّار...**». قال سلمان: ... وأَنتَ قصَّة أَيُّوب وسبب تغيُّر نعمة اللَّـه عليه. فقال أَمير المؤمنين عليه السلام: «**أتدري ما قصَّة أَيُّوب ، وسبب تغيُّر نعمة اللَّـه**

---

(١) أَبو يعقوب ـ هذا ـ وأَبو عبداللَّـه الآتي ذكره من أَصحاب رواة وإسناد هذا الحديث الشريف.

(٢) في المصدر : (إِنَّا سمعنا اللَّـه يقول).

(٣) الصافات : ١٤٣.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤/ ح١٦. تفسير فرات الكوفي : ٩٤.

عليه ؟ قال: اللَّـه أعلم وأَنْتَ يا أمير المؤمنين. قال: **لَـمَّا كان عند الانبعاث للنطق شَكَّ أَيُّوب في ملكي ، فقال: هذا خطب جليل وأَمر جسيم. قال اللَّـه (عزَّوجلّ) : يا أَيُّوب أَتَشكُّ في صورة أقمته أَنا؟ إِنِّي ابتليتُ آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بأَمرة المؤمنين ، وأنت تقول : خطب جليل ، وأَمر جسيم ؟! فوعزَّتي لأُذيقنَّك من عذابي أَو تتوب إِلَيّ بالطَّاعة لأَمير المؤمنين. ثُمَّ أَدركته السَّعادة بي ؛ يعني : أَنَّه تاب وأذعن بالطَّاعة لأَمير المؤمنين عليه السلام وعلى ذرِّيَّته الطَّيبين عليهم السلام»**[١].

٣ـ بيان تفسير الإمام الباقر صلوات اللَّـه عليه ، وبيان نكتة عدم جعل النَّبيّ آدم عليه السلام من أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام : «**في قول اللَّـه عزَّوجلَّ : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾** [٢] **قال: عهد إِليه في مُـحمَّد والأَئمَّة من بعده فترك ، ولم يكن له عزم فيهم أَنَّهم هكذا...**»[٣].

٤ـ بيان الإمام الرضا صلوات اللَّـه عليه : «**... وإِنَّ آدم عليه السلام لَـمَّا أَكرمه اللَّـه (تعالىٰ ذكره) بإسجاد ملائكته له ، وبإدخاله الجنَّة قال في نفسه : هل خلق اللَّـه بشراً أَفضل منِّي ؟ فعلم الله (عزَّوجلَّ) ما وقع في نفسه، فناداه : ارفع رأسَكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إِلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إِلٰه إِلَّا اللَّـه، مُـحَمَّد رسول اللَّـه، عَلِيّ بن أبي**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣/ ح٥٢. كنز جامع الفوائد : ٢٦٤ ـ ٢٦٥. وفيه : (أَنَّه تاب إِلى اللَّـه).

(٢) طٰه : ١١٥.

(٣) بحار الأَنوار ، ١١ : ٣٥/ ح٣١. علل الشرائع : ٥٢.

طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنَّة. فقال آدم عليه السلام: يا ربّ ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال (عزَّوجلَّ): من ذُرِّيَّتك ، وهم خير منكَ ومن جميع خلقي ، ولولاهم ما خلقتكَ ولا خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا السَّماء والأَرض ، فإيَّاك أَنْ تنظر إِليهم بعين الحسد فأُخرجكَ عن جواري. فنظر إِليهم بعين الحسد ، وتمنَّىٰ منزلتهم ، فتسلَّط الشَّيطان عليه حتَّىٰ أكل من الشَّجرة الَّتي نُهي عنها ، وتسلَّط على حوَّاء ؛ لنظرها إِلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتَّىٰ أَكلت من الشَّجرة كما أَكل آدم ، فأخرجهما اللّـه (عزَّوجلَّ) عن جنَّته ، وأَهبطهما عن جواره إِلى الأرض»[1].

ودلالة الجميع واضحة.

مقامات كُمَّل المخلوقات لا تُعطى إلاَّ بقدر معرفتهم بأَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّ كمَّل المخلوقات ـ منهم : الملائكة المُقرَّبين ، والأَنبياء والمرسلين، والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ لم يُعطوا تلك المقامات والكمالات ولم يُفضَّل بعضهم على الآخر إِلَّا بقدر معرفتهم بأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ، وبقدر تحمُّل قابليَّاتهم لأَسرارهم.

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان الحديث القدسي ، عن ربِّ العزَّة (تقدَّس ذكره) ، مخاطباً سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **وَإِنِّي جعلتكم محنة لخلقي ، أَمتحن بكم جميع عبادي وخلقي في سمائي وأَرضي وما فيهنَّ ؛ لأَكمل الثواب لمن أَطاعني فيكم ،**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٣/ ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

وأَحلّ عذابي ولعنتي على مَنْ خالفني فيكم وعصاني ، وبكم أُميِّز الخبيث من الطَّيِّب...»[١].

ودلالته قد اتَّضحت ؛ فإِنَّ جملة المخلوقات ، منهم : كافَّة الملائكة لا سيما المُقرَّبين ، وجميع الأَنبياء والمرسلين ، وسائر الأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام لم يُعطَ أَحدٌ منهم مقاماً ـ كـ : مقام : المقرَّبيَّة ، والنُّبُوَّة والرسالة ، والوصاية والإِصطفاء ـ ولا كمالاً ولا فضيلة ، ولا شأناً إِلٰهيّاً البتة في هذا العَالَم ، وفي العوالم السَّابقة واللاحقة ، ولم يُمَيَّز خبيثٌ عن طيِّبٍ إِلَّا بعد الابتلاءات والإِمتحانات في قدر معرفتهم بـ : أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وطاعتهم لهم ، ومدىٰ تحمُّل أَسرارهم ومعارفهم.

٢ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **والَّذي نفسي بيده ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللَّـه وينفخ فيه من روحه وأَنْ يتوب عليه ، ويردَّه إِلى جنَّته إِلَّا بنبوَّتي والولاية لِعَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ما أَرىٰ إِبراهيم ملكوت السَّماوات والأَرض ، ولا اتَّخذه خليلاً إِلَّا بنبوَّتي والإِقرار لِعَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده، ما كلَّمَ اللَّـه موسىٰ تكليماً ، ولا أَقام عيسىٰ آية للعالمين إِلَّا بنبوَّتي ومعرفة عَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما تنبَّأ نبيٌّ إِلَّا بمعرفتي ، والإِقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من اللَّـه النظر إِليه إِلَّا بالعبوديَّة له ، والإِقرار لِعَلِيّ بعدي...»**[٢].

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**ما تكاملت النُّبوَّة لِنَبِيٍّ في الأَظلَّة حتَّىٰ عرضت**

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠/ ح١٠١.

(٢) المصدر نفسه ، ٤٠ : ٩٥ ـ ٩٧/ ح١١٦. كتاب سليم : ١٦٨ ـ ١٧٠.

عليه ولايتي وولاية أَهل بيتي ، ومُثِّلوا له فأَقَرُّوا بطاعتهم وولايتهم»[١].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ واضحة.

٤ـ إطلاق بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «**... أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنَا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنَا المعطي، أَنا المبذل ، أَنا القابض يدي على القبض...**»[٢].

وهذا أَحد تفاسير هذا البيان الشَّريف.

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**ما نُبِّئ نبيّ قَطُّ إِلَّا بمعرفة حقِّنا ، وبفضلنا على من سوانا**»[٣].

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّ مقام النُّبُوَّة لم يُعطَ لنبيٍّ قَطُّ إِلَّا بعد معرفته في العوالم السَّالفة بحقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، ومعرفة : حقّهم وحقوقهم وبفضلهم على طُرِّ المخلوقات وفي جميع العوالم.

٦ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... فَمَنْ أَراد اللَّـه أَنْ يُطَهِّر قلبه من الجنِّ والإِنس عرَّفه ولايتنا ، ومن أَراد أَنْ يطمس على قلبه أَمسكَ عنه معرفتنا... واللَّـه ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللَّـه بيده ، وينفخ فيه من روحه إِلَّا بولاية عَلِيّ عليه السلام، وما كلَّم الله موسىٰ تكليماً إِلَّا بولاية عِلِيّ عليه السلام، ولا أَقَام اللَّـه عيسىٰ بن مريم آية للعالمين ، إِلَّا بالخضوع لِعَلِيّ عليه السلام ، ثُمَّ قال : اجمل الأَمر : ما استأهل خلق**

---

(١) بصائر الدرجات ، ١ : ١٦١/ ح٣٠٠ ـ ٧.

(٢) مشارق أَنوار اليقين، الخطبة الافتخارية: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨١/ ح٢٨. بصائر الدرجات ، ١ : ٥١.

من اللّـه النظر إليه إلّا بالعبوديَّة لنا»[١].

ودلالته واضحة.

٧ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ فاطمة الزهراء عليها السلام : «... **وهي الصِّدِّيقة الكبرىٰ ، وعلى معرفتها دارت القرون الأُولىٰ**»[٢].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ مقامات كُمَّل المخلوقات ـ كـ : الملائكة المُقرَّبين ، والأَنبياء والمرسلين ، والأَوصياء والأَصفياء عليهم السلام ـ وغيرهم وكمالاتهم وشؤونهم لم تعطها يد ساحة القدس الإِلٰهيَّة لهم في العوالم السَّابقة ، وهي الأَساس إِلّا على قدر معرفتهم بـ : مراتب طبقات حقيقة فاطمة الزهراء صلوات اللّـه عليها ، وبـ : مقاماتها ، وكمالاتها ، وفضائلها ، وشؤونها. ولوجود تفاوت في معرفتهم بها فُضِّل بعضهم على الآخر.

٨ ـ بيان الإِمام الحسن العسكري عليه السلام : «... **فالكليم أُلبس حلَّة الإِصطفاء لَـمّا عهدنا منه الوفاء ...**»[٣].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ النَّبيَّ موسىٰ عليه السلام نال الإِصطفاء والنُّبُوَّة والرِّسالة ؛ وبقيَّة المراتب والمقامات الإِلٰهيَّة ؛ لَـمَّا عهد أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم منه الوفاء والإِخلاص لهم.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦: ٢٩٤/ ح٥٦. الاختصاص : ٢٥٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ١٠٥/ح١٩.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٣٦٤ ـ ٣٦٥/ ح٥٠.

٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللَّـه عليهم : «... **حتَّىٰ لا يبقىٰ مَلَك مُقرَّب، ولا نَبِيّ مُرْسَل ، ولا صِدِّيق ولا شهيد ، ولا عَالِم ، ولا جاهل ، ولا دني ولا فاضل ، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ، ولا جبَّار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إِلَّا عرَّفه جلالة أَمركم ، وعظم خطركم ، وكبير شأنكم ، وجلالة قدركم ، وتمام نوركم ، و صدق مقاعدكم ، وثبات مقامكم ، وشرف محلَّكم ، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه ، وخاصَّتكم لديه ، وقرب مجلسكم منه...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَحد فلسفات هذا العرض وعلله في بداية الخلقة ، والتعريف بمقامات أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم وكمالاتهم وشؤونهم وذلك لإِختبار وامتحان جملة المخلوقات ؛ ليُعطىٰ كُلّ ذي قابليَّة حقَّه وشأنه في المسؤوليَّات المستقبليَّة.

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٥٢.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة

الطَّائفة الثَّانية ، ويُمثِّلها :

بيان الحديث القدسي ، عن الإِمام الباقر عليه السلام ، قال : «**... كان اللّـه ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول ، فأَوَّل ما ابتدأ من خلق خلقه أَنْ خلق مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أَهل البيت معه من نوره وعظمته ... ثُمَّ قال لمُحَمَّد صلى الله عليه وآله: وعزَّتي وجلالي وعلوّ شأني ، لولاك ولولا عَلِيّ وعترتكما الهادون المهديُّون الرَّاشدون ما خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا المكان ، ولا الأَرض ولا السَّماء ، ولا الملائكة ولا خلقاً يعبدني ... من أَجلكم ابتدأتُ خلق ما خلقتُ ...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه لقرب طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقائقهم عليهم السلام المتوسطة والنَّازلة ، وحُظُوتها لدىٰ الباري (جلَّ قدسه) ، ولعلوِّ مقاماتها وكمالاتها بحيث لا يدانيها مقامات وكمالات مخلوق قَطُّ ؛ لم يكن للمخلوقات غاية وشرف وعزّ ومجد وفخر إِلَّا أَنْ تكون الغاية من خلقتها وقوعها في طريق الوصول إِلى تلك الطَّبقات الموصلة للسَّاحة الإِلٰهيَّة ليس إِلَّا.

ولَكَ أَنْ تقول : إِنَّ هناك قاعدة تُذْكَر في المباحث المعرفيَّة ، وهي : «**أَنَّ الموجود والمخلوق السَّافل لا يُخلق لأَجل الموجود والمخلوق السَّافل ، بل لأَجل الموجود والمخلوق العالي**».

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧ ـ ٢٠/ ح٣١.

وعليه : تكون جملة العوالم الإلٰهيَّة اللامتناهيَّة ، وكافَّة المخلوقات الإلٰهيَّة اللامتناهية مخلوقة لأَجل طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم الصَّاعدة.

وهذا ما تُشير إليه ـ إضافة لِـمَا تقدَّم ـ بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان حديث الكساء : «... **وعِزَّتي وجلالي ، إِنِّي ما خَلَقتُ سمآءً مبنيَّةً ولا أَرضاً مدحِيَّةً ، ولَا قَمَراً مُنيراً ، ولا شمساً مُضيئةً ، ولا فَلَكاً يَدُور ، ولا بحراً يَجرِي ، ولا فُلْكاً تَسرِي إِلَّا لأَجْلِكُمْ...** ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[(١)] ...»[(٢)].

٢ـ بيان الحديث القدسي مُنضمّاً إِليه بيان سيِّد الأَنبياء ﷺ : «... **وأَنَّ أَبي آدم لَـمَّا رأَىٰ اسمي واسم عَلِيّ وابنتي فاطمة والحسن والحسين وأَسمآء أَولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنُّور قال : إِلٰهي وسيِّدي ، هل خلقتُ خلقاً هو أَكرم عليكَ مِنِّي ؟ فقال : يا آدم ، لولا هذه الأَسمآء لَـمَا خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً مدحيَّة ، ولاملكاً مُقَرَّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا خلقتك يا آدم ، فلَمَّا عصىٰ آدم ربَّه وسأله بحقِّنا أَنْ يتقبَّل توبته ، ويغفر خطيئته فأجابه ، وكُنَّا الكلمات تلقَّاها آدم من ربِّه (عزَّوجلَّ) ، فتاب عليه، وغفر له ... فحمد آدم ربَّه (عزَّوجلَّ) وافتخر على الملائكة بنا...**» [(٣)].

٣ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **وإِنَّ جميع الرسل**

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

(٢) عوالم العلوم ، ١١ / قسم : ٢ : ٩٣٣ .

(٣) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ٢٣/ ح١٥. الروضة البهية : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٤.

والملائكة والأَرواح خُلقوا لخلقنا ...»[١].

٤ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «...**إِنَّ لَنَا عند اللَّـه منزلة ومكاناً رفيعاً ، ولولا نحن لم يخلق اللَّـه أَرضاً ولا سمآءً ، ولا جنَّةً ولا ناراً ، ولا شمساً ولا قمراً ، ولا بَرّاً ولا بحراً ، ولا سهلاً ولا جبلاً ، ولا رطباً ولا يابساً ولا حلواً ولا مرّاً ، ولا ماءً ، ولا نباتاً ولا شجراً ، اخترعنا اللَّـه من نور ذاته، لا يُقاس بنا بشر...»**[٢].

٥ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **لَـمَّا رأَوا أَسماءنا مكتوبة على سرادق العرش ... قال اللَّـه : ... لولا هؤلاء ... ما خلقتُ سمآءً مبنيَّة ، ولا أَرضاً مدحيَّة ، ولا مَلَكاً مُقرَّب ، ولا نبيّاً مرسل ، ولا خلقتكَ يا آدم ...»**[٣].

٦ـ بيان الإِمام الرضا صلوات اللَّـه عليه : «... **وإِنَّ آدم لَـمَّا أَكرمه اللَّـه (تعالىٰ ذكره) بإسجاد ملائكته له ، وبإِدخاله الجنَّة قال في نفسه : هل خلق اللَّـه بشراً أَفضل مِنِّي ؟ فعلم اللَّـه (عزَّوجلَّ) ما وقع في نفسه فناداه : ارفع رأسكَ يا آدم ، فانظر إِلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إِلى ساق العرش، فوجد عليه مكتوباً : لَا إِلٰه إِلَّا اللَّـه ، مُـحمَّد رسول اللَّـه ، عَلِيّ بن أبي طالب أَمير المؤمنين ، وزوجته فاطمة سيِّدة نساء العالمين ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أَهل الجنَّة. فقال آدم عليه السلام : يا ربّ ، مَنْ هؤلاء ؟! فقال (عزَّوجلَّ) : من ذرِّيَّتكَ ، وهم خير منكَ ، ومن جميع خلقي ، ولولا هُم ما خلقتكَ ، ولا**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٥٠/ح٢٤. تفسير فرات : ٦١ ـ ٦٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٨ ـ ١٧/ ح٢.

(٣) الهداية الكبرىٰ : ٤٣٢.

خلقتُ الجنَّة والنَّار ، ولا السَّمآء والأَرض ، فإيَّاكَ أَنْ تنظر إليهم بعين الحسد؛ فأخرجكَ عن جواري...»[١].

ودلالة الجميع قد اتَّضحت.

وهذا أَحد معاني خلوص وإخلاص السَّافل للعالي ؛ لأَنَّ كمال السَّافل يكمن في توجُّهه إلى العالي ، لا في تمحوره حول ذاته.

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الحديث القدسي مخاطباً (تقدَّس ذكره) سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**يا أَحمد، لولاك لَـمَا خلقتُ الأَفلاك ، ولولا عَلِيّ لَـمَا خلقتُكَ ، ولولا فاطمة لَـمَا خلقتكما**»[٢].

فإنَّه دالٌّ على أَنَّ جملة الأَفلاك لم تُخلق لولا حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ فإنَّها علَّة غائيَّة لها. وكذا طبقات حقيقته صلى الله عليه وآله النَّازلة ؛ فإنَّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه الصَّاعدة ؛ فإنَّ طبقات حقيقته عليه السلام الصَّاعدة علَّة غائية لطبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله النازلة. وعلى هذا قس طبقات حقيقتيهما صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما النازلة ؛ فإنَّها لم تُخلق لولا طبقات حقيقة فاطمة الزهراء صلوات اللَّـه عليها الصَّاعدة؛ فإنَّها علَّة غائيَّة لطبقات حقيقتيهما صلوات اللَّـه عليهما وعلى آلهما النَّازلة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٣/ح١٥. عيون الأَخبار : ١٧٠.

(٢) عوالم العلوم ، ١١ : ٤٣. ملتقىٰ البحرين: ١٤. مستدرك سفينة البحار، ٣: ٣٣٤.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل فاعليَّة

الطَّائفة الثَّالثة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**أَنَا دحوتُ أَرضها ، وَأَنْشأتُ جبالها ، وَفَجَّرت عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ، وَأَطعمتُ ثمارها ، وَأَنْشَأَتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وَأَضحيتُ شمسها ، وَأَطلعتُ قمرها ، وَأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ، وَأَنا البحر القمقام الزَّاخر ، وسكَّنتُ أَطوادها ، وَأَنشأَتُ جواري الفلكَ فيها ، وَأَشرقتُ شَمسها ، وَأَنا جنب اللّـه وكلمته ، وقلب اللّـه وبابه الَّذي يؤتىٰ منه ، ادخلوا الباب سُجَّداً أَغفر لكم خطاياكم وَأَزيد المُحسنين ، وبي وعلى يديّ تقوم السَّاعة ، وَفِيَّ يرتاب المبطلون ، وَأَنا الأَوَّل والآخر ، والظَّاهر والباطن ، وبكلِّ شيء عليم**»[1] .

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... وَأَنا الأَوَّل وأَنا الآخر ، وَأَنا الباطن وَأَنا الظَّاهر ، وَأَنا بكلِّ شيءٍ عليم ، وَأَنا عَين اللّـه ، وَأَنا جنب اللّـه وَأَنا أَمين اللّـه على المرسلين ... وَأَنا أُحيي وَأَنا أُميت ، وَأَنا حي لا أَموت**»[2] .

ثالثاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السفينة بأَمر رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بِأَمر رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَخرجتُ إِبراهيم من النَّار بإِذن**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٨/ ح٢٠. مناقب آل أبي طالب ، ١ : ٥١٢ ـ ٥١٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٣٩ : ٣٤٧.

رَبِّي ، وَأَنا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرْتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنا عذاب يوم الظُّلَّة ، وَأَنا المنادي من مكانٍ قريبٍ قد سمعه الثقلان: الجنّ والإِنس ، وفهمه قوم ، إِنِّي لأُسمع كُلّ قومٍ[١] الجَبَّارين والمنافقين بلغاتهم ، وَأَنا الخضر عَالِم موسىٰ ، وَأَنا مُعَلِّم سليمان بن داود ، وَأَنا ذو القرنين، وَأَنا قُدرة اللّـه عزَّوجلّ ... إِنَّ مَيِّتَنا لم يَمُت ، وغائبنا لم يَغِب ، وإِنَّ قتلانا لَنْ يُقتلوا ... لِأَنَّا آيات اللّـه ودلائله ، وحُجَج اللّـه وخلفاؤه وأُمناؤه وَأَئِمَّتَه ، ووجه اللّـه وعين اللّـه ولسان اللّـه ، بِنَا يُعَذِّبُ اللّـهُ عباده ، وبِنَا يُثيب ... وَلَو قال قائل : لِمَ وكيف وفيم؟ لكفر وَأَشرك ؛ لأَنَّه لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... أَنَا أُحيي وأُميت بإِذن ربِّي ...»[٢].

رابعاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، مخاطباً أَمير المؤمنين عليه السلام : «**يا عَلِيُّ ، كُنتَ مع الأَنبياء سِرّاً ، ومعي جهراً**»[٣].

خامساً : بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**كُنْتُ مع الأَنبياء باطناً ، ومع رسول اللّـه ظاهراً**»[٤].

سادساً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام مُخاطباً أَبا حنيفة ، عن كنز الفوائد للكراجكي ، قال : «ذُكر : أَنَّ أَبا حنيفة أَكَلَ طعاماً مع الإِمام الصَّادق جعفر

---

(١) في نسخةٍ : (كُلّ يوم).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٥/ح١.

(٣) معارج العُلىٰ (مخطوط).

(٤) مصباح الهداية : ١٤٢.

ابن محمَّد عليهما السلام ؛ فلمَّا رفع عليه السلام يده من أَكله قال : **الحمد للّـه ربِّ العالمين ، اللَّهُمَّ إِنَّ هذا مِنكَ ومن رسولكَ**. فقال أَبو حنيفة : يا أَبا عبداللّـه ، أَجعلتَ مع اللّـه شريكاً؟ فقال له : **ويلكَ ، إِنَّ اللّـه تعالىٰ يقول في كتابه : ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** (١)، **ويقول في موضع آخر : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾** (٢). فقال أَبو حنيفة : واللّـه لكأَنِّي ما قرأتها قَطُّ من كتاب اللّـه ، ولا سمعتها إِلَّا في هذا الوقت. فقال أَبو عبداللّـه عليه السلام : **بَلَىٰ ، قَدْ قرأتها وسمعتها ، ولكنَّ اللّـه تعالىٰ أَنزل فيكَ وفي أَشباهكَ : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** (٣)، **وقال : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (٤)»(٥).

سابعاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **وَلَولَا ما نَهَىٰ اللّـهُ عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكرٌ فَضَائلَ جَمَّةً تعرِفُها قلوبُ المؤمنين ، وَلَا تَمُجُّها آذانُ السَّامعينَ ، فَدَعْ عنكَ مَنْ مالَت به الرَّمِيَّةُ ؛ فإِنَّا صَنَائعُ ربُّنا ، والنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا ...**»(٦).

---

(١) التوبة : ٧٤.

(٢) التوبة : ٥٩.

(٣) محمَّد : ٢٤.

(٤) المطففين : ١٤.

(٥) بحار الأَنوار ، ٤٧ : ٢٤٠/ ح٢٥. كنز الفوائد للكراجكي : ١٩٦.

(٦) بحار الأَنوار ، ٣٣ : ٥٧ ـ ٦٠/ ح٣٩٨. نهج البلاغة/ باب : المختار من كُتُب أَمير المؤمنين عليه السلام/ ٢٨ ـ من كتاب له عليه السلام إِلى معاوية جواباً : ٤١١ ـ ٤١٥.

ثامناً : بيان النَّاحية المُقدَّسة : «... **ونحن صنائعُ ربُّنا ، والخلق بعد صنائعنا** ...»[١].

ودلالتها قد اِتَّضحت ؛ فإنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة : وسائط الفيض الرُّبوبي ، والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ بين الخالق (جلَّ وتقدَّس) وبين جملة العوالم وسائر المخلوقات كانت عللاً فاعليَّة ؛ تفيض الوجود على ما تعلَّقَت به المشيئة والإِرادة الإِلٰهيَّة ، فخُلقت السَّماوات والأَرضين ومَنْ فيهنَّ وما بينهنَّ بأَيدي وقوىٰ أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة.

إِذَنْ : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة إِضافة لكونها عللاً غائيَّة هي علل فاعليَّة ؛ إِذْ الباري (تقدَّست أَسماؤه) يتنزَّه عن مباشرة الأَشياء بنفسه ، بل مُنزَّه عنها[٢]، وإِنَّما هي من شأن المخلوقات المُكرَّمة ؛ لاحتياج الخلق والإِماتة والإِحياء والإِيجاء ، وبقيَّة الأَشياء والمفاعيل إِلى مُحاذاة وقرب وحركة ، وملابسة وملامسة ومباشرة ومعالجة ، واستنزال وزوال وما شاكلها من أَفاعيل وصفات وشؤون المخلوقات ، والباري (عظمت آلاؤه) مُنَزَّه عن جميع ذلك بالضَّرورة الوحيانيَّة والعقليَّة.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان جواب الإِمام الصَّادق عليه السلام على سؤال الزنديق : «... فيُعَانِي

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٣ : ١٧٨ ـ ١٨٠/ ح٩. غيبة الشَّيخ : ١٨٤ ـ ١٨٥. الاحتجاج : ٢٥٣.

(٢) مرجع الضمير : (مباشرة الأَشياء بنفسه).

الأَشْيَاءَ بنفسه؟ قال أَبوعبداللّـه عليه السلام: **هُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُعاني الأَشياء بمباشرةٍ ومُعَالجَةٍ ؛ لأَنَّ ذلك صِفَةُ المَخْلُوقِ الَّذي لا تجيءُ الأَشياءُ له إِلَّا بالمباشرةِ والمُعَالجَةِ ، وهُوَ مُتَعَالٍ نافِذُ الإِرَادَةِ والمَشيئَةِ ، فَعَّالٌ لِـمَا يَشاءُ**»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... يا ظاهراً بلا مشافهة ، يا باطناً بلا ملامسة ... يا أَوَّلاً بغير غاية ، يا آخراً بغير نهاية ، يا قائماً بغير انتصاب ، يا عَالِماً بلا اكتساب ...**»[٢].

٣ـ بيان الإِمام الكاظم عليه السلام : «**... فَمَنْ ظَنَّ باللّـهِ الظنون فقد هَلَكَ وَأَهلكَ ، فاحذروا في صفاته من أَنْ تقفوا له على حَدٍّ من نقص أَو زيادة ، أَو تحريك أَو تَحَرُّك ، أَو زوال أَو استنزال ، أَو نهوض أَو قعود ، فإِنَّ اللّـه عزَّوجلَّ عن صفة الواصفين ، ونعت النَّاعتين ، وتوَهُّم المُتَوهِّمين**»[٣].

٤ـ بيان الإِمام الرَّضا عليه السلام : «**... عظم ربِّي وجلَّ أَنْ يكون في صفة المخلوقين ...**»[٤].

ومن ثَمَّ اقتضت الضرورة لمخلوقات مُكرَّمة تفعل أَفاعيل الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وتقوم مقامه (تقدَّس ذكره) ، وهي على طبقات ، طبقاتها الصَّاعدة : (حقائق أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم) ،

---

(١) أُصول الكافي ، ١ : كتاب التَّوحيد/ ٢٤ ـ باب إِطلاق القول بأَنَّه شيء: ٥٩ ـ ٦١/ ح٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٨٣ : ٣١٤ ـ ٣١٥/ ح٦٧.

(٣) المصدر نفسه ، ٣ : ٣١١ ـ ٣١٢/ ح٥. الكافي ، ١ : ١٢٥.

(٤) بحار الأَنوار ، ٤ : ٤٠/ ح١٨.

وطبقاتها النَّازلة : (الملائكة المقرَّبين وأَجنادهم) ، فإِسرافيل عليه السلام ـ مثلاً ـ يحيي، لكنَّ إِحياء طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أَرقىٰ وأَعلىٰ ، وأَشَفُّ وأَلطف ، وأَعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس. وعزرائيل عليه السلام مميت ، لكنَّ إِماتة طبقات حقيقة أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أَرقىٰ وأَعلىٰ ، وأَشَفُّ وأَلطف ، وأَعظم قوَّة وسلطنة وهيمنة من دون قياس ، وعلى هذا قس ما يقوم به بقيَّة الملائكة عليهم السلام كـ : (ميكائيل عليه السلام الموكَّل في إِيصال الأَرزاق إِلى المخلوقات) ، و(جبرئيل عليه السلام الموكَّل في الإِيحاء النَّازل)، و(رضوان عليه السلام المُوكَّل في الجنان ونعيمها) ، و(مالك عليه السلام المُوكَّل في جهنَّم وجحيمها وعذابها) ، فإِنَّ الطَّبقات الصَّاعدة لهذه الأَفاعيل صادرة من طبقات حقيقة أَمير المؤمنين وبقيَّة طبقات حقائق بقيَّة أَهل البيت بعد طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء (صلوات اللّـه عليهم أَجمعين).

ومن ثَمَّ يتَّضح : كم هائل وخطير ومهول جِدّاً من بيانات الوحي المعرفيَّة والعقليَّة الأُخرىٰ ـ الآتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) ذِكْر ما يُمثِّل بعض طوائفها ـ الَّتي حام حومها أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ، لكنَّهم لم يطوفوا طورها ؛ لعدم تحمُّلهم ما ورد فيها من حقائق وحيانيَّة ومعرفيَّة وعقليَّة ، ومقامات ومراتب وفضائل وكمالات جليلة وعظيمة وخطيرة جِدّاً لأَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، صادمة ومذهلة ومرعبة ، وصاكَّة لأَسماع العوالم والمخلوقات ، وفوق طاقة التَّصوُّر والتَّعَقُّل ، فعمدوا إِلى إِسقاط حُجِّيَّتها سنداً من خلال رمي رواتها ـ مع أَنَّهم من أَعمدة وأَساطين أَصحاب

الأَئمَّة عليهم السلام ـ بـ : الغلو ، والتَّخليط ، ونقل المناكير وما شاكلها ، أَو إِسقاط حُجِّيَّة متونها من خلال لَيّ أَعناق دلالاتها ، وتشبثوا له بأُمور تشبث الغريق بلحيته ، أَو التَّوقُّف فيها ، وإِحالة أَمرها إِلى أَهلها (صلوات اللّـه عليهم) على أَحسن الأَحوال.

لكنَّه : بعد أَنْ أَستسمنت ذا ورم ـ حصلت هذه الطفرة العلميَّة والعقائديَّة والمعرفيَّة الَّتي نعيش الآن أَيَّامها المباركة ، المنتشلة من الظلمات والغواشي ، والمُقرِّبة إلى عوالم النُّور والحبور ، والبهاء والسرور ، المُخرجة لِمَنْ له عينين من الحُجُب الظلمانيَّة ـ بزغت هذه البيانات وغيرها ماثلة لكلِّ عينٍ ، مالئة لكُلِّ سمعٍ ، وتجلَّت بحور خضم زاخرة ، يعبُّ عبابها ، وتصطخب أَمواجها ، فيها درر زاهرة ، وجواهر ناصعة ، ونور ساطع في عقول المخلوقات كالشَّمس الضاحية ، وأَدلَّة وحيانيَّة قطعيَّة الصدور والدلالة بالقطع العقلي ، بل والوحياني ، ودلائل ظاهرة قاطعة ، وبراهين واضحة باهرة ، وحجج بالغة ساطعة على شيء جسيم ، يفوح منها مدىٰ عظمة أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم ، فكن ذا عينين تفز بالحسنيين ، فقد أَلزمتكَ وأَفحمتكَ الحُجَّة ، بعد أَنْ أستفحل الدَّليل وانسدَّ طريق الإِنكار بما لا يخفىٰ أَو يُستر ، فلا يبقىٰ مجال لموقف الشَّكِّ أَو ميدانٍ لمُشكِّك ، فاصغ إِليها سمعكَ ، وذلِّل لها فهمكَ ، واشغل لها قلبكَ ؛ لتعرف من أَين تُؤْكل الكتف ؛ لتلتقط درر الحقيقة من بحور بياناتها ، وهي وإِنْ بَعُدَ الباحث والمُحقِّق والعارف في الغور والغوص فيها ، لكنَّه لا ينال حقيقة بحورها

المُوَّاجة ، ولا يُدرِك قعرها ، ومن ثَمَّ تصبح آراء أُولئك وتأويلاتهم كمثل غيم علا فاستَعلىٰ ، ثُمَّ استغلظ فاستوىٰ ، ثُمَّ تمزَّقَ فانجلا رويداً ، ويتَّضح أَنَّها كالشَّمس بلا حجاب وستار على غير أَصلٍ فنِّيٍّ ، وقاعدةٍ صناعيةٍ ، فيكون منهج خُدْعَة مُخالف لِـمَا قامت عليه بيانات الوحي ، بل ظاهرة التَّكليف ، بيِّنة التَّوليد ، تخطب على نفسها أَنَّها فخفخة قول مِمَّنْ داخله الشَّكّ واستولىٰ عليه الرَّيب ، مُحجِّرة للعقول ومميتة للحقائق ، وأَباطيل خُيِّلت لهم وخُلطت عليهم ، ومفتريات اختلقوها من تلقاء أَنفسهم. وهذا ليس سبّاً وحطّاً لمقام أُولئكَ ، وإِنَّما بيان حقيقة. والسَّلام.

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام

ومِنْ كُلِّ ما تقدَّم يتَّضح : أَنَّ المستفاد من بيانات الوحي : أَنَّ خارطة مسار جملة عالم الدُّنيا برسم وتخطيط أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ، بل وخرائط مسارات كافَّة العوالم وجميع مخلوقاتها ، كـ : عَالَم البرزخ ، وعَالَم الرَّجعة ، وعَالَم القيامة ، وعَالَم الآخرة الأَبديَّة ، وعوالم ما بعدها ، بل وعوالم ما قبل هذه النشأة الأَرضيَّة لم تكن إِلَّا بتخطيطهم صلوات اللَّـه عليهم وهندستهم وتنفيذهم.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ـ المُتقدِّم ـ : «... **أَنا دحوتُ أَرضها، وأَنشأتُ جبالها ، وفجَّرتُ عيونها ، وشققتُ أَنهارها ، وغرستُ أَشجارها ،**

وأَطعمتُ ثمارها ، وأَنشأتُ سحابها ، وَأَسمعتُ رعدها ، ونوَّرتُ برقها ، وأَضحيتُ شمسها ، وأَطلعتُ قمرها ، وأَنزلتُ قطرها ، ونصبتُ نجومها ... وسكنتُ أَطوادها ، وأَنشأتُ جواري الفلك فيها ، وأَشرقتُ شمسها ... ادخلوا الباب سجّداً أغفر لكم خطاياكم وأزيد المحسنين ، بي وعلى يديّ تقوم السَّاعة...»[١].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : ««... أَنَا مُنزل الملائكة منازلها ... أَنا المُنادي لهم : أَلستُ بربِّكم ؛ بأَمر قيُّوم لم يزل ... أَنا صاحب الهبات بعد الهبات ولو أَخبرتكم لكفرتم ... أَنا منشئ الأَنام ... أَنا صاحب النجوم ، أَنا مُدبِّرها بأَمر ربّي ... أَنا المُعطِي ، أَنا المُبذِل ، أَنا القابض يدي على القبض ... أَنا صاحب القطر والمطر ، أَنا صاحب الزلازل والخسوف ... أَنا صاحب الغيث بعد القنوط...»[٢].

٣ـ بيان خطبته عليه السلام أَيضاً : «أَنَا عندي مفاتيح الغيب ... أَنا أَقمتُ السَّماوات بأَمر ربِّي ... أَنا أَمر الحي الَّذي لا يموت ، أَنا ولي الحقّ على سائر الخلق ... أَنا المفوَّض إِليَّ أَمر الخلائق ، أَنَا خليفة الإِلٰه الخالق ... أَنا أرسيتُ الجبال الشَّامخات ، وفجَّرتُ العيون الجاريات ... أَنَا مُقدِّر الأَقوات ، أَنا ناشر الأَموات ، أَنا منزل القطر ، أَنَا مُنَوِّر الشَّمس والقمر والنجوم ، أَنَا قيِّم القيامة ... أَنَا محصي الخلائق وإِنْ كثروا ...»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار، ٣٩: ٣٤٨.

(٢) مشارق أَنوار اليقين في أَسرار أَمير المؤمنين عليه السلام، الخطبة الإِفتخاريَّة: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه : ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، الوارد في حقِّ أَهل البيت عليهم السلام : «... **هذا كُلّه لآل محمَّد لا يُشاركهم فيه مُشارك ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ...**»[١].

٥ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن سلمان (رضوان اللّـه عليه) ، قال: «... **وإنَّ اللّـه عزَّوجلَّ جعل أَمر الدُّنيا إِلَيّ** ...قال سلمان: ...ثُمَّ إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام أَمر الريح فسارت بنا إلى جبل قاف فانتهيت[٢] إليه ، وإذا هو من زمرِّدة خضراء وعليها[٣] ملك على صورة النسر ، فلمَّا نظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال الملك : السَّلَامُ عَلَيْكَ يا وصيّ رسول اللّـه وخليفته ، أَتأذن لي في الكلام؟ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلام وقال له: **إِنْ شئتَ تكلَّم ، وإِنْ شئتَ أَخبرتُكَ عمَّا تسألني عنه**. فقال الملك: بل تقول أنت يا أمير المؤمنين. قال: **تُريد أَنْ آذن لَكَ أَنْ تزور الخضر** عليه السلام، قال: نعم، فقال عليه السلام: **قد أذنتُ لَكَ** ... فقال سلمان : يا أَمير المؤمنين ، رأيتُ الملك ما زار الخضر إِلَّا حين أَخذ إذنكَ. فقال عليه السلام: **والَّذي رفع السماء بغير عمدٍ ، لو أَنَّ أَحدهم رام أَنْ يزول من مكانه بقدر نفسٍ واحدٍ لَـمَا زال حتَّىٰ آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن ، وبعده الحسين وتسعة من ولد الحسين... والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إِنِّي لأَملك من ملكوت السَّماوات والأَرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

(٢) في المصدر : (فانتهينا).

(٣) في نسخة : (من زمرِّدة خضرة وعليه).

جنانكم...»[١].

٦ـ بيان الإمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ اللّـه لم يزل فرداً مُتَفَرِّداً في الوحدانيَّة ، ثُمَّ خلق محمَّداً وعليّاً وفاطمة عليهم السلام ... وفوَّض أَمر الأَشياء إِليهم في الحُكم والتصرُّف والإِرشاد ، والأَمر والنهي في الخلق ؛ لأَنَّهم الولاة فلهم الأَمر والولاية والهداية ، فهم أَبوابه ونوَّابه وحجَّابه ، يُحلِّلون ما شآء ، ويُحرِّمون ما شآء ، ولا يفعلون إِلَّا ما شآء ، عباد مُكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون...**»[٢].

٧ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن المفضَّل بن عمر ، قال: «... فقلتُ له: يابن رسول اللّـه ، فعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام يُدخل مُحبّه الجنَّة ومبغضه النَّار أَو رضوان ومالك ؟ فقال: **يا مفضَّل ... فَعَلِيّ بن أَبي طالب عليه السلام إِذاً قسيم الجنَّة والنَّار عن رسول اللّـه صلى الله عليه وآله ، ورضوان ومالك صادران عن أَمره بأمر اللّـه (تبارك وتعالىٰ)، يا مفضَّل ، خُذ هذا ؛ فإِنَّه من مخزون العلم ومكنونه ، لا تخرجه إِلَّا إِلى أَهله**»[٣].

٨ـ إِطلاق بيانه عليه السلام ، عن إِسماعيل بن عبد العزيز ، قال : «قال لي جعفر بن مُحمَّد عليه السلام : **إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله كان يُفوَّض إِليه ... وإِنَّ اللّـه**

---

(١) بحار الأَنوار، ٢٧: ٣٣ ـ ٤٠/ح٥. المحتضر: ٧١ ـ ٧٦.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٥: ٣٣٩/ح٢١.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ١٩٤ـ ١٩٦/ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

فوَّض إلى مُحمَّد ﷺ نبيّه فقال: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١)، فقال رَجُلٌ: إنَّما كان رسول اللّـه ﷺ مفوَّضاً إليه في الزَّرع والضَّرع، فلوّىٰ جعفر عليه السلام عن عنقه مُغضباً، فقال: في كُلِّ شيءٍ، واللّـه في كُلِّ شيءٍ»(٢).

٩ـ بيان زيارتهم صلوات اللّـه عليهم الجامعة: «...السَّلام عليكم يا أَهل بيت النُّبوَّة، وموضع الرسالة ... وقادة الأُمم ... وساسة العباد ... إصطفاكم بعلمه ... وفوَّض إليكم الأُمور، وجعل لكم التَّدبير، وعرَّفكم الأَسباب ... وأَعطاكم المقاليد، وسخَّر لكم ما خلق ... إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم ... وأَمره إليكم ... لم تزالوا بعين اللّـه وعنده، وفي ملكوته تأمرون، وله تخلفون، وإيَّاه تُسبِّحون، وبعرشه محدقون، وبه حافُّون حتَّىٰ مرَّ بكُم علينا، فجعلكم في بيوتٍ أَذن اللّـه أَنْ تُرفع ويُذكر فيها اسمه ...»(٣).

١٠ـ بيان زيارة أَمير المؤمنين عليه السلام: «...السَّلام عليك يا أَمير المؤمنين عَلِيّ ابن أَبي طالب ... السَّلام عليكَ يا ... صاحب الدُّنيا ... السَّلام عليكَ يا حافظ سرّ اللّـه، وممضي حكم اللّـه، ومجلي إرادة اللّـه، وموضع مشيَّة اللّـه ... ووليّ الملك الدَّيَّان ... السَّلام عليكَ يا عماد الجبَّار ... السَّلام عليكَ يا مشهوراً في السَّماوات العليا، ومعروفاً في الأَرضين السَّابعة السفلىٰ ... السَّلام

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) بحار الأَنوار، ١٧: ٩/ ح١٦. بصائر الدرجات: ١١١ ـ ١١٢.

(٣) بحار الأَنوار، ٩٩/ الزيارة الثالثة: ١٤٦ ـ ١٥٩.

عليكَ أَيُّها النَّازل من عليِّين ، والعَالِم بما في أَسفل السَّافلين ... اجتباكَ اللّـه لقدرته ، فجعلكَ عصا عزِّه ، وتابوت حكمته ...»[1].

ودلالة الجميع واضحة ، ولا غبار عليها.

ومن ثَمَّ لا تكون بياناتهم المعرفيَّة وسِيَرُهم وأَفعالهم عليهم السلام استراتيجيَّة حضارة فحسب ، بل واستراتيجيَّة عوالم ومخلوقات لا يعيها[2] بقيَّة البشر ، بل ولا بقيَّة الأَنبياء والملائكة المُقرَّبين عليهم السلام. ومن ثَمَّ فلسفة بياناتهم صلوات اللّـه عليهم وسِيَرِهم وأَفعالهم ليست محدودة بأَمد زمانيّ دنيويّ ، بل ولا بعَالَم الدُّنيا برمَّته ؛ فإِنَّ ساحة القدس الإِلٰهيَّة وَظَّفَتْهُم لرسم خارطة مسار جملة العوالم وطُرّ المخلوقات.

ومنه يتَّضح : مدىٰ وضوح جملة الخريطة التَّكوينيَّة واستراتيجيَّة العوالم ومخلوقاتها لدىٰ أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٤٧ ـ ٣٥٢. المزار الكبير : ٩٧ ـ ١٠١.

(٢) مرجع الضمير : (بيانات أَهل البيت عليهم السلام المعرفيَّة وسِيَرُهم وأَفعالهم).

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة آيات إلهيَّة ومرادفاتها العقليَّة

الطَّائفة الرابعة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أمير المؤمنين عليه السلام : «**أَنَا عينُ اللّـه ، وَأَنا جنب اللّـه ، وَأَنا يَد اللّـه ، وَأَنا باب اللّـه**»(١).

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَنَا علم اللّـه ، وَأَنا قلب اللّـه الواعي ، ولسان اللّـه النَّاطق ، وعين اللّـه النَّاظرة ، وَأَنا جنب اللّـه ، وَأَنا يد اللّـه**»(٢).

ودلالتهما قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما تقدَّم : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة فانية وخالصة في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، فلا تُري نفسها ، بل محكيِّها ـ الذَّات المُقدَّسة ـ ، فمُحيت فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وَعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) كانت آيات وصفات وأَسمآء إِلٰهيَّة وهلمَّ جرّاً من بقيَّة مرادفاتها الإِلٰهيَّة العقليَّة ؛ الحاكية عن شؤون ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ومن ثَمَّ كان الواحد من أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) ـ بلحاظ طبقات حقيقته الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسِّطة والنَّازلة ـ هو : عين اللّـه النَّاظرة ، وجنبه ، ويده ، وبابه ، وعلمه ، وقلبه الواعي ، ولسانه النَّاطق. وجميعها مخلوقات إِلٰهيَّة شريفة ، من مخلوقات عَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ عَالَم السَّرمد والأَزَل ، المُعبَّر عنه في بيانات الوحي بـ : (عنده).

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١٩٤/ح١٦. بصائر : ١٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ١٩٨/ح٢٥. توحيد الصدوق : ١٥٤ ـ ١٥٥.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة قطب الكمال والجود الإِلهي

الطَّائفة الخامسة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان زيارة أَهل البيت عليهم السلام : «... **فَلَيْسَ فوقكم أَحد إِلَّا اللّـه ، وَلَا أَقرب إِلَيه منكم ، وَلَا أَكرم عليه منكم ، وَلَا أَحظىٰ لديه ...**»[١].

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **والنَّبيّ والعترة ... رَأس دائرة الإِيمان ، وقطب الوجود ، وسمآء الجود ، وشرف الموجود ، وضوء شمس الشَّرف ، ونور قمره ، وَأَصل العزَّ والمجد ومبدؤه ومعناه ومبناه ...**»[٢].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّها مُشيران لتلك الطَّبقات الصَّاعدة من حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم المُقدَّسة ، وتتبعها طبقات حقائقهم عليهم السلام المتوسِّطة والنَّازلة ، فإِنَّها بعدما كانت نظام عَالَم الوجود على الإِطلاق ، ووجه اللّـه ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الفاردة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الحصريَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب الإِلٰهيّ الأَدنىٰ والفارد بين الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ؛ وبين سائر العوالم وكافَّة المخلوقات بقَضِّها وقضيضها ؛ كان من الطبيعي إِتِّصافهم (صلوات اللّـه عليهم) بما ذُكر في هٰذين البيانين الوحيانيِّين الشَّريفين ؛ من مقاماتٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ إِلٰهيَّةٍ ، شريفةٍ ومهولةٍ وخطيرةٍ جِدّاً ، لم يتَّصف بها مخلوق البتَّة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥ : ١٧٠/ح٣٨.

لا تناهي أَسماء وصفات وشؤون أَهل البيت عليهم السلام

الطائفة السَّادسة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... آل مُحَمَّد ... علم الأَنبياء في علمهم؛ وسرّ الأَوصياء في سرِّهم ؛ وعزّ الأَولياء في عزِّهم كالقطرة في البحر، والذَّرَّة في القفر. والسَّماوات والأَرض عند الإِمام كيده من راحته ؛ يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم بَرّها من فاجرها ، ورطبها ويابسها ...**»[١].

ثانياً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... فقفوا على أَمرنا ونهينا ، ولا تردوا كلّ ما ورد عليكم مِنّا ؛ فإِنّا أَكبر وأَجَلّ وأَعظم وأَرفع من جميع ما يرد عليكم، ما فهمتموه فاحمدوا اللّـه عليه ، وما جهلتموه فكلوا أَمره إِلينا وقولوا: أَئِمَّتنا أَعلم بما قالوا ...**»[٢].

ثالثاً : بيان أَبي الحسن عليه السلام مخاطباً عَلِيّ بن أَبي حمزة ، قال : «**... لا تعجب فما خفي عَليكَ مِنْ أَمر الإِمام أَعجب وَأَكثر ، وما هذا من الإِمام في علمه إِلَّا كطيرٍ أَخَذَ بمنقاره من البحر قطرة من ماءٍ ، أَفترىٰ الَّذي أَخَذَ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟ فإِنَّ الإِمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده ، وعجائبه أَكثر من ذلك ... ولا تنفد عجائبه**»[٣].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧٣/ح٣٨.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦ : ١٢/ح٢.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١٩٠ ـ ١٩١/ح٢. قرب الإِسناد : ١٤٤.

ودلالتها قد اِتَّضحت ، فإنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة نظام عَالَم الخلقة والوجود والإمكان على الإطلاق قاطبة، ووسائط الفيض الإلٰهيّ الفاردة ، والوسيلة الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة، ووجه اللّٰـه ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإلٰهي التَّكويني الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ شأنه) وبين جملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية ، والأَشَدَّ إلتصاقاً ونوطاً وقرباً للذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وبعدما كانت تلك الطَّبقات الشَّريفة خالصة من شائبة الأَنا والمخلوقيَّة ، وانمحت لشدَّة خلوصها ماهيَّاتها وذواتها الممكنة ؛ فلم يُرَ فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن والحسين ...) ، وفنيت في الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة فناء حكاية ـ لا تحقُّقاً ـ ، وصارت تجلِّيات وظهورات للذَّات المُقدَّسة انعكست فيها جميع صفات وأَسمآء وشؤون الذَّات الإلٰهيَّة المُقدَّسة إلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها موضوعاً وتخصُّصاً ، نظيره : ما مَرَّ في مِثال المرآة شديدة الصقل والصفاء والإنعكاس ، والفانية في حكاية ذيها ـ الشَّاخص الخارجي ـ ، فلا تُرِي نفسها ، بل محكيِّها ، ومن ثَمَّ يأخذ ما اِنْطَبَعَ فيها جميع صفات محكيِّها، لكنَّه بالتَّبع وإفاضة من محكيها. ومثال : (الصَّرح) في قضيَّة بلقيس ؛ الواردة في بيان قوله (جلَّ قوله) : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ؛ فإنَّه

(١) النمل : ٤٤.

لشدَّة صفائه وانعكاسه وفناء ذاته في الحكاية ؛ فلم يُرِ نفسه ، بل محكيِّه انعكست فيه جميع صفات محكيِّه ـ اللُّجَّة : الماء الغزير ـ فحسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ، وأَنَّه (صرح مُمرَّد) لم يُرِ نفسه آمنت من دون مهلة وتردُّد ؛ لإلتقاطها إشارة معرفيَّة توحيديَّة إلى معنىٰ تجلِّي وظهور الذَّات المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة ، وحيث إنَّ ذات الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (تقدَّس ذكره) وصفاته وأَسمآئه وشؤونه وأَفعاله مُتَّصفة بـ : (اللاتناهي) أَنعكست هذه الصفة في طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) الصَّاعدة ؛ وفي صفاتها وأَسمآئها وأَفعالها فكانت لا متناهية أَيضاً.

وهذا ما أَشارت إِليه بيانات الوحي المُتقدِّمة ، منها :

١ـ بيان دعاء أَيام شهر رجب الوارد عن النَّاحية المُقدَّسة في حقِّ أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّٰـه عليهم) : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ... بِمَا نَطَقَ فيهم من مَشيئتِكَ ، فَجَعَلْتَهُم معادِنَ لكلماتِكَ ، وأَركاناً لتوحيدِكَ ، وآياتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتي لَا تعطيل لها في كُلِّ مكانٍ ، يَعْرِفُكَ بها مَنْ عَرَفَكَ ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وبينها إِلَّا أَنَّهُمْ عبادُكَ وَخَلْقُكَ ...**»[1].

٢ـ بيانهم عليهم السلام : «**لنا مع اللّٰـه حالات : هو هو ونحن نحن ، وهو نحن**

(١) بحار الأَنوار ، ٩٥ : ٣٩٣.

ونحن هو»[١].

بخلاف بقيَّة المخلوقات ـ منها : بقيَّة أَنبياء أُولي العزم والأَوصياء والأَصفياء والأَولياء والملائكة المُقَرَّبين وروح القدس (حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة) ـ فإِنَّه مهما علا شأن ذواتها وأَسمآئها وصفاتها وأَفعالها ؛ إِذا قيست إِلى أَسمآء وصفات وأَفعال وشؤون أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم فهي متناهية ومحدودة ، ولا توجد نِسبة رياضيَّة بين غير المحدود والمحدود[٢]، فالمحدود دائماً إِذا قِيس إِلى غير المحدود كان لا شيء وصفراً على جهة الشمال، وإِلَّا ـ أَي : لو جُعِلَ للمحدود في قِبَال غير المحدود قيمة ولو كانت بمقدارٍ مثقال ذرَّة ـ اِنْقَلَبَت ماهيَّة غير المحدود وصارت محدودةً ، وبطلان إِنقلاب الماهيَّة من الواضحات ، بل[٣] خلف الفرض.

وعليه : فكُلّ ما تتَّصف به جملة المخلوقات من مقامات وكمالات وفضائل بالقياس إِلى مقامات وكمالات وفضائل أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) كالقطرة في بحر اللَّامتناهي ، والذَّرَّة في قفر اللَّامتناهي.

---

(١) مصباح الهداية : ١١٤.

(٢) لم تُعرف إِلى الآن نِسْبَة رياضيَّة أَو هندسيَّة أَو معرفية بين المتناهي واللامتناهي غير نِسبْة : أَنَّ المُتناهي آية للامتناهي.

(٣) هذا عطف على كلمة : (بطلان) ، فتكون العبارة كالتالي : (وإِلَّا اِنْقَلَبَت ماهيَّة غير المحدود وصارت محدودة وهو خلف الفرض).
وهذا دليل آخر على بطلان اِنْقِلاب الماهيَّة.

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام داخلة في المخلوقات دخول اللَّطيف في الأَغلظ

ومن أَسمآء الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة المُنعكسة في طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) : (اللَّطيف) ؛ وحقيقته : أَنَّه «داخل في الأَشياء لا بالمزاولة ، وخارج عنها لا بالمفارقة»[1] فيكون حال طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام : «داخلة في جملة العوالم وكافَّة المخلوقات ، لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارجة عنها ، لكن لا بالمزايلة والمفارقة».

ومنه يتَّضح : ما ورد في عجز بيان أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليه) : «**والسَّماوات والأَرض عند الإِمام كيده من راحته ؛ يعرف ظاهرها من باطنها، ويعلم بَرّها من فاجرها ، ورطبها ويابسها** ...» ؛ فإِنَّه بعدما كانت حقيقة الإِمام عليه السلام بطبقاتها اللَّطيفة ـ كالإِسم الإِلٰهي (اللَّطيف) ـ داخلة في جميع عوالم الخلقة وفي جملة ذوات وحقائق المخلوقات دخول اللَّطيف في الأَغلظ لا بالمزاولة والممازجة ، وخارجة عنها خروج اللَّطيف عن الأَغلظ لا بالمزايلة والمفارقة كانت السَّماوات والأَرض عنده عليه السلام كيده من راحته ؛ يعرف ظاهرها من باطنها ، ويعلم بَرّها من فاجرها ، ورطبها من يابسها.

ومنه يتَّضح : الجمُّ الغفير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان زيارة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام الجامعة عن الإِمام الهادي

---

(١) التوحيد : ٣٦٠/ ح١.

صلوات اللّـه عليه : «... **السَّلَام عليكم يا أَهل بيت النُّبُوَّة ... ذكركم في الذاكرين ، وَأَسماؤكم في الأَسمآء ، وَأَجسادكم في الأَجساد ، وَأَرواحكم في الأَرواح ، وَأَنفسكم في النفوس ، وآثاركم في الآثار ، وقبوركم في القبور ، فما أَحلىٰ أَسمآءكم ، وَأَكرم أَنفسكم ، وَأَعظم شَأنكم ، وَأَجَلّ خطركم ...**»[١].

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً جويرية ، عن أَبي عبداللّـه عليه السلام ، قال : «**أَنَّ جويرية بن عمر العبدي خاصمه رَجُلٌ في فرس انثىٰ فادَّعيا جميعاً الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لواحد[٢] منكما الْبَيِّنَة؟ فقالا : لا ، فقال لجويرية : أَعطه الفرس ، فقال له: يا أمير المؤمنين عليه السلام بلا بيِّنة ؟ فقال له : واللّـه ، لأَنَا أَعلم بِكَ مِنكَ بِنَفْسِكَ ، أَتنسىٰ صنيعك بالجاهليَّة الجهلاء؟ فأخبره بذلك**»[٣].

ودلالتها قد اِتَّضحت. وسيأتي (إِنْ شآء اللّـه تعالىٰ) في الطَّائفة التَّالية مزيد بيان عن هذه القضيَّة ، فإِنْ شئتَ الإِطِّلاع فلاحظ.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٢٧/ ح٤، الزيارة الثانية.

(٢) في المصدر : (الِوَاحِد).

(٣) بحار الأَنوار ، ٤١ : ٢٨٨/ ح١١. بصائر الدرجات : ٦٧.

دخول طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام في شراشر جملة العوالم والمخلوقات

الطَّائفة السَّابعة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... أنا أُنَبِّئُكم بما تأكلون وما تدَّخرون في بيوتكم بإِذن رَبِّي ، وَأَنا عَالِمٌ بضمائر قلوبكم ، والأَئِمَّة مِنْ أَولادي عليهم السلام يعلمون ويفعلون هذا إِذا أَحَبُّوا وَأَرادوا ؛ لأَنَّا كُلّنا واحد ...**»[١].

ثانياً : ما تقدَّم من بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن أَبي عبداللّـه عليه السلام ، قال : «**أَنَّ جويريَّة بن مسهَّر العبديّ خاصمه رَجُلٌ في فرسٍ أُنثىٰ ، فادَّعيا جميعاً الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَلواحدٍ منكما الْبَيِّنَة؟ فقالا : لا . فقال لجويريَّة : أَعطه الفرس ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بلا بيِّنة ؟ فقال له : واللّـه لأَنَا أَعلم بِكَ مِنكَ بِنَفْسِكَ ، أَتنسىٰ صنيعك بالجاهليَّة الجهلاء ، فأخبره بذلك**»[٢].

ثالثاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً**»[٣].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... سلوني قبل أَنْ تفقدوني ، إِنِّي بطُرق السَّمآء أَعلم من العَالِمِ بطُرق الأَرض ...**»[٤].

خامساً : بيان الإِمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام : «**... ما يعلم المخزون**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٦/ ح١.

(٢) بصائر الدرجات ، ١ : ٤٨٣/ ح٨٩٥ ـ ١١.

(٣) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه ، ٥٣ : ٨١/ ح٨٦.

المكنون المجزوم المكتوم الَّذي لم يطَّلع عليه ملك مُقرَّب ولا نبيّ مرسل غير مُحَمَّد وذرِّيَّته»[١].

سادساً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**... ما يخفىٰ عَلَيَّ شيء من بلادكم**»[٢].

ودلالتها قد اِتَّضحت ، وصارت كالشَّمس الضَّاحية ؛ فإِنَّه إِضافة إِلى ما تقدَّم في الإِستدلال على الطَّائفة المُتقدِّمة وغيرها تقدّم أَيضاً في بعض الطَّوائف السَّابقة : أَنَّه لَـمَّا كانت طبقات حقائق ذوات أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة فانية في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة انعكست فيها جميع شؤون وصفات وأَسمآء الذَّات المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ، منها : أَنَّ الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة وشؤونها وصفاتها وأَسمآئها وأَفعالها تتَّصف باللَّطافة ، ومن شؤون اللَّطيف : أَنَّه : (داخل في المخلوقات ، لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارج عنها ، لكن لا بالمزايلة والمفارقة) ، فيكون نافذاً ومهيمناً ومحيطاً بجملة شراشر ظواهر المخلوقات وبواطنها ولو كانت بمقدار مثقال حبَّة من خردل ، كذلك حال طبقات حقائق ذوات أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم عليهم السلام المتوسِّطة والنَّازلة ، فهي داخلة في جملة شراشر المخلوقات ، وتعلم ظواهرها وبواطن بواطنها وأَسرارها ، بل وما خفي على نفس المخلوقات من ذواتها وأَسرارها وخفاياها ، وجميع شراشرها وجزئيَّاتها وذرَّاتها.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٣ : ٣٢٨/ ح٧.

(٢) بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٥/ ح١٥٧٦ ـ ٧.

أَنواع الإِحاطة

ثُمَّ إِنَّه ينبغي الإِلتفات : أَنَّ الإِحاطة على أَنحاء ثلاثة :

أَحدها : الإِحاطة الماديَّة الجغرافيَّة. وهذه تُحيط بالسطح والظاهر فقط.

ومجالها : إِذا كان المُحيط من عَالَمَ الأَجسام الغليظة.

مثالها : إِحاطة الكرة الكبيرة بالكرة الصغيرة.

وهذا النحو وإِن عُدَّ نحو من أَنحاء الإِحاطة في علم الرياضيِّات وعلم الهندسة ، لكنَّه بالدِّقَّة العقليَّة فيه مسامحة ظاهرة.

ومنه يتَّضح : أَنَّ الدِّقَّة العقليَّة تفوق الدِّقَّة في علم الرياضيَّات وعلم الهندسة ؛ لإِعتمادهما على قوَّة الخيال ، بخلاف الدِّقَّة العقليَّة ؛ فإِنَّها أَشرس من دون قياس من الدِّقَّة في علم الرياضيَّات وعلم الهندسة ؛ لإِعتمادها على قوَّة العقل. والفارق بين القوَّتين عظيم وشاسع جِدّاً ، بل من دون قياس أَيضاً ؛ فإِنَّ العقل عين مُسَلَّحَة أَشرس من عين قوَّة الخيال بمراتب لا متناهية.

وهذه نكتة نفيسة تأتي في أَبواب المعارف.

ثانيها : الإِحاطة الماديَّة غير الجغرافيَّة. وهذه تُحيط بالظَّاهر والباطن ، لكنَّها تبقىٰ ماديَّة وجسمانيَّة ولها مقدار.

ومجالها : إِذا كان المُحيط من عَالَمَ المادَّة وعَالَمَ الأَجسام اللطيفة.

مثالها : إِحاطة الأَشعَّة البنفسجيَّة أَو الحمراء أَو فوقها أَو تحتها بالأَجسام الأَغلظ.

ثالثها : الإِحاطة التجرُّديَّة ، وهذه إِحاطة وجوديَّة ، تكون فيها للمُحيط هيمنة وإِحاطة وقدرة أَعظم وجوداً وكمالاً من هيمنة وإِحاطة وقدرة ووجود وكمال المُحاط.

ومجالها : إِذا لم يكن المُحيط من عَالَم المادَّة والأَجسام ، وإِنَّما كان من عَالَم المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ـ كـ : الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وعَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ ، فتكون نِسْبَة المُحيط إِلى جملة المُحاط ظاهره وباطنه نِسْبَة واحدة.

نظيره: نقطة مركز الدائرة بلحاظ جميع نقاط محورها[1]، فإِنَّ نسبتها إِلى الجميع واحدة ؛ من دون أَيّ تبعُّض وتفاوت.

مثالها : ما أَشارت إِليه بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان قوله جلَّ ثناؤه : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[2].

أَي : أَنَّ قربه وقدرته وسيطرته وهيمنته على جملة المخلوقات واحدة، لا تتبعَّض ولا تتفاوت ، فهو سبحانه وتعالىٰ : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[3].

إِذنْ : نِسْبَة المخلوقات بالنِّسْبَة إِليه (جلَّ ذكره) تتوحَّد ، فلا يغيب شيء عنه ؛ فجملة العوالم وكافَّة المخلوقات اللامتناهية في حضور واحدٍ لديه.

---

(١) مرجع الضمير : (الدائرة).

(٢) طه : ٥.

(٣) الإخلاص : ٣.

وهذا ما تشير إليه بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ؛ فإنَّه سُئل : «عن قوله اللَّـه عزَّ وجلَّ : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، فقال : **استوىٰ من كُلِّ شيء ، فليس شيء أَقرب منه من شيء**»(١).

٢ـ بيان الإمام الكاظم عليه السلام ، عن يعقوب بن جعفر الجعفري ، قال : «ذُكر عنده قوم زعموا أَنَّ اللَّـه تبارك وتعالىٰ ينزل إلى السَّماء الدُّنيا ، فقال: **إِنَّ اللَّـه لا ينزل ولا يحتاج إلى أَنْ ينزل ، إِنَّما منظره في القرب والبُعد سوآء ، لم يبعد منه قريب ، ولم يقرب منه بعيد ، ولم يحتج إلى شيءٍ ، بل يُحتاج إليه...**»(٢).

٣ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن القاسم بن يحيىٰ ، عن جدِّه الحسن ، قال : «وسُئِلَ عن معنىٰ قول اللَّـه : ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، قال : **استولىٰ على ما دقَّ وجلَّ**»(٣).

ثانياً : بيان قوله جلَّ قوله : ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾(٤).

ومعناه : أَنَّه (تقدَّس ذكره) لا يحدّه ولا يحبسه مكان ولا زمان.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٥٥ : ٧/ ح٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٣ : ٣١١/ ح٥.

(٣) المصدر نفسه ، ٣ : ٣٣٦/ ح٤٥. أُصول الكافي ، ١/ باب : معاني الأَسماء واشتقاقها : ٨٠/ ح٣.

(٤) فصلت : ٥٤.

ثالثاً : بيان قوله عزَّ من قائل : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[1] .

ودلالته قد اِتَّضحت.

وبالجملة : النِّسْبَة بين الشيء الواحد والأَشياء الكثيرة إِنْ كانت واحدة ولم تختلف فالإِحاطة منه لها تجرُّديَّة ، وإِلَّا فماديَّة.

إِذنْ : في عَالَمَ المُجرَّدات تجرُّداً تامّاً ـ كـ : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ـ لا توجد أَبداً نِسب مُتكثِّرة ، وإِنَّما نِسبة فاردة.

ومن ثَمَّ تكون حقيقة ذات الإِمام من أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم داخلة في جملة حقائق ذوات المخلوقات وفي طُرِّ العوالم ومحيطة بها ، ومهيمنة عليها ، وأَقرب إِليها من حبل وريدها ، لكن لا بالمزاولة والممازجة ، وخارجة عنها ، لكن لا بالمزايلة والمفارقة ، وحينئذٍ يعلم عليه السلام ظواهر المخلوقات وبواطن بواطنها ، وسرّها وخفيّها ، ولا يخفىٰ عليه من شؤونها وشؤون عوالمها شيء ولو كان بمقدار حبَّةٍ من خردل ، من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية ، في هذه النَّشْأة وفي كُلِّ النَّشَآة.

وإِلى هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان زيارتهم عليهم السلام المُتقدِّم : «... **ذكركم في الذَّاكرين ، وَأَسماؤكم في الأَسمآء ، وَأَجسادكم في الأَجساد ، وَأَرواحكم في الأَرواح ، وَأَنفسكم في النُّفوس ، وآثاركم في الآثار ، وقبوركم في القبور ، فما أَحلى أَسماءكم ، وَأَكرم**

---

(١) النساء : ١٢٦.

أَنفسكم ، وَأَعظم شأنكم ، وَأَجِلّ خطركم ...»[1].

مضافاً : أَنَّ من تلك الشؤون والصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة المُتَّصف بها الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وعلا) أَنَّه : (يعلم المخزون المكنون المجزوم المكتوم)، كذلك حال طبقات حقائق ذوات أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم (صلوات اللّٰـه عليهم) المتوسِّطة والنَّازلة ، فيعلم الإِمام من آل محمَّد (صلوات اللّٰـه عليهم) من خلالها : (العلم الإِلٰهيّ المخزون المكنون المجزوم المكتوم الَّذي لم يطَّلع عليه ملك مُقَرَّب ولا نبيّ مرسل).

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٣٢.

معرفة اللّه مُتوقِّفة على معرفة أَهل البيت عليهم السلام

الطائفة الثَّامنة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **معرفتي بالنورانيَّة معرفة اللّـه (عزَّوجلَّ) ، ومعرفة اللّـه (عزَّوجلَّ) معرفتي بالنَّورانيَّة ، وهو الدِّين الخالص الَّذي قال اللّـه تعالىٰ : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**[1] ...»[2] .

ثانياً : بيان الإِمام العسكري عليه السلام ، عن أَبي هاشم الجعفريّ ، قال : «كُنتُ عند أَبي محمَّد عليه السلام فسأله محمَّد بن صالح الأَرمني عن قول اللّـه : **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾**[3] قال أَبو محمَّد عليه السلام: **ثبتت المعرفة ونسوا ذلك الموقف ، وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدرِ أَحَدٌ مِنْ خالقه ، ولا مَنْ رازقه.** قال أَبو هاشم: فجعلتُ أَتَعَجَّب في نفسي من عظيم ما أَعطىٰ اللّـه وليَّه ، وجزيل ما حمَّله ، فَأَقبل أَبُو محمَّد عَلَيَّ فقال : **الأَمر أَعجب مِمَّا عجبتَ منه يا أَبا هاشم وأَعظم! ما ظنُّكَ بقومٍ مَنْ عرفهم عرف اللّـه ، وَمَنْ أَنكرهم أَنكر اللّـه ؟ فلا مؤمن إِلَّا وهو بهم مُصَدِّق ، وبمعرفتهم موقن**»[4] .

---

(١) البينة : ٥ .

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٢/ ح١ .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

(٤) بحار الأَنوار ، ٥ : ٢٦٠/ ح٧٦. كشف الغمة : ٣٠٦.

ودلالتها قد اِتَّضحت مِمَّا تقدَّم ، وأَصبحت أَجلىٰ من الشَّمس في رابعة النَّهار ؛ فإِنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ وتتبعها طبقات حقائقهم (صلوات اللّٰـه عليهم) المتوسطة والنَّازلة ؛ لَـمَّا كانت خالصة من شائبة الأَنا ، وقد فنيت ماهيَّاتها وحقائقها وذواتها في الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة فناء حكاية ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ، منها :

بيانهم عليهم السلام المُتَقدِّم الذكر : «... **هو نحن ، ونحن هو**»[1].

فلا تُري ولا تحكي نفسها ، بل محكيِّها ، كالمرآة شديدة الصَّقل والصَّفاء والاِنْعِكَاس اِنْعَكَسَتْ فيها جملة شؤون وصفات وأَسمآء الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وحينئذٍ تكون ـ بعد الإِتحاد في الحكاية ـ معرفة المخلوق لطبقات حقائق ذوات أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة معرفة للّٰـه (تبارك وتعالىٰ) ، ومعرفته (جلَّ جلاله) معرفة لأَهل البيت عليهم السلام بلحاظ طبقات حقائق ذواتهم الصَّاعدة فضلاً عن النَّازلة والمتوسطة.

وقس على نقيضه حال من أَنكرهم صلوات اللّٰـه عليهم ، وقصَّرَ في معرفتهم ؛ فإِنَّه إِنكار للّٰـه (جلَّ شأنه) ، وتقصير في معرفته (جلَّ قدسه). فتدبَّر جيِّداً.

---

(١) مصباح الهداية : ١١٤.

مشيئة أَهل البيت عليهم السلام تجلِّي لمشيئة اللّه

الطائفة التَّاسعة ، ويُمثِّلها :

بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **ونحن إِذا شئنا شاء اللّـه ، وَإِذا كرهنا كره اللّـه ، الويل كلّ الويل لِـمَنْ أَنكر فضلنا وخصوصيَّتنا ، وما أَعطانا اللّـه ربُّنا؛ لأَنَّ مَنْ أَنكر شيئاً مِمَّا أَعطانا اللّـه فقد أَنكر قدرة اللّـه عزَّوجلَّ ومشيته فينا ...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت مِمَّا تقدَّم أَيضاً ولا غبار عليها ؛ فإِنَّه لَـمَّا كانت طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم (صلوات اللّـه عليهم) المتوسطة والنَّازلة فانية في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ولا تُري نفسها بل محكيِّها ـ الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ـ اِنْعَكَسَتْ فيها جميع شؤون وصفات وأَسمآء الذَّات المُقدَّسة ، منها : المشيئة الإِلٰهيَّة.

نظيره : ما مرَّ في مثال المرآة شديدة الصَّقل والصَّفاء والإِنعكاس ؛ فإِنَّها لا تُري نفسها ، بل محكيِّها. وما مرَّ في مثال : (الصرح) في قضيَّة بلقيس الواردة في بيان قوله عزَّ ذكره : : ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[2] فلشدة شفافيَّته وتمرُّد

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٧/ ح١.

(٢) النمل : ٤٤.

ذاته وانمحائها وفنائها في (اللُّجَّة) اِنمحاء وفناء حكاية لم يُرِ نفسه ، بل محكِيَّه ـ اللُّجَّة ، أَي : الماء الغزير ـ انعكست فيه جميع شؤون اللُّجَّة وصفاتها وأَسمآئها ، ومن ثَمَّ حسبته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقيها ؛ لتتخطَّاه ، ولَـمَّا أُخبرت بالواقع ـ وأَنَّه صرح مُمَرَّد ـ آمنت من دون مهلة ونظر وتردُّد ؛ لإلتقاطها إِشارة معرفيَّة وتوحيديَّة لمعنىٰ تجلِّي وظهور الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة في المخلوقات المُكرَّمة. هكذا حال طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ فإِنَّه لَـمَّا كانت ذواتها وحقائقها وماهيَّاتها فانية في الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة فناء حكاية ، كما أَشارت إِلى ذلك بيانات الوحي ، منها :

بيان النَّاحية المُقدَّسة الوارد في حقِّهم صلوات اللّٰه عليهم : «**أَسأَلُكَ بما نطق فيهم من مشيئَتِكَ ، فجعلتَهُمْ معادنَ لكلماتِكَ ، وأَركاناً لتوحيدِكَ ، وآياتكَ ومَقاماتكَ الَّتي لا تعطيل لها في كُلِّ مكانٍ ، يَعْرِفُكَ بها مَنْ عَرَفَكَ ، لَا فرق بينكَ وبينها إِلَّا أَنَّهم عبادُكَ وَخَلقُك ... فَبِهِمْ ملأَتَ سماءكَ وَأَرضكَ حتَّىٰ ظهر : أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ...**»[1].

وبيانهم عليهم السلام : «**... هو نحن ، ونحن هو**»[2].

فلم تُرِ تلك الطَّبقات نفسها ، بل محكيِّها اِنْعَكَسَت فيها جميع شؤون وصفات وأَسمآء الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، منها : (المشيئة الإِلٰهيَّة) ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٥ : ٣٩٣.

(٢) مصباح الهداية : ١١٤.

فيكون أَحد شؤون وصفات أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) أَنَّهم إِذا شاءوا شاء اللّٰـه ، وإِذا شاء اللّٰـه شاءوا ؛ لإِندكاك ذواتهم المُقدَّسة بالذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة إِندكاك حكاية.

مضافاً : أَنَّ المشيئة الإِلٰهيَّة مخلوق من مخلوقات عَالَم الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ عَالَم السَّرمد والأَزل.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**خلق اللّٰـه المشيئة قبل الأَشياء ، ثُمَّ خلق الأَشياء بالمشيئة**»(١).

وبيانه عليه السلام أَيضاً : «**خلق اللّٰـه المشيئة بنفسها ، ثُمَّ خلق الأَشياء بالمشيئة**»(٢).

ومخلوقات عَالَم الصفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة أَحد طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الرِّضا منضَمّاً إِليه بيان الإِمام الصَّادق عليهما السلام : «**إِذَا نَزَلَتْ بكم شدَّة فاستعينوا بنا على اللّٰـه، وهو قول اللّٰـه : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ١٤٥/ح١٩.

(٢) المصدر نفسه / ح٢٠.

﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾[١] قال : قال أَبو عبداللّـه عليه السلام: نحن واللّـه الأَسماء الحسنىٰ الَّذي لا يقبل من أَحَدٍ إِلَّا بمعرفتنا ، قال : فادعوه بها»[٢].

فإِنَّه حينما تتصاعد طبقات حقائقهم (صلوات اللّـه عليهم) المُقدَّسة ؛ ولشدَّة خلوصها للذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ؛ وفنائها في الحكاية تنتفي ماهيَّاتها وذواتها الشَّريفة الخاصَّة ، فلا يُرىٰ فيها ماهيَّة : (مُحَمَّد ، وعَلِيّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ...) وإِنَّما أَسمآء إِلٰهيَّة ، فتكون المشيئة الإِلٰهيَّة طبقة من طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة ؛ وظيفتها اِنْعِكَاس وحاكية عن مشيئة الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ، ومن ثَمَّ إِذا شاء اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّت آلاؤه) شاء أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وإِذا شاءوا (عليهم السَّلام) شاء اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ جلاله) ، وإِذا كره كرهوا ، وإِذا كرهوا كره (جلَّ قدسه).

---

(١) الأعراف : ١٨٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٩١ : ٦ ـ ٧/ ح٧. تفسير العيَّاشي ، ٢ : ٤٢.

نكتة توقُّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أَهل البيت عليهم السلام

ثُمَّ إِنَّه مَنْ يتوقَّف في قبول مقامات وكمالات وشؤون أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم ـ بعد قيام الدَّليل القطعي عليها ـ أَو يتردَّد فيها فضلاً عن مَنْ يُنْكِرُها فَلْيَعْلَم ـ بل ليراجع نفسه فسيجد ـ أَنَّ منشأ ذلك أَحد أُمور ثلاثة لا رابع لها ، وإِلَّا فتسويلات شيطانيَّة ؛ فإِنَّه :

إِمَّا أَنْ يكون منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) في فاعليَّة الباري (تبارك وتعالىٰ) ، كمُعتقد اليهود.

وإِمَّا أَنْ يكون ـ منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره ـ (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) في قابليَّة واستعداد واستحقاق طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم، كمعتقد المُقصِّرة وبعض النَّواصب.

وإِمَّا أَنْ يكون ـ منشأ توقُّفه وتردُّده وإِنكاره ـ (والعياذ باللَّـه تعالىٰ) جهلاً بهم صلوات اللَّـه عليهم ، أَو حسداً لهم ، أَو حقداً أَو تكبُّراً عليهم ، كحال إبليس والبعض الآخر من النَّواصب.

وهذا كالأَوَّل والثَّاني إِلحاد وكفر جلي ، لا يُبْقِي ولا يَذَر ؛ فإِنَّ يداه (عزَّ ذكره) مبسوطتان يُنفِقُ كيف يشآء ، وقابليَّة طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم واستعدادها واستحقاقها للفضل والكمال لا حدَّ ولا منتهىٰ ولا غاية لها ، والجهل وجنده كالحسد والحقد والتكَبُّر لاسيما إِذا كان في حقِّ أَهل البيت صلوات اللَّـه عليهم عَالَمٌ من البحر الأُجاج ظُلْمَانِيّاً ، فوق

عَالَم جهنَّم ونار الآخرة الأَبديَّة (أعاذنا اللَّـه تعالىٰ منها) ، ومهيمن عليها ، بل هي قطرة في بحره وبحور جنده الظلمانيَّة الأُجاج المتلاطمة ، كما أَشار إِلى ذلك بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في حديث جنود العقل والجهل[1].

وإِلى الأَوَّل أَشارت بيانات الوحي ، منها :

بيان قوله جلَّ ذكره : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[2].

وإِلى الأَوَّل والثَّاني أَشارت بياناته الأُخرىٰ ، منها :

بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه : «... **أَنَا صاحب النَّار ، أَقُولُ لَـهَا : خُذِي هٰذا ، وذري هذا ... أَنَا صاحب الهدَّة ، وَأَنَا صاحب اللَّوح المحفوظ ... أَنَا صاحب المعجزات والآيات ... أَنَا الَّذي حملتُ نوحاً في السَّفينة بأمر ربِّي ، وَأَنَا الَّذي أَخرجتُ يونس من بطن الحوت بإِذنِ رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي جاوزتُ بموسىٰ بن عمران البحر بأمر رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي أخرجتُ إبراهيم من النَّار بإِذن رَبِّي ، وَأَنَا الَّذي أَجريتُ أَنهارها ، وَفَجَّرتُ عيونها ، وغرستُ أَشجارها بإِذن رَبِّي ، وَأَنَا عذاب يوم الظُّلَّة ، وَأَنَا المنادي من مكان قريب قد سمعه الثقلان : الجنّ والإِنس وفهمه قوم ... لا تُسَمُّونا أَرْباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم ، فإِنَّكم لن تبلغوا من فضلنا كُنْه ما جعله اللَّـه لنَا ، ولا معشار العشر ... ولو قال قائل : لِمَ ، وكيف ، وَفِيم ؟ لكفر وأَشرك ؛ لأَنَّه**

---

(١) أُصول الكافي، ١ : ١٧/ ح١٤.

(٢) المائدة : ٦٤ .

لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يُسألون ... مَنْ آمن بما قلتُ ... فهو مؤمن ممتحن ... وَمَنْ شَكّ وعَنَدَ وجَحَدَ ووقف وتحيَّر وارتاب فهو مقصِّر وناصب ... الويل كُلّ الويل لِـمَنْ أَنكر فضلنا وخصوصيَّتنا ، وما أَعطانا اللَّـه ربُّنا ؛ لأَنَّ مَنْ أَنْكرَ شيئاً مِـمَّا أَعطانا اللَّـه فقد أَنْكرَ قدرة اللَّـه عزَّوجلَّ ومشيَّته فينا ... وَحَقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين ، أَعني الجاحدين بِكُلِّ ما أَعطانا اللَّـه مِنَ الفضل والإِحْسان» [(١)].

ودلالته واضحة ولا غبار عليها.

وإِلى الثَّالث أَشارت بياناته الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللَّـه عليه مخاطباً حذيفة بن اليمان : «**يا حذيفة ، لا تُحَدِّث النَّاس بما لا يعلمون فيطغوا ويكفروا ، إِنَّ من العلم صعباً شديداً محمله ، لو حملته الجبال عجزت عن حمله ، إِنَّ علمنا أهل البيت يُستنكر ويبطل ويُقتل رواته ، ويُساء إِلى مَنْ يتلوه بغياً وحسداً لما فَضَّلَ اللَّـه به عترة الوصي ، وصي النَّبيّ** صلى الله عليه وآله **...**» [(٢)].

٢ـ بيان تفسير أَبي جعفر عليه السلام ، عن بريدة ، قال : «كنتُ عند أَبي جعفر عليه السلام فسألته عن قوله اللَّـه تعالىٰ : ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [(٣)]؛ قال: **فنحن النَّاس ، ونحن المحسودون على ما آتانا اللَّـه من الإِمامة دون خلق اللَّـه جميعاً ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ١ ـ ٧/ ح١.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٨ : ٧٠ ـ ٧١/ ح٣١. غيبة النعماني : ٧٠ ـ ٧٢.

(٣) النساء : ٥٤ .

﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [١] جعلنا منهم الرسل والأَنبياء والأَئِمَّة عليهم السلام ، فكيف يقرُّون بها في آل إبراهيم ، ويُكَذِّبون بها في آل محمَّد عليهم السلام ؟ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [٢] »[٣].

٣ـ بيان تفسير الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن إبراهيم ، قال : « قلت لأَبي عبداللَّـه عليه السلام : جُعِلْتُ فداك ، ما تقول في هذه الآية: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [٤]، قال : نحن النَّاس الَّذين قال اللَّـه ، ونحن المحسودون ، ونحن أَهل المُلك ، ونحن ورثنا النَّبيِّين ، وعندنا عصا موسىٰ ، وإِنَّا لخزَّان اللَّـه في الأَرض ، لسنا بِخُزَّانٍ على ذهب ولا فضَّة ...»[٥].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً ، عن الكناني ، قال : «قال أَبو عبداللَّـه عليه السلام : يا أَبا الصباح ، نحن قوم فرض اللَّـه طاعتنا ، لنا الأَنفال ، ولنا صفو المال ، ونحن الرَّاسخون في العلم ، ونحن المحسودون الَّذين قال اللَّـه : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»[٦].

ودلالة الجميع واضحة.

وفي الختام يجدر الإلتفات إلى الأُمور التَّالية :

---

(١) النساء : ٥٤ .

(٢) النساء : ٥٥ .

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٩٨/ ح٤٤. تفسير فرات : ٢٨.

(٤) النساء : ٥٤ .

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ٢٩٩/ ح٥٠.

(٦) المصدر نفسه: ١٩٤/ ح٢٠. بصائر الدرجات : ٥٥.

الأَوَّل : أَنَّ أَعظم أَنواع تواضع المخلوق لباريه (تقدَّس ذكره) : تعظيمه لمن عظمه (جلَّ قدسه) بقدره.

الثَّاني : أَنَّ أَعظم الصدق : الصدق في الحقائق الأَزليَّة ، وأَعظم الكذب والجحود والغشّ : الكذب والجحود والغشّ في الحقائق الأَزليَّة أَيضاً.

وهذه أَخطر من دون قياس من الصدق والكذب والجحود والغشّ في عَالَم السياسة والأُمور العامَّة ؛ لإِرتباطها بالحياة والنشأة الأُخرويَّة الأَبديَّة ، وبالمصير الأَبدي للمخلوقات.

الثَّالث : أَنَّ في ذات كُلِّ إِنسانٍ طبقات من الشرك يجب عليه تطهيرها.

الرَّابع : أَنَّ بعض طبقات الشرك الخفي يُطهَّر صاحبها منها في عَالَم القيامة.

الخامس : أَنَّ في ذات كُلّ مخلوقٍ طبقات من الحسد والبغض والعداء لأَهل البيت صلوات اللّـه عليهم يجب عليه تطهيرها. ويدلُّ عليه : ما تقدَّم وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) من ارتطام بقيَّة الأَنبياء والرسل وجملة الملائكة منهم المُقرَّبين عليهم السلام ؛ وتوقُّفهم في مقامات وصفات وشؤون وأَحوال أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

السَّادس : أَنَّه دائماً التبرُّم والإِعتراض على ساحة القدس الإِلٰهيَّة ورجالاتها يحمل في طيَّاته إِعتقاد ـ والعياذ باللّـه تعالىٰ ـ المُتبرِّم والمُعترض : بجهل ساحة القدس الإِلٰهيَّة وبجهل رجالاتها ، وهذا إِلحاد وشرك وكفر

خفيٌّ شعر بذلك المخلوق أَم لا، وهو وإِنْ لم يخرج صاحبه عن دائرة الإِيمان والإِسلام ، لكنَّه يحطّ من مراتب ودرجات إِيمانه وإِسلامه ، ويحطُّ من حظِّه في عَالَمَ الآخرة الأَبديَّة.

السَّابع : الكفر والإِلحاد برتب ومراتب الحُجَج الإِلٰهيَّة كفر عظيم ومحذور خطير ، وهو الَّذي أَوقع إِبليس (عليه اللعنة) في ورطته ؛ فإِنَّه لَـمَّا لم يحفظ المراتب تطاول على حُجِّيَّة اللَّـه ووليِّه ، وأَورثه الندامة الأَبديَّة.

الثَّامن : أَنَّ الإِمتحانات والإِختبارات المُهمَّة في البصيرة يَمتحن اللَّـه بها الأُمَّة على مدىٰ الأَزمان والدهور.

تفويض جملة أُمور الخلائق لأَهل البيت عليهم السلام

الطائفة العاشرة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**لو أُهْدِيَ إِلَيَّ كراع لقبلتُ ، وكان ذلك من الدِّين ، ولو أَنَّ كافراً أَو منافقاً أَهدىٰ إِلَيَّ وسقاً ما قبلتُ ، وكان ذلك من الدِّين ...**»[١] .

ثانياً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن إِسماعيل بن عبد العزيز ، قال : «**إِنَّ رسول اللّـه صلى الله عليه وآله كان يفوِّض إِلَيه ، إِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ فَوَّضَ ... إِلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله نبيّه فقال : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**[٢]**، فقال رَجُلٌ: إِنَّما كان رسول اللّـه صلى الله عليه وآله مفوَّضاً إِليه في الزرع والضَّرع ، فلوَىٰ جعفر عليه السلام عن عنقه مغضباً ، فقال : في كلِّ شيء ، واللّـه في كلِّ شيء**»[٣] .

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقيقة ذاته صلى الله عليه وآله المتوسطة والنَّازلة رأس هرم طبقات حقائق أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ؛ وبعد إِتحادها والذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة حكاية لا تشخُّصاً ؛ فصارت إِنعكاساً لساحة القدس الإِلٰهيَّة كان كُلُّ ما يصدر من طبقات حقيقته صلى الله عليه وآله المُقدَّسة صادراً عن

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٧٣/ ح٨٣.

(٢) الحشر : ٧.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٧ : ٩/ ح١٦. بصائر الدرجات : ١١١ ـ ١١٢.

الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ومن ثَمَّ يكون سيِّد الأَنبياء ﷺ مُفوَّضاً إِليه من قِبَل ساحة القدس الإِلٰهيَّة في كلِّ شيءٍ ؛ سوآء أَكان في تشريع الأَحكام الإِلٰهيَّة أَم في غيرها.

حدّ ماهيَّة الإِمام وإِمامة أَهل البيت عليهم السلام

الطائفة الحادية عشرة ، ويُمثِّلها :

بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**... الإِمام ... البحر الَّذي لا ينزف ... مهيمن اللّـه على الخلائق ، وأَمينه على الحقائق ... ظاهره أَمر لا يُمْلك ، وباطنه غيب لا يُدرك ... بشر ملكيّ ، وجسد سماويّ ، وأَمر إِلٰهيّ ، وروح قدسي ، ومقام عَلِيّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفيّ ، فهو ملك الذَّات، إِلٰهيّ الصِّفات ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ، فهم سرّ اللّـه المخزون ... ومبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيئته ... والأَسرار الإِلٰهيَّة المودعة في الهياكل البشريَّة ...**»[1] .

ودلالته قد اِتَّضحت مِمَّا تقدَّم ؛ فإِنَّه برهان وحيانيٌّ وارد لبيان وتعريف ماهيَّة وحقيقة الإِمام من أَهل البيت (صلوات اللّـه عليهم) ، وقد أَخذ عليه السلام فيه ثلاث طبقات أَساسيَّة من ماهيَّته وحقيقته عليه السلام :

أَحدها : الطَّبقات النَّازلة والمُتمثِّلة بالجنبة البشريَّة ؛ فهو يأكل الطَّعام ، ويمشي في الأَسواق ... .

وإِلى هذه الطَّبقة أَشار بيانه عليه السلام بقوله : «**... الإِمام ... بشر ... في الهياكل البشريَّة ...**» .

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ ح٣٨.

الأُخرىٰ : الطَّبقات المتوسِّطة ، والمُتمثِّلة بالجنبة الملائكيَّة السَّماوية ، والعوالم الروحانيَّة.

وإلى هذه الطَّبقة أَشار بيانه عليه السلام بقوله : «... **الإمام ... ملكيّ ، وجسد سماويّ ... وروح قدسيّ ... فهو ملك الذَّات ...**».

الثَّالثة : الطَّبقات الصَّاعدة ، والمُتمثِّلة بالجنبة الإلٰهيَّة ، ووسائط الفيض الإلٰهيّ الحصريَّة ، والوسيلة الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة الفاردة ، وعلل الوجود : (الغائيَّة والفاعليَّة) ، ووجه اللّـه ، والسَّبيل والسَّبب والحجاب والرباط الإلٰهيّ التَّكويني الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تعالىٰ ذكره) وبين كافَّة العوالم وسائر المخلوقات ، المُنعكسة في هذه الطَّبقات جميع الأَسمآء والصِّفات والشؤون الإلٰهيَّة إلَّا الأُلوهيَّة ، كما تقدَّم.

وإلى هذه الطَّبقة أَشار بيانه عليه السلام بقوله : «... **الإمام ... البحر الَّذي لا ينزف ... مهيمن اللّـه على الخلائق ، وأَمينه على الحقائق ... ظاهره أَمر لا يُمْلك ، وباطنه غيب لا يُدرك ... وأَمر إلٰهيّ ... ومقام عَلِيّ ، ونور جليّ ، وسرّ خفيّ ، فهو ... إلٰهيّ الصِّفات ... خلقهم اللّـه من نور عظمته ، وولَّاهم أَمر مملكته ، فهم سرّ اللّـه المخزون ... مبدء الوجود وغايته ، وقدرة الرَّبّ ومشيئته ... والأَسرار الإلٰهيَّة...**».

وإلى هذه الطَّبقات الثلاث أَشارت بيانات القرآن الكريم أَيضاً.

فلاحظ:

أَوَّلاً : بيان قوله جلَّ جلاله : ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[1][2] فإنَّه مُشير إلى الطَّبقة الثانية والأُولىٰ.

ثانياً : بيان قوله جلَّ وعلا : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[3] فإنَّه مُشير إلى الطَّبقة الثَّالثة ، فإنَّ ضمير (هو) عائد إلى (صاحبكم) و (نطقه) أي : إلى ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وقد عبَّرَ (جلَّ شأنه) عنها بصيغة المضارع (يوحىٰ) المفيدة للتجدُّد والإستمرار التَّأبيدي ، الدالُّ على أَنَّ ذاته ﷺ بحر وحي زخَّار لا نهاية ولا إنقطاع له أَبداً ، من بداية الخلقة إلى ما لا نهاية ، ومن ثَمَّ ورد في بيانات الوحي في حقِّ طبقات حقيقته ﷺ المتوسطة : أَنَّه كان في العوالم السَّابقة نبيّاً ورسولاً لكُلِّ الأَنبياء عليهم السلام ، بل ولمطلق المخلوقات.

فانظر:

١ـ بيانه ﷺ : «**كنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين**» أَو «**بين الرُّوح والجسد**»[4].

---

(١) الأنعام : ٨ ـ ٩.

(٢) لا بأس بالإلتفات إلى أَنَّ سورة الأَنعام من أَوَّلها إلى آخرها انفجارات عقائديَّة ومعرفيَّة ، وتحوي على أُس العقائد.

(٣) النجم : ١ ـ ٤.

(٤) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٢٧٨.

٢ـ بيان الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام : «إنَّ اللّـه خلق الخلق وهي أَظلَّة ، فأرسل رسوله مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فمنهم مَنْ آمن به ، ومنهم مَنْ كذَّبه ، ثُمَّ بعثه في الخلق الآخر فآمن به مَنْ كان آمن به في الأَظلَّة ، وجحده مَنْ جحد به يومئذ ، فقال: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[١] »[٢].

٣ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام ، عن المفضَّل بن عمر ، قال : «... يا مفضَّل ، أَمَا علمتَ أَنَّ اللّـه (تبارك وتعالىٰ) بعث رسول اللّـه صلى الله عليه وآله وهو روح إلى الأَنبياء وهم أَرواح قبل خلق الخلق بألفي عام ؟ قلتُ : بلىٰ ، قال : أَمَا علمتَ أَنَّه دعاهم إلى توحيد اللّـه وطاعته واتِّباع أَمره ووعدهم الجنَّة على ذلك وأَوعد مَنْ خالف ما أَجابوا إليه وأَنكره النَّار ؟ قلتُ : بلىٰ ...»[٣].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً : «ما بعث اللّـه نبيّاً أَكرم مِنْ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ، وَلَا خلق اللّـه قبله أَحَداً ، وَلَا أَنذر اللّـه خلقه بأَحدٍ من خلقه قبل مُحَمَّد ، فذلك قوله تعالىٰ : ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[٤]، وقال : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٥] فلم يكن قبله مُطاع في الخلق ، ولا يكون بعده إلى أَنْ تقوم السَّاعة ، في كُلِّ قرنٍ إلى أَنْ يرث اللّـه الأَرض وَمَنْ عليها»[٦].

---

(١) يونس : ٧٤.

(٢) بحار الأَنوار ، ٥ : ٢٥٩/ح٦٤.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٩ : ١٩٤ ـ ١٩٥/ح٥. علل الشرائع : ٦٥.

(٤) النجم : ٥٦.

(٥) الرعد : ٧.

(٦) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٧١/ح٨٢.

ودلالة الجميع واضحة.

ثُمَّ إِنَّ صفة : (عدم تناهي وحي ذات سيِّد الأَنبياء ﷺ) لم يثبتها القرآن الكريم لأَحدٍ غيره ﷺ قطُّ ، بل ولم يثبتها لنفسه[١]، فإِنَّه عبَّرَ عنها بصيغة الماضي (أَوحينا) ، الدَّالَّة على التناهي.

فلاحظ:

بيان قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٢].

ثالثاً : بيان قوله علا ذكره : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[٣]، فإِنَّه مُشيرٌ إِلى الطَّبقة الأُولىٰ والثَّالثة ، وعبَّرَ عن الثَّالثة أَيضاً بصيغة المضارع (يوحىٰ) المفيدة للتجدُّد والإِستمرار التَّأبيدي ، كما تقدَّم.

إِنْ قلتَ : إِنَّ هذه البيانات الوحيانيَّة الشَّريفة أَخَصُّ من المُدَّعىٰ ؛ فإِنَّها واردة لبيان حقيقة سيِّد الأَنبياء ﷺ ، وكلامنا في بيان حقيقة وماهيَّة الإِمام من مُطلق أَهل البيت : سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَئمَّة أَهل البيت صلوات اللّٰه عليهم.

قلتُ : إِعتقاد الإِماميَّة ، ومن الأُصول الموضوعيَّة المُسلَّمة عندنا نحن الإِماميَّة ، بل وما صرَّحت به بيانات الوحي : أَنَّ كُلَّ ما كان ثابتاً لسيِّد

---

(١) مرجع الضمير المُستتر في (يثبتها) ، والضمير المُتَّصل في (لنفسه) : القرآن الكريم.

(٢) الشورى : ٥٢.

(٣) الكهف : ١١٠.

الأَنبياء ﷺ من مقاماتٍ وشؤونٍ وأَحوالٍ ومناقبٍ وفضائلٍ وكمالاتٍ إِلٰهيَّة ثابتة لبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم من دون فرق إِلَّا ما خرج بالدَّليل: (النُّبُوَّة والأَزواج) ، وبقي الباقي على حاله ، منه هذا المقام والمنقبة والشَّأن والفضيلة والكمال الإِلٰهيّ.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**كُلُّ ما كان لِمُحَمَّدٍ ﷺ فلنا مِثله إِلَّا النُّبوَّة والأَزواج**»(١).

ودلالته واضحة.

وحي الإِمامة الإِلٰهيَّة وحيُ علمٌ لدنِّيٌّ من دون واسطة

ثُمَّ إِنَّ هذا النحو من الوحي الَّذي تتمتَّع به حقيقة سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم ليس بوحي نبوَّة بتوسُّط جبرئيل عليه السلام أَو غيره ، وإِنَّما وحي إِمامةٍ إِلٰهيَّة وعلمٌ لدنِّيٌّ من دون واسطة.

فلاحظ : بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن صالح بن سهل ؛ قال : «كُنتُ جالساً عنده فقال لي ابتداء منه : **يا صالح بن سهل ، إِنَّ اللّٰـه جعل بينه وبين الرسول رسولاً ولم يجعل بينه وبين الإِمام رسولاً** ، قال : قلتُ : وكيف ذاك ؟ قال: **جعل بينه وبين الإِمام عموداً من نورٍ ينظر اللّٰـه به إِلى الإِمام ، وينظر الإِمام به**

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣١٧/ ح٨٣.

إِليه ، فإِذا أَراد علم شيء نظر في ذلك النُّور فعرفه»[١] .

ودلالته واضحة.

وعليه : تكون حقيقة وماهيَّة سيِّد الأَنبياء وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم بحور وحي لا متناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور طمطامة ومهولة.

إِقصاء الفلاسفة ومَنْ شاكلهم لرجالات الوحي

اِنكفاء أَصحاب المذاهب الإِسلاميَّة عن أَهل البيت عليهم السلام

ومنه يتَّضح : أَنَّه بعدما لم يكن الأَنبياء والأَوصياء عليهم السلام خارجين عن دائرة البشريَّة فلماذا يَقصي كلامهم الفلاسفة ومَنْ جرىٰ على شاكلتهم ، بل هذه المُؤآخذة تُسجَّل أَيضاً على أَصحاب المذاهب الإِسلاميَّة ؛ فإِنَّهم انكفؤوا ولم يتعاطوا مع أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم كما تعاطوا مع غيرهم[٢]، مع أَنَّ مدرسة أَهل البيت عليهم السلام منفتحة على الجميع ، وتلك كُتُبنا مملوءة بأَقوال أَصحاب المذاهب ، بل هناك أَقوال لهم لم تُحفظ إِلَّا في كُتُب أَصحابنا ، كـ : كتاب : (الخلاف) ، و (التبيان) للشَّيخ الطُّوسي ، و(مجمع البيان) للطبرسي ، وهذا خير دليل على انفتاح مدرسة أَهل البيت عليهم السلام وأَتباعهم.

---

(١) بصائر الدرجات ، ٢ : ٣٤٠ ـ ٣٤١/ ح١٥٧١ ـ ٢.

(٢) توجد لدىٰ أَهل الخلاف كُتُب حديثيَّة وكُتُب تفسيريَّة ـ كتفسير الثعلبي ـ وكُتُب دورات رجاليَّة مخطوطة كثيرة ختموا عليها بعدم الطَّبع ؛ لإِحتوائها على ذكر وفضائل وتراجم أَهل البيت عليهم السلام ورواة وفقهاء مدرستهم عليهم السلام ، وهذا من الأُمور الخطيرة (والعياذ باللّـه تعالىٰ) لإِبادة السُّنَّة الشَّريفة.

أَهل البيت عليهم السلام سفينة نوح والبيت المعمور

الطائفة الثَّانية عشرة، ويُمثِّلها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**مثل أَهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح مَنْ ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها زخ في النَّار**»(١).

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **ونحن البيت المعمور الَّذي مَنْ دخله كان آمناً ...**»(٢).

ودلالتهما قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ السَّالك لمسلك أَهل البيت عليهم السلام ـ بعدما كانت طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة وتتبعها طبقات حقائقهم عليهم السلام المتوسطة والنَّازلة هي : الأَعلىٰ ، والأَشدُّ بالسَّاحة الإِلٰهيَّة نوطاً والتصاقاً ، ونظام عوالم الوجود على الإِطلاق ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الحصريَّة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الوحيدة الموصلة لساحة القدس الإِلٰهيَّة ، ووجه اللّٰه والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب الفارد ، والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ بين الخالق (جلَّ جلاله) وسائر العوالم وكافَّة المخلوقات وفي طرِّ النَّشَآة ـ كراكب سفينة نوح المنجية من الهلكة ؛ فيرىٰ راكبها سبلها لائحة ، وطرقها واضحة ، وأعلام الهداية والفلاح على مسالكها مرفوعة ، وأَصوات الدَّاعين إِلى الفوز والنجاح في مناهجها مسموعة ، الموصلة في سلوك

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٢٢/ح٤٥. عيون الأَخبار : ١٩٦. صحيفة الرضا عليه السلام : ٢٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٥٦ : ١٩٧/ح٦٢.

شوارعها إِلى رياض نضرة ، وحدائق خضرة مُزيَّنة بأَزهار كلّ علمٍ ، وثمار كلّ حكمةٍ ، ويبصر في طيِّ منازلها طُرقاً مسلوكة معمورة ، موصلة إِلى كلِّ شرفٍ ومنزلةٍ ، فلم يعثر على حكمةٍ إِلَّا وفيها صفوها ، ولم يظفر بحقيقةٍ إِلَّا وفيها أَصلها. وداخل في البيت المعمور المشحون بذخائر السَّعادات ، المُزيَّن بالنيِّرات المنجية عن ظلم الجهالات ، والمُورِث للنجاة من غياهب الشرك والكفر والضلال والزيغ والإِنحراف ، المؤدِّي إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ورضا الرحمٰن ، المُورِث للنعيم المقيم.

وقس على نقيضه نفوس مَنْ شَحَّت عن سلوك سُبُل تلك الطَّبقات الشَّريفة.

أَمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم والحكمة والفقه لجملة العوالم والمخلوقات

الطائفة الثالثة عشر ، ويُمثِّلها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، وقد أَوجب اللّـه على خلقه الاستكانة لِعَلِيّ عليه السلام بقوله : ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾**[1]»[2].

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، وَلَنْ يدخل المدينة إِلَّا من بابها ...**»[3].

٣ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَراد العلم فليأتِ الباب**»[4].

٤ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَرَادَ العلم فليقتبسه مِنْ عَلِيٍّ**»[5].

٥ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**يا عَلِيّ ، أَنَا مدينة الحكمة وَأَنت بابها ، وَلَنْ تُؤْتَىٰ**

---

(١) البقرة : ٥٨.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه ، ٣١ : ٤٣٦.

(٤) المصدر نفسه ، ٣٤/ ١٨٩.

(٥) المصدر نفسه ، ٤٠ : ٢٠٣/ ح٩. الإِرشاد ؛ للمفيد : ١٥.

المدينة إِلَّا مِنْ قِبَلِ الباب ...»[١].

٦ـ بيانه ﷺ أَيضاً : «**أَنَا مدينة العلم وَعَلِيّ بابها ، فَمَنْ أَراد الحكمة فليأتها من بابها ، وَأَنتم جميعاً مصطرخون فيما أُشكل عليكم من أُمور دينكم إِليه ، وهو مستغن عن كُلِّ أَحَدٍ منكم ؛ إِلى ماله من السَّوابق الَّتي ليست لأَفضلكم عند نفسه ...**»[٢].

٧ـ بيانه ﷺ أَيضاً : «**... يَا عَلِيّ ، أَنا مدينة الحكمة وَأَنْتَ بابها ، فَمَنْ أَتَىٰ المدينة من الباب وصل ، يا عَلِيّ أَنتَ بابي الَّذي أُوتىٰ منه ، وَأَنا باب اللّـه ، فَمَنْ أَتاني من سواك لم يصل ، ومَنْ أَتىٰ سواي لم يصل ...**»[٣].

٨ ـ بيانه ﷺ أَيضاً : «**أَنا مدينة الفقه وَعَلِيّ بابها**»[٤].

ودلالة الجميع قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام لَـمَّا كانت طبقات حقائقهم الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة هي : نظام عَالَم الوجود على الإِطلاق ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ في قوس النزول ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الحصريَّة في قوس الصعود والنزول ، وجنب اللّـه ووجهه (جلَّ شأنه) ؛ والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرِّباط الإِلٰهيّ الفارد والأَدنىٰ في قوس الصعود والنزول بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وعلا) وكافَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٢٦/ ح٥٣. أَمالي الصدوق : ١٦٢. إِكمال الدين : ١٤٠.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٨ : ١٩٩/ ح٦.

(٣) المصدر نفسه ، ٤٠ : ٢٠٤.

(٤) تذكرة خواص الأَئمَّة : ٢٩. اللآلي المصنوعة ، ١ : ٣٢٩. طبعة بيروت.

العوالم وسائر المخلوقات بقضِّها وقضيضها على الإِطلاق قاطبة ؛ فلا ينزل فيضٍ ـ كالعلم والحكمة والفقه ـ من ساحة القدس الإِلٰهيَّة ولو كان بمقدار مثقال ذرَّةٍ إِلَّا عن سبيلها ، وحيث إِنَّ طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسطة والنَّازلة مُتقدِّمة على بقيَّة طبقات حقائق بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام نابها الأَكبر وسنامها الأَطول ، وهامتها الأَعظم ، ورأس هرمها ، والأَلصق بالذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة على الإِطلاق ، أبد الآباد ودهر الدُّهور كانت طبقات حقيقته صلى الله عليه وآله : الظهور والتَّجلِّي الأَعظم على الإِطلاق لحقيقة علم الذَّات الإِلٰهيَّة المُقدَّسة وحكمته وفقهه (جلَّ قدسه) ، فصارت ذاته وحقيقته صلى الله عليه وآله مدينة الوحي والعلم والفقه الإِلٰهيّ ، والحكمة الإِلٰهيَّة ، ونظام لا يختل ولا يتبدَّل ولا يتخلَّف ولا يختلف أَبداً ، وبحور زاخرة لا تنزف ، وكنوز لا تفند ، وجبال شامخة لا تقهر ، الكالّ عن نعتها أَفهام النَّاعتين ، والعاجز عن وصفها لسان الواصفين. وحيث إِنَّ طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه التَّالية والأَلصق بها على الإِطلاق كان كُلُّ ما يرد من خيرٍ ووحيٍ إِلٰهيٍّ ، وعلومٍ وحِكَمٍ إِلٰهيَّةٍ وفقهٍ إِلٰهيٍّ لجملة العوالم ولطُرِّ المخلوقات ، وعبر كافَّة النَّشَآة ؛ من بداية الخلقة وعبر سالف الأَزمان وغابر الدُّهور إِلى أَبد الآباد ودهر الدهور ما دام للّٰـه حاجة في خلقه لا يكون إِلَّا عن طريق باب فارد أَوحد : طبقات حقيقة أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه ليس إِلَّا ، مفاتيح أَبواب الكرم ، ومجاديع هواطل النعم ، مَنْ أَتاها عرف من أَين تؤكل الكتف ، ومَنْ تخلَّفَ عنها كَمَنْ يتعلَّق بنسيج العنكبوت للعروج إِلى أَسباب السَّماوات!!

وهذا ما يشير إليه بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**لو يعلم النَّاس متىٰ سُمِّيَ عَلِيّ أَمير المؤمنين لَـمَا أَنكروا فضائله ، سُمِّيَ بذلك وآدم بين الرُّوح والجسد ، وحين قال اللّـه : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾**[1] **فقال اللّـه تعالىٰ : أَنَا رَبّكم ، وَمحمَّد نَبِيُّكم ، وَعَلِيّ أَميركم**»[2] ، منضمّاً إليه بيان أَبي جعفر عليه السلام ، عن عبد المؤمن الأَنصاري ، قال : «قلتُ له : لِمَ سُمِّيَ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) أمير المؤمنين ؟ قال: **لأَنَّ ميرة المؤمنين منه ، وهو كان يميرهم العلم**»[3]، وبيانه عليه السلام أَيضاً ، عن جابر ، قال : «قلتُ : جُعِلْتُ فداك ، لِمَ سُمِّيَ أَمير المؤمنين أَمير المؤمنين؟ قال : **لأَنَّه يميرهم العلم ، أَمَا سمعتَ كتاب اللّـه عزَّوجلَّ : ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾**[4]»[5].

فإِنَّ البيان الأَوَّل دالٌّ على أَنَّ أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) تمتَّع بهذا المقام الإِلٰهيّ وهو في عَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ، والبيان الثَّاني والثَّالث دالَّان على أَنَّ دور هذا المقام علَّة فاعليَّة لإِمارة العلم وإِفاضته وتزويد المخلوقات به ، وحيث إِنَّ المقام والهبة الإِلٰهيَّة أَمر تكوينيّ يُفعَّل لدىٰ المخلوق من حين تمتُّعه به كان أَمير المؤمنين (صلوات اللّـه عليه) هو العلَّة الفاعليَّة لإِمارة المخلوقات وتزويدها بالعلم والمعرفة في العوالم السَّابقة ، كـ : عَالَمَ : الذَّرِّ

---

(١) الأعراف : ١٧٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٧٨/ح٢٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٣٧ : ٢٩٥/ح١١. بصائر الدرجات : ١٤٩.

(٤) يوسف : ٦٥.

(٥) بحار الأَنوار ، ٣٧ : ٢٩٣/ح٧. معاني الأَخبار : ٦٣. علل الشرائع : ٦٥. البرهان : ٢٥٨.

والميثاق ، والبرزخ النَّازل ، والأَصلاب ، والأَرحام.

ويُشير إلى هذه القضيَّة في عَالَم الأَصلاب بيانه (صلوات اللّـه عليه) المُتقدَّم : «... **وأَنا الخضر عَالَم موسىٰ ، وأَنَا مُعَلِّم سليمان بن داود ...**»[١].

جملة علوم طُرّ المخلوقات وفي كافَّة العوالم لا تكون إلاَّ بأَمير المؤمنين عليه السلام

وممَّا تقدَّم يتَّضح : الجمّ الغفير من بيانات الوحي ، منها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام ، مخاطباً كميل بن زياد : «**يا كميل ، ما مِنْ علم إِلَّا وأَنا أفتحه ...**»[٢].

ثانياً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**علم ما كان وما يكون كُلّه في القرآن الكريم ، وعلم القرآن كُلّه في سورة الفاتحة ، وعلم الفاتحة كُلّه في البسملة منها ، وعلم البسملة كلّها في بائها ، وأَنَا النقطة تحت الباء**»[٣].

ثالثاً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**... ليس أَحَد عنده علم شيءٍ إِلَّا خرج من عند أَمير المؤمنين عليه السلام ؛ فليذهب النَّاس حيث شاءوا ، فواللّـه ليأتين الأَمر هٰهنا. وَأَشار بيده إلى صدره**»[٤].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**أَمَا إِنَّه ليس عند أَحَدٍ علم وَلَا حَقّ وَلَا فتيا إِلَّا**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٥/ ح١.

(٢) المصدر نفسه ، ٧٤ : ٢٦٦ ـ ٢٧٧/ ح١. بشارة المصطفىٰ : ٢٩.

(٣) مشارق أَنوار اليقين : ٢٥.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢ : ٩٤/ ح٣٤. بصائر الدَّرجات ، ١ : ٤٦/ ح٥٥.

شيء أُخذ عن عَلِيّ بن أَبِي طالب عليه السلام ، وَعَنّا أَهل البيت ، وما مِنْ قضاءٍ يُقْضَىٰ بِهِ بحقٍّ وصوابٍ إِلَّا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام وَمِنّا. فإِذا اختلف عليهم أَمرهم قاسوا وعملوا بالرأي ، وكان الخطأ مِنْ قِبَلهم إِذا قاسوا ، وكان الصَّواب إِذا اتَّبعوا الآثار من قِبَلِ عَلِيّ عليه السلام»[١].

خامساً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**كُلُّ ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل**»[٢].

سادساً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**... أعلم ما في المشرق والمغرب ، وَمَا في السَّماوات والأَرض ، وَمَا في البرِّ والبحر وعدد ما فيهنَّ ، وليس ذلك لإِبليس وَلَا لملك الموت**»[٣].

سابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**... فكُلُّ علمٍ خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فمنَّا وعنَّا ...**»[٤].

ودلالتها قد اتَّضحت أَيضاً ، فإِنَّه إِضافة إِلى إِطلاقها وما تقدَّم بيانه دالَّة بقرينة ما تقدَّم أَنَّه لا يوجد علمٌ ولا حقٌّ ولا فتيا ولا صوابٌ من بداية الخلقة إِلى ما نهاية ، لدىٰ كُلّ العوالم وجميع المخلوقات إِلَّا وكان أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم هم العلل الفاعليَّة لها ؛ لكون طبقات حقائقهم عليهم السلام الصَّاعدة هي الصِّفات والأَسمآء الإِلٰهيَّة ، كـ : الاسم الإِلٰهيّ :

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ٩٥/ ح٣٦.

(٢) مختصر البصائر : ١٩٨/ ح١٧٩ ـ ٢٠.

(٣) بحار الأَنوار ، ٦٣ : ٢٧٥ ـ ٢٧٦/ ح١٦٣. دلائل الإِمامة : ١٢٥.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٤/ ح٤١.

(الوهاب ، والعليم ، والهادي ، والمغني ، والنَّافع ، والنُّور ، والوارث ، والرشيد) ، ووسائط الفيض الإلٰهيَّة ، والعلل التَّكوينيَّة الفاعليَّة الإلٰهيَّة ، والأَسباب الإلٰهيَّة التَّكوينيَّة ، يُفاض من خلالها كُلّ خيرٍ وعلمٍ وحكمةٍ وحقٍّ وفتيا وصوابٍ ؛ على طُرِّ العوالم وجملة المخلوقات من بداية الخلقة والوجود إلى ما لا نهاية ، في هذه النَّشْأة وفي سائر النَّشَآة.

ومنه يتَّضح : ما تقدَّم من بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **وأَنا النقطة تحت الباء**» ، أَي : (باء الإستعانة) ؛ فعلم ما كان وما يكون كلّه موجود في القرآن الكريم ، وعلم القرآن كلّه في سورة الفاتحة ، وعلم الفاتحة كلّه في البسملة منها ، وعلم البسملة كُلّه في بائها ، وأَمير المؤمنين هو : (باء الإستعانة) ، أَي : أَنَّه عليه السلام هو : النقطة والمحور والوسيلة والباب الَّذي لا يمكن لأَحدٍ قَطُّ ـ سواء أَكان نبيّاً مرسلاً أَم ملكاً مُقرَّباً أَم مؤمناً ممتحناً ـ في جملة العوالم والنَّشَآة إحتواء خيرٍ ووحيٍّ وعلمٍ وحكمةٍ وحقٍّ وفتيا حقَّةٍ وصوابٍ وهلمَّ جرّاً إلَّا بعد التَّوسُّل والتَّشَبُّث والإستعانة بطبقات حقيقته ؛ وطبقات حقائق بقيَّة أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم، وإلَّا فشطط كلام وشطح مقال ، شعر المخلوق بذلك أَم لا.

وحي القرآن لا يكون إلاَّ من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام

ومنه يتَّضح : أَنَّ ما يأتي به جبرئيل عليه السلام من وحي لا يكون إلَّا بتوسُّط طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المتوسطة ؛ لأَنَّها المنبع ، وبتوسط طبقات حقيقة أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت (صلوات اللّٰـه عليهم) المتوسُّطة أَيضاً ؛

لأَنَّها باب ذلك المنبع المُقدَّس الكريم الشَّريف.

بل الوحي الصَّاعدة ـ وحي (روح القدس) حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ لا يكون منبعه إِلَّا الطَّبقات الصَّاعدة لذات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وباب إِفاضته ونزوله على مراتب طبقات ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله المُتوسِّطة لا يكون إِلَّا طبقات حقائق ذات أَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

بل وحي القرآن الكريم بطبقته الصَّاعدة ـ أَي : طبقة (روح القدس) و(الروح الأَمري) ـ فضلاً عن النَّازلة لا يكون إِلَّا شيء يسير وشعاع نازل من أَشعَّة نور وبحور وحي ذوات وحقائق أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم الطمطامة المُتلاطمة واللامتناهية أَبد الآباد ودهر الدُّهور.

وهذا ما تُشير إِليه بيانات الوحي ، منها :

بيان الإِمام الحسن العسكري صلوات اللّٰـه عليه : «**قد صعدنا ذرىٰ**[١] **الحقائق بأَقدام النُّبُوَّة والولاية ، ونوَّرنا**[٢] **سبع طبقات أَعلام الفتوىٰ بالهداية، فنحن ... غيوث الندىٰ ... وروح القدس في جنان الصَّاقورة**[٣] **ذاق من**

---

(١) الذُّرىٰ : جميع الذُّرْوَة ، وهو : العلو. والمكان المرتفع. وأَعلىٰ الشيء وقمَّته.

(٢) في نسخة : (ونوَّرنا سبع طبقات النُّبوَّة والهداية). وفي أُخرىٰ : (سبع طبقات أَعلام الفتوة والهداية).

(٣) في نسخة : (الصَّاغورة).

حدائقنا الباكورة ...»[1].

وسيأتي (إنْ شآء اللّـه تعالىٰ) توضيح وشرح هذا البيان الوحيانيّ الشَّريف في الطَّائفة الخامسة عشرة ، فانتظر هنيئة.

وعليه : فوحي القرآن الكريم سوآء أَكان الوحي النَّازل عن طريق جبرئل عليه السلام ، أَو الوحي الصَّاعدة عن طريق (روح القدس) ـ من سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ لكونه صلى الله عليه وآله قمَّة الهرم ، إلى سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله. فتدبَّر جيداً.

وهذه وغيرها نكات بكر ما فُضَّت من قبل قَطُّ ، خذها واغتنم ، وعظ عليها بضرس قاطع تربت يداك.

أَهل البيت عليهم السلام مُعلِّمون إلهيُّون لجملة الخلائق وفي كافَّة العوالم

وهكذا تتَّضح : بيانات الوحي الشَّريفة الأُخرىٰ ، منها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «**... إِنَّ اللّـه تعالىٰ خلقني وخلق عليّاً عليه السلام قبل أَنْ يخلق آدم ... ثُمَّ خلق الملائكة فسبَّحنا وسبَّحَت الملائكة ، فهلَّلنا فهلَّلت الملائكة ، وكبَّرنا فكبَّرت الملائكة ، وكان ذلك بتعليمي وتعليم عَلِيّ ، وكان ذلك في علم اللّـه السَّابق : أَنَّ الملائكة تتعلَّم مِنَّا التَّسبيح والتَّهليل، وكلّ شيءٍ يُسَبِّح للّـه ويُكبِّره ويُهلِّله بتعليمي ، وتعليم عَلِيّ ...**»[2].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٦٤ ـ ٢٦٥/ ح٥٠.

(٢) المصدر نفسه : ٣٤٥ ـ ٣٤٦/ ح١٨. إرشاد القلوب : ٢١٥ ـ ٢١٦.

ثانياً : بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «... **إِنَّ اللّٰـه خلقني وعليّاً من نورٍ واحدٍ قبل خلق آدم ... ثُمَّ خلق الأَشياء من نوري ونور عَلِيّ** عليه السلام **... فَكُلّ مَنْ سَبَّحَ اللّٰـه وكبَّره فإنَّ ذلك من تعليم عَلِيّ** عليه السلام»[١] .

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **لم نزل أَنواراً حول العرش نُسَبِّح فيُسَبِّح أَهل السَّمآء لتسبيحنا ، فَلَمَّا نزلنا إِلى الأَرض سَبَّحْنا فَسَبَّحَ أَهل الأَرض ، فَكُلُّ علمٍ خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فَمِنَّا وَعَنَّا ...**»[٢] .

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإِنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة لَـمَّا كانت هي واسطة الفيض الإِلٰهيّ الفاردة ، وجنب اللّٰـه ووجهه الكريم ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الوحيدة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ الحصري بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تبارك وتعالىٰ) وبين جملة العوالم وسائر المخلوقات ، فكلّ ما كان يصدر إِلى الملائكة وينزل عليها وعلى بقيَّة المخلوقات من ساحة القدس الإِلٰهيَّة مهول وخطير وعظيم أَكان ذلك الشيء النَّازل أَم كان بمقدار حبَّةٍ من خردلٍ ، لا يكون إِلَّا عن طريق حقائق أَهل البيت عليهم السلام ، فيكونوا صلوات اللّٰـه عليهم بلحاظ العلم وبقيَّة المعارف الإِلٰهيَّة مُعلِّمين إِلٰهيِّين لكافَّة الملائكة وجملة بقيَّة المخلوقات ؛ في سائر العوالم والنَّشَآة ، من بداية الخلقة إِلى مالا نهاية.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ٢٤/ح٤٢.

(٢) المصدر نفسه / ح٤١.

لو علم أَصحاب العلوم كيف كان بدء الخلقة لَمَا وقع الخلاف والإختلاف بينهم

الطَّائفة الرَّابعة عشرة ، ويُمثِّلها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «**يهلك أَصحاب الكلام ، وينجو المُسَلِّمون ؛ إِنَّ المُسَلِّمين هم النجباء ، يقولون : هذا ينقاد ، وهذا لا ينقاد. أَمَا واللّـه ، لو علموا كيف كان أَصل الخلق ما اختلف اثنان**»[1] .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ أَصحاب علم الكلام ومن جرىٰ على شاكلتهم كالفلاسفة والعرفاء والصُّوفيَّة أَسَّسوا بعقولهم النَّاقصة أُصولاً ، وقالوا : هذا الكلام ينقاد ويستقيم ويجري على أُصولنا ، وهذا الكلام لا ينقاد ولا يستقيم ولا يجري على أُصولنا ، لكنَّهم لو علموا كيفية بدؤ الخليقة وأَنَّ الأَصل فيها أَهل البيت عليهم السلام ـ كما تقدَّم ـ لالتجأوا إِلى علومهم (صلوات اللّـه عليهم) ، وما اختلفوا في شيءٍ ، فلجهلهم بأَصل الخلقة وحقيقة أَهل البيت عليهم السلام وما تقدَّم بيانه وما سيأتي (إِنْ شاء اللّـه تعالىٰ) يُثبتون بعقولهم أُصولاً باطلة تنشأ منها مُقدِّمات فاسدة ، يبنون عليها علومهم ومعتقداتهم ، لكنَّهم لو كانوا يعلمون كيفيَّة الخلق وأَصله ؛ وكيفيَّة إِفاضة وحصول العلم والمعلومة ، ومركزيَّة أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم في تزريقها وبثِّها ونشرها على جملة المخلوقات وفي كافَّة العوالم لَـمَا اختلفوا ولا تنازعوا ، ولم

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ١٣٢/ ح٢٣.

يتعرَّضوا لفهم ما لم يُكلَّفوا بفهمه ، ولا يُحيط به علمهم ، ولِاعترفوا بعجزهم وقصور مداركهم ، ولَـمَا ارتطموا بأُمورٍ عرَّضوا من خلالها أَنفسهم للوقوع في الهلكة ، والنَّاجي مَنْ سلَّم باطنه وظاهره لعلوم أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّٰـه عليهم ، ونشب أَظفاره بها بكلِّ ما أُتي من قوَّةٍ ، وأَخذ وتعبَّد والتصق بها التصاق متين ؛ كـ : التصاق عرق الوريد بالبدن ، واللَّحم باللَّحم ، والجلد بالجلد.

وحي القرآن شعاع من بحور وحي حقائق أَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة الخامسة عشرة ، ويُمثِّلها :

بيان الإِمام الحسن العسكري عليه السلام : «**قد صعدنا ذرىٰ[1] الحقائق بأَقدام النُّبوَّة والولاية ، ونوَّرنا[2] سبع طبقات أَعلام الفتوىٰ بالهداية ، فنحن ... غيوث الندىٰ ... وروح القدس في جنان الصَّاقورة[3] ذاق من حدائقنا الباكورة ...**»[4].

ودلالته قد اِتَّضحت ؛ فإِنَّه بعدما تقدَّم من أَنَّ حقائق أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم الصَّاعدة هي : وسائط الفيض الإِلٰهيّ الحصريَّة الفاردة، والوسيلة الإِلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة ، ووجه اللّٰـه ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ التَّكويني الحصري والأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ وتقدَّس) ، وبين كافَّة العوالم وسائر المخلوقات اللامتناهية ، وتقدَّم أَيضاً : أَنَّ طبقات حقائقهم صلوات اللّٰـه عليهم الصَّاعدة هي : الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ذاتيَّة كانت أَم فعليَّة ، وتقدَّم كذلك : أَنَّ نفس القرآن الكريم وصف حقيقته ووحيه بصيغة الماضي (أَوحينا) الدَّالَّة على المحدوديَّة

---

(١) الذُّرىٰ : جميع الذُّرْوَة ، وهو : العلو. والمكان المرتفع. وأَعلىٰ الشيء وقمَّته.

(٢) في نسخة : (ونوَّرنا سبع طبقات النُّبوَّة والهداية). وفي أُخرىٰ : (سبع طبقات أَعلام الفتوة والهداية).

(٣) في نسخة : (الصَّاغورة).

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٦٤ ـ ٢٦٥/ح٥٠.

والتناهي[1]، ووصف حقيقة ووحي ذات سيِّد الأَنبياء وبالتَّبع بقيَّة أَهل

(١) هذا بلحاظ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، أَمَّا بلحاظ ما تحت حقيقته الصَّاعدة من مخلوقات ، منها : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام النَّازلة ، فالقرآن الكريم لا محدود ولا متناهي وهو الأَعظم ، فهذه قضيَّة نسبيَّة ، فالتفت.
وإِلى كُلِّ هذا أَشارت بيانات الوحي ، منها : بيانات حديث الثقلين.
فلاحظ:
بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «يا أَيُّها النَّاس ، إِنِّي تارك فيكم الثقلين : الثقل الأَكبر ، والثقل الأَصغر ... قالوا: وما الثقل الأَكبر ؟ وما الثقل الأَصغر ؟ قال: الثقل الأَكبر كتاب الله ... والثقل الأَصغر عترتي أَهل بيتي». بحار الأَنوار ، ٢٣ : ١٤٠/ح٨٩. بصائر الدرجات : ١٢٢ ـ ١٢٣.
وهذا البيان الشَّريف مُشير إِلى النَّحو الثَّاني ؛ فإِنَّ طبقات حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة إِذا قيست إِلى طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام النَّازلة كانت هي الأَعظم.
أَمَّا إِذا قيست طبقات حقيقته الصَّاعدة إِلى طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة أَيضاً كانت طبقات حقائقهم صلوات اللّـه عليهم هي الأَعظم والأَخطر على الإِطلاق.
وإِلى هذا تُشير بياناته الأُخرىٰ ، منها :
بيناته صلى الله عليه وآله : «... وإِنِّي تارك فيكم الثقلين ، أَحدهما أَعظم من الآخر : كتاب اللّـه ... وعترتي أَهل بيتي ...». بحار الأَنوار ، ١٠ : ٣٦٩/ح١٨.
ولم يُصَرِّح صلى الله عليه وآله بتقدُّم أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم للتقيَّة.
بل صرَّحَت بذلك بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :
بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... فَكُلُّ علمٍ خرج إِلى أَهل السَّماوات والأَرض فمنَّا وعنَّا ...». بحار الأَنوار، ٢٥ : ٢٤/ح٤١.
بتقريب : مُرَكَّب من مُقدِّماتٍ ثلاث :
الأُولىٰ : أَنَّ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ؛ والمُتمثِّلة بـ : (روح القُدس ؛ أَي : الرُّوح الأَمري) من كُمَّل المخلوقات الإِلٰهيَّة الشَّريفة.
الثَّانية : أَنَّ وحي القرآن الكريم أَحد العلوم السَّماويَّة. ←

البيت صلوات اللّـه عليهم في أَكثر من بيانٍ بصيغة المضارع (يوحىٰ) الدَّالَّة على الاستمرار والتجدُّد التأبيدي ، يتَّضح ويتجلَّىٰ هذا البيان الشَّريف أَكثر ، لاسيما عجزه ؛ فإِنَّ المراد من بيان قوله عليه السلام : «**وروح القدس**» أَي : حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ، والمُعبَّر عنها في بيانات الوحي الأُخرىٰ بـ : (الرُّوح الأَمري) ، وهو شُعْبَة من شُعَب أَرواح أَهل البيت عليهم السلام ، وشريحة صغيرة من أَرواحهم المُقدَّسة ، ومرتبة هذه الرُّوح في السَّمآء الرَّابعة أَو الثَّالثة ـ على اختلاف التَّفاسير ـ ، موجودة في جنَّة أسمها : (الصَّاقورة) على وزن فاعولة، مأخوذة من مادَّة الصغر ؛ هذا بالقياس إِلى جنان وحدائق وحي ومعارف حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الأُخرىٰ الصَّاعدة ، وفي هذه الجنَّة يأخذ روح القدس ـ أَي : حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ وحيه ومعارفه من حدائق وبحور حقائق أَهل البيت عليهم السلام الطمطامة اللامتناهية ، لكن : كُلّ ذلك الوحي الشَّريف وتلك المعارف الإِلٰهيَّة الَّتي حوتها حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة لم تتعدَّ مقام الذوق ، أَي : شيء قليل جِدّاً بلحاظ ما عند أَهل البيت عليهم السلام من وحيّ لامتناهي ، وكميَّة الذوق ونوعيَّته كانت بمقدار الباكورة ، أَي : من ثمار بحور معارف ووحي حقائق أَهل البيت عليهم السلام

→ **الثَّالثة** : أَنَّ جملة ما خرج من علوم إِلٰهيَّة لأَهل السَّماوات والأَرض منهم روح القدس ـ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة ـ لا يكون إِلَّا عن طريق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ، فهي منهم وعنهم. ومعناه : أَنَّهم صلوات اللّـه عليهم مُعَلِّمُون إِلٰهيُّون.

والنتيجة : أَنَّ حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة تلميذ لطبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ومُتَعَلِّم عنها ، فيكونوا صلوات اللّـه عليهم هم الأَخطر والأَعظم.

اللامتناهي ؛ لكن في بداية نضوجها ، وهذا دالٌّ على مدىٰ عظمت ما تحويه حقائق أَهل البيت عليهم السلام من وحي ومعارف إِلٰهيَّة.

إِذَنْ : حقيقة وحي ومعارف القرآن الكريم وإِنْ كانت بنفسها وبلحاظ ما تحتها لا متناهية وعظيمة ومهولة جِدّاً ، لكنَّها إِذا قيست إِلى ما فوقها ؛ أَي: إِلى حقائق وحي ومعارف أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة كانت شعاعاً ضعيفاً ونازلاً من أَشعَّة نور وبحور وحيهم ومعارفهم وحقائقهم صلوات اللّٰـه عليهم الطمطامة المتلاطمة اللامتناهية أَبداً وأَزلاً.

وهذه قاعدة عظيمة جِدّاً لفهم معضلات أَحوال وشؤون أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم. فالتفت ، وتدبَّر جيِّداً ، واغتنم.

حقائق أَهل البيت عليهم السلام محيطة بظاهر وباطن جميع ما نزل من وحي السَّمآء

الطَّائفة السَّادسة عشر ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الحاكي لولادة أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **ولقد هبط حبيبي جبرئيل في وقت ولادة عَلِيّ ، فقال : يا حبيب اللّـه ، العليّ الأَعلىٰ يقرء عَلَيكَ السَّلَام ، ويهنئكَ بولادة أَخيكَ عَلِيّ ، ويقول : هذا أَوآن ظهور نبوَّتكَ ، وإِعلان وحيكَ وكشف رسالتكَ ... فقمتُ مبادراً فوجدتُ فاطمة بنت أَسد أُمّ عَلِيّ وقد جاء لها المخاض**[1] **... فمددتُ يدي اليمنىٰ نحو أُمّه فإِذا أَنَا بِعَلِيٍّ على يدي ، واضعاً يده اليمنىٰ في أُذنه اليمنىٰ ، وهو يؤذِّن ويُقيم بالحنيفيَّة ، ويشهد بوحدانيَّة اللّـه عزَّوجلَّ وبرسالاتي ، ثُمَّ انثنىٰ إِلَيَّ وقال : السَّلَام عليكَ يا رسول اللّـه ، ثُمَّ قال لي : يا رسول اللّـه ، أَقرء؟ قلت: اِقرء ، فوالَّذي نفس مُحمَّد بيده ، لقد ابتدأ بالصحف الَّتي أَنزلها اللّـه عزَّوجلَّ على آدم فقام بها ابنه شيث ، فتلاها مِنْ أَوَّل حرفٍ فيها إِلى آخر حرف فيها ، حتَّىٰ لو حضر شيث لأَقَرَّ له أَنَّه أَحفظ له منه ، ثُمَّ تَلَا صحف نوح ، ثُمَّ صحف إِبراهيم ، ثُمَّ قرأ توراة موسىٰ حتَّىٰ لو حضر موسىٰ لأَقَرَّ له بأَنَّه أحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ زبور داود حتَّىٰ لو حضر داود لأَقَرّ بأَنَّه أحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ إنجيل عيسىٰ حتَّىٰ لو حضر عيسىٰ لأَقر بأَنَّه أَحفظ لها منه ، ثُمَّ قرأ القرآن الَّذي أَنزل اللّـه عَلَيَّ مِنْ أَوَّله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له**

---

(١) في روضة الواعظين : (وقد جاءها المخاض).

السَّاعة من غير أَنْ أَسمع منه آية ؛ ثُمَّ خاطبني وخاطبته بما يُخاطب الأَنبياء الأَوصياء ، ثُمَّ عاد إِلى حال طفوليَّته ، وهكذا أَحد عشر إِماماً من نسله ...»[1].

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... سلوني ؛ فإِنَّ عندي علم الأَوَّلين والآخرين ، أَمَا واللّـه لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأَفتيتُ أَهل التوراة بتوراتهم حتَّىٰ تنطق التَّوراة فتقول : صدق عَلِيٌّ ما كذب ؛ لقد أفتاكم بما أَنزل اللّـه فيَّ. وأفتيتُ أَهل الإِنجيل بإنجيلهم حتَّىٰ ينطق الإِنجيل فيقول : صدق عَلِيٌّ ما كذب ، لقد أَفتاكم بما أَنزل اللّـه فيَّ. وَأَفتيتُ أَهل القرآن بقرآنهم حتَّىٰ ينطق القرآن فيقول : صدق عَلِيٌّ ما كذب ، لقد أَفتاكم بما أَنزل اللّـه فيَّ ... ولولا آية في كتاب اللّـه عزَّوجلَّ لأَخبرتكم بما كان وبما هو كائن إِلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿يَمْحُواللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[2]**، ثُمَّ قال : سلوني قبل أَنْ تفقدوني ، فوالَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آيةٍ آية في ليلٍ أُنزلت أَو في نهارٍ أُنزلت ، مكِّيِّها ومدنيِّها ، وسفريِّها وحضريِّها ، ناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وتأويلها وتنزيلها لأَخبرتكم ...»**[3].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٥ : ١٩ ـ ٢٣/ح١٥. الروضة : ١٧ ـ ١٨. روضة الواعظين : ٧٢ ـ ٧٣. الهداية الكبرىٰ : ١٢٤ ـ ١٢٧/ح٣. وبين هذه المصادر إِختلافات ، لكنَّها غير مُخلَّة بالمعنىٰ.

(٢) الرعد : ٣٩.

(٣) بحار الأَنوار ، ١٠ : ١١٧ ـ ١٢١/ح١. التوحيد : ٣١٩ ـ ٣٢٣. الأَمالي : ٢٠٥ ـ ٢٠٨/ المجلس الخامس والخمسون. الاحتجاج : ١٣٧.

ودلالتهما قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّهما مشيران إِلى قوس النزول ؛ فبعد ما كان أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم بطبقات حقائقهم الصَّاعدة ـ وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم الشَّريفة المتوسطة والنَّازلة ـ : وسائط الفيض الرُّبوبي الحصريَّة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة ، والعلل الإِلٰهيَّة الفاعليَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب الإِلٰهيّ ، والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ والوحيد بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ جلاله) وبين كافَّة العوالم وسائر المخلوقات ، وبعدما كانت طبقات حقيقة ذات أَمير المؤمنين عليه السلام الصَّاعدة : رأس هرم تلك الطَّبقات ـ بعد طبقات حقيقة ذات سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ـ كان ما ينزل من ساحة القدس الإِلٰهيَّة إِلى جملة العوالم وكافَّة المخلوقات من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية من فيض : وحي وعلم إِلٰهيّ ، ومعارف إِلٰهيَّة لا يكون إِلَّا عن طريق طبقات حقيقة ذات أَمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم والفقه والحكمة ؛ فتكون طبقات حقيقته (صلوات اللّٰـه عليه) النَّازلة في النَّشْأة الأَرضيَّة ، تبعاً لطبقاتها الصَّاعدة والمتوسطة الشَّريفة مُحيطة وعالمة وعارفة بظاهر وباطن جميع ما نزل من وحي سمآء ساحة القدس الإِلٰهيَّة إِلى كُمَّل المخلوقات من أَنبياء ورسل وغيرهم ، أَكثر من دون قياس من إِحاطتهم وعلمهم ومعرفتهم بما نزل وأُوحي إِليهم ، وبرسالاتهم وكُتُبهم وصحفهم السَّماويَّة.

الإمام عليه السلام عَالِمٌ قبل المحو بما سيحدث بعده

وينبغي الإلتفات : أَنَّه ليس المراد من بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «**ولولا آية في كتاب اللّـه عزَّوجلَّ لأَخبرتكم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهي هذه الآية : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**» أَنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام لا يعلم قبل المحو بما سيُثبته اللّـه ـ المُسَمَّىٰ ـ عزَّوجلَّ بعد المحو، وإِنَّما مراده صلوات اللّـه عليه : أَنَّ الحكمة الإِلٰهيَّة اقتضت أَنَّ بعض الأُمور والمعارف والأَحكام الإِلٰهيَّة تجري على هذا النحو ، ولو أَخبرتكم بما سيحصل بعد المحو في مُستقبل الأُمور لبطلت تلك الحكمة الإِلٰهيَّة ، فحفاظاً على تلك الحكمة الإِلٰهيَّة أَنا لا أُخبركم بذلك.

والدَّليل : ما تقدَّم من بيانات وحيانيَّة ؛ وأَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة انعكست فيها جميع صفات وأَسمآء وشؤون الذات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ؛ لخروجها موضوعاً وتخصُّصاً ، ومن تلك الصِّفات والشؤون الإِلٰهيَّة المُنعكسة في حقائقهم عليهم السلام : علمهم بما كان وما سيكون بعد المحو.

بل نفس قوله عليه السلام : «**ولولا آية في كتاب اللّـه عزَّوجلَّ لأَخبرتكم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة**» دالٌّ بوضوح على أَنَّ علم ذلك موجود عنده صلوات اللّـه عليه ، لكن الحكمة الإِلٰهيَّة الكاشف عنها بيان قوله تعالىٰ: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ هي المانعة من إِصحاره عليه السلام بما سيثبته الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ تقدَّس ذكره بعد المَحو.

بل كيف وحقيقة (أُمّ الكتاب) هي أَحد طبقات حقيقته وحقائق بقيَّة أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ؛ في عَالَمَ الأَسمآء والصِّفات الإِلٰهيَّة ؛ عَالَمَ السرمد والأَزل ، والمُعبَّر عنه في بيانات الوحي ـ كهذا البيان الشَّريف ـ بعنوان : (عنده).

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان أَمير المؤمنين صلوات اللّٰـه عليه : «... **هذا كُلّه لآل مُحَمَّد لا يشاركهم فيه مُشارك ... فهم ... أُمّ الكتاب وخاتمته ...**»[١].

٢ـ بيانه صلوات اللّٰـه عليه أَيضاً : «... **أَنا أُمّ الكتاب ...**»[٢].

٣ـ بيان زيارته صلوات اللّٰـه عليه : «... **السَّلام على من عنده ... أُمّ الكتاب ...**»[٣].

ودلالة الجميع واضحة.

إِذَنْ : المانع ليس هو عدم علمه صلوات اللّٰـه عليه بما سيحدث بعد المحو ، وإِنَّما نفس الحكمة الإِلٰهيَّة الكاشف عنها بيان الآية الكريمة. فتأَمَّل جيِّداً.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٦٩ ـ ١٧٤/ح٣٨.

(٢) مشارق أَنوار اليقين : ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) بحار الأَنوار ، ٩٧ : ٣٠٢. مصباح الزائر : ٧٥ ـ ٧٧. المزار الكبير : ٨١ ـ ٨٢.

ما حوته الأَنبياء من كمالات لم يكن إلاَّ بالتَّوسُّل بأَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة السَّابعة عشرة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **والَّذي نفسي بيده ، ما استوجب آدم أَنْ يخلقه اللّـه وينفخ فيه من روحه ، وَأَنْ يتوب عليه ؛ ويردَّه إِلى جنَّته إِلَّا بنبوَّتي والولاية لِعَلِيٍّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما أَرىٰ إِبراهيم ملكوت السَّماوات والأَرض ؛ ولا اتَّخذه خليلاً إِلَّا بنبوَّتي والإِقرار لِعَلِيٍّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما كلَّم اللّـه موسىٰ تكليماً ؛ ولا أَقام عيسىٰ آية للعالمين إِلَّا بنبوَّتي ومعرفة عَلِيّ بعدي ، والَّذي نفسي بيده ، ما تنبَّأَ نبيّ إِلَّا بمعرفتي والإِقرار لنا بالولاية ، ولا استأهل خلق من اللّـه النظر إِليه إِلَّا بالعبوديَّة له ؛ والإِقرار لِعَلِيٍّ بعدي ...**»[1] .

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام منضمّاً إِليه بيان النَّبيّ صالح والنَّبيّ سليمان عليهما السلام ، عن سلمان قال : «... **فقلنا : يا أَمير المؤمنين ، مَنْ هذا الشَّابُّ؟ فقال عليه السلام : صالح النَّبيّ ... فلمَّا نظر إِليه صالح لم يتمالك نفسه حتَّىٰ بكىٰ ، وأَومأ بيده إِلى أَمير المؤمنين عليه السلام ، ثُمَّ أَعادها إِلى صدره وهو يبكي ... فقلنا له: ما بكاؤك؟ قال صالح : إِنَّ أَمير المؤمنين عليه السلام كان يمرّ بي عند كلّ غداة فيجلس ، فتزداد عبادتي بنظري إِليه فقطع ذلك مذ عشرة أَيّام فأقلقني ذلك ، فتعجَّبنا من ذلك. فقال عليه السلام : تريدون أَنْ أُريكم سليمان بن داود؟ قلنا : نعم ، فقام ونحن معه حتَّىٰ دخل بستاناً ... وإِذا سرير عليه شابّ ملقىٰ على ظهره**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٤٠ : ٩٦ ـ ٩٧/ ح١١٦ . كتاب سليم بن قيس : ١٦٨ ـ ١٧٠ .

... فنهض قائماً وقال : السَّلام عليك يا أَمير المؤمنين ، ووصي رسول ربّ العالمين، أَنتَ واللّـه الصِّدِّيق الأَكبر ، والفاروق الأَعظم ، قد أَفلح مَنْ تمسَّكَ بِكَ ، وقد خاب وخسر من تخلَّف عنكَ ، وإِنِّي سألت اللّـه (عزَّوجلَّ) بكم أَهل البيت فأَعطيتُ ذلك المُلك. قال سلمان : فلمَّا سمعنا[1] كلام سليمان بن داود لم أَتمالك نفسي حتَّىٰ وقعتُ على أقدام أَمير المؤمنين عليه السلام أُقَبِّلها ، وحمدتُ اللّـه (عزَّوجلَّ) على جزيل عطآئه بهدايته إِلى ولاية أَهل البيت ... وفعل أَصحابي كما فعلتُ ...»[2].

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**ما نُبِّئ نبيّ قَطُّ إِلَّا بمعرفة حقِّنا ، وبفضلنا على مَنْ سوانا**»[3].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «**ولايتنا ولاية اللّـه الَّتي لم يبعث نبيّ قَطُّ إِلَّا بها**»[4].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً مِمَّا سبق ؛ فإِنَّ أَهل البيت الأَطهار (صلوات اللّـه عليهم) لَـمَّا كانوا هم السَّبيل والواسطة والوسيلة الإِلٰهيَّة التَّكوينيَّة الحصريَّة الموصولة لساحة القُدس الإِلٰهيَّة ، فمن أَراد الحبوة والحُظوَة والهبة الإِلٰهيَّة والقرب الإِلٰهيّ كالنُّبوَّة وارتفاع الدرجات والمقامات الإِصطفائيَّة فعليه أَوَّلاً معرفة ذلك السَّبيل ، ومعرفة الواسطة والوسيلة الإِلٰهيَّة الموصلة ثُمَّ الإِلتصاق بها ، سوآء أَكان ذلك المخلوق نبيّاً مرسلاً ، أَم ملكاً مُقرَّباً ، أَم مؤمناً مُمتحناً ، أَم غيرهم.

---

(١) في المصدر : (سمعتُ).

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٧ـ٣٨/ح٥.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦ : ٢٨١/ح٢٨. بصائر الدرجات : ٥١.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٣٦/ح١٣٣. أَمالي الشَّيخ : ٦٣.

استمرار الهبة الإلهيَّة لا يكون إلاَّ بالتَّوسُّل واتِّباع أَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة الثَّامنة عشرة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله مخاطباً يهوديّاً : «**... يا يهودي ، إِنَّ موسىٰ لو أَدركني ثُمَّ لم يُؤمن بي وبنبوَّتي ما نفعه إِيمانه شيئاً ، ولا نفعته النُّبُوَّة ، يايهودي ، ومن ذرِّيَّتي المهدي إِذا خرج نزل عيسىٰ بن مريم لنصرته ، وقدَّمه وصلَّىٰ خلفه**»(١) .

ثانياً : بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً : «**... فلو كان موسىٰ عليه السلام بين أَظهركم لما حلَّ له إِلَّا أَنْ يتَّبعني**»(٢) .

ثالثاً : بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام : «**... أَنا ... كافر بنبوَّة كُلّ عيسىٰ لم يقرَّ بنبوَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وبكتابه ، ولم يُبشِّر به أُمَّته ...**»(٣) .

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ، وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم عليهم السلام المتوسطة والنَّازلة : نظام عَالَم الوجود والإِمكان على الإِطلاق ، وعلل الوجود الفاعليَّة ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الحصريَّة ، ووجه اللّـه ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الفاردة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ التَّكوينيّ الأَدنىٰ والوحيد ؛ بين الباري ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ شأنه) وكافَّة العوالم وسائر المخلوقات ؛ من بداية الخلقة إِلى ما لانهاية ، فلا يتحقَّق استمرار

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٦ : ٣٦٦/ ح٧٢. جامع الأَخبار : ٨ ـ ٩. الأَمالي : ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣١٥ ـ ٣١٦/ ح٧٨. تفضيل الأَئمَّة (مخطوط).

(٣) عيون أَخبار الرِّضا عليه السلام ، ١ : ١٢٣/ ح١.

الفيض الإلٰهيّ والعطايا والكرامات الإلٰهيَّة إلَّا بالتَّوسُّل والتَّشَفُّع ؛ وتشبُّث والتصاق المخلوق بكُلِّ ما أُوتي من قوَّةٍ بهذه الطَّبقات الشَّريفة ؛ لاسيما رأس هرمها طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، سيما إذا كان المخلوق من كُمَّل المخلوقات ، كبقيَّة أَنبياء أُولي العزم عليهم السلام ؛ فلخطورة عطيَّة نبوَّة أُولي العزم مثلاً اِقتضت الضرورة بذل جهده الجهيد في استمرار فيضها ، ولا يتحقَّق ذلك إلَّا باتِّباع سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله بجميع طبقات وجوده الشَّريف ، منها : طبقاته صلى الله عليه وآله النَّازلة ووجوده المُقدَّس في هذه النَّشْأة الأَرضيَّة واتِّباع نبوَّته ورسالته في هذه النَّشْأَة ، وإلَّا فلا نفع بما تقدَّم ولا كرامة ، وصار حاله كحال إبليس ، بل أَضَلّ سبيلاً.

وإلى هذا يشير بيان الحديث القدسي : «... **يا مُحَمَّد ... سبقت رحمتي غضبي لَكَ ولذريَّتكَ ، أَنْتَ مُقرَّبي من خلقي ، وَأَنتَ أَميني وحبيبي ورسولي، وعزَّتي وجلالي : لو لقيني جميع خلقي يشكُّون فيكَ طرفة عين ، أَو يبغضون صفوتي من ذرِّيَّتك لأَدخلتهم ناري ولا أُبالي ...**»[1].

وهذه قضيَّة عقليَّة بديهيَّة قبل أَنْ تكون شرعيَّة.

مضافاً : أَنَّه قُرِّرَ في محلِّه : أَنَّ المخلوق كما يحتاج بالضَّرورة إلى علَّته الفاعليَّة[2] إبتداءً وإظهاراً لواقعيَّته ؛ وواقعيَّة الهبة والعطيَّة كالنُّبوَّة والرسالة الإلٰهيَّة يحتاج إليها[3] بالضَّرورة أَيضاً في إستمرار فيض وجوده ؛ ووجود الهبة والعطيَّة واستدامتها ، وإلَّا فعدم محض.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٧ : ٣٢١/ ح٥٢. كشف اليقين : ٨٩ ـ ٩١.

(٢) العلَّة الفاعليَّة الإلٰهيَّة الصَّاعدة ـ كما تقدَّم ـ هي : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، رأس هرمها : طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الصَّاعدة.

(٣) مرجع الضمير : (العلَّة الفاعليَّة) ، وهي طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

عرض ولاية أَهل البيت عليهم السلام على جملة المخلوقات

الطَّائفة التَّاسعة عشرة ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **وانَّ اللّٰـه لم يخلق أَحداً إِلَّا وأَخذ عليه الإِقرار بالوحدانيَّة ، والولاية للذرِّيَّة الزكيَّة ، والبراءة من أَعدائهم ...**»[١].

ثانياً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «... **إِي واللّٰـه ، وما مِنْ نَبِيٍّ ولا ملك إِلَّا وكان يدين بمحبَّتنا**»[٢].

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **وما خلق اللّٰـه خلقاً إِلَّا وقد عرض ولايتنا عليه ، واحتجَّ بنا عليه ، فمؤمن بنا وكافرٍ وجاحدٍ ؛ حتَّىٰ السَّماوات والأَرض والجبال (الآية)**»[٣].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... **ولم يبعث اللّٰـه نبيّاً ولا رسولاً إِلَّا وأَخذ عليه الميثاق لمُحمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبُوَّة ، ولِعَلِيٍّ بالإِمامة**»[٤].

خامساً : بيان الإِمام أَبي الحسن عليه السلام : «**ولاية عَلِيّ مكتوبة في جميع صحف الأَنبياء ، ولن يبعث اللّٰـه نبيّاً إِلَّا بنبوَّة مُحمَّد ووصيّه عَلِيّ صلوات اللّٰـه عليهما**»[٥].

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٥ : ١٧٤/ح٣٨.

(٢) المصدر نفسه ، ١٤ : ٣٧١/ح١٠.

(٣) المصدر نفسه ، ٤٧ : ٤٦/ح٧. السرائر : ٤٧٣.

(٤) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٣٥٢/ح٧٠. كنز الفوائد : ٥٣ ـ ٥٤.

(٥) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٢٨٠/ح٢٤. بصائر الدرجات : ٢١.

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة وتتبعها طبقات ذواتهم المتوسطة والنَّازلة : نظام عَالَمَ الخِلقة والوجود والإِمكان على الإِطلاق ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ الوحيدة في قوس النزول ، ووجه اللّـه ، والوسيلة الإِلٰهيَّة الفاردة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ والحصري في قوس الصعود والنزول بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تعالىٰ ذكره) ، وبين جملة العوالم وجميع المخلوقات ، ولخطورة مُحوريَّتهم صلوات اللّـه عليهم في نظام عَالَمَ الخلقة والوجود والإِمكان ، ولعظمة دورهم عليهم السلام في إِدارة شؤون عَالَمَ المُلك ظاهره وباطنه : كان على مَنْ يُوالي اللّـه (علا ذكره) ؛ ويبغي سلوك الجادَّة الواضحة الَّتي لا تخرج إِلى عوجٍ ، ولا تزيل عن منهج الحقِّ ، ويُريد أَنْ ينبثق له نور الحقيقة ، ويتجلَّىٰ عنه ظلام الجهل : لصق وجوده وكيانه ؛ ونشب أَظفاره بجميع مراتبه وطبقات وجوده وحقيقته بجميع مراتبهم (صلوات اللّـه عليهم) وطبقات ما يمكن منها ، والتَّديُّن بمحبَّتهم ومودَّتهم ، والبراءة من أَعدائهم المشار إِليها في بيانات الوحي الوافرة الباهرة ، منها : بيان قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1] اِقتضىٰ العدل الإِلٰهيّ : إِقامة الحُجَّة في بداية الخَلقة في عَالَمَ الذَّرِّ والميثاق على طُرِّ العوالم وسائر المخلوقات ، منهم : بقيَّة الأَنبياء والمرسلين وجملة الملائكة منهم المُقرَّبين ، والسَّماوات والأَرضين والحجر والمدر ؛ من خلال تعريفها بـ : الصراط المستقيم ـ طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم ـ الموصل لساحة القدس الإِلٰهيَّة ، والكاشف عن

---

(١) الشورىٰ : ٢٣.

وحدانيَّة وواحديَّة الذات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ووحدانيَّة وواحديَّة صفاته وأَسمائه وأَفعاله (جلَّ جلاله).

وحيث إِنَّ سلوك الصراط الإلٰهيّ يحتاج إِلى وسيلة إِلٰهيَّة أَيضاً ؛ وآلة موصلة اقتضىٰ العدل الإلٰهيّ أَيضاً : تعريفها بتلك الوسيلة وهي طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام أَيضاً ، الموصلة لساحة القدس الإلٰهيَّة ، والَّتي يجب الإلتصاق والتَّشفع بها ، وبعدها طُلب منها المحبَّة والمودَّة ؛ واتِّباع أَصحاب تلك الطَّبقات صلوات اللّٰـه عليهم ؛ وموالاتهم والبراءة من أَعدائهم ، وأُخذت عليهم البيعة بذلك والعهود والمواثيق المُغلَّظة.

وهكذا اقتضىٰ العدل الإلٰهيّ وإِقامة للحُجَّة أَيضاً على المخلوقات : درجها وكتابتها في صحف الأَنبياء والمرسلين ، ولم يُبعث نبيّاً ولا رسولاً ـ بعدما كانت من أَساسيَّات أُصول الدِّين ـ إِلَّا بنبوَّة سيِّد الأَنبياء ووصاية أَمير المؤمنين (صلوات اللّٰـه عليهما وعلى آلهما) ، فَمَنْ وفىٰ ببيعته وعهده وميثاقه ـ وهم شيعة أَهل البيت عليهم السلام ، من طُرِّ العوالم وجملة المخلوقات ، منهم : كافَّة الأَنبياء والمرسلين وسائر الملائكة ـ وآمن وسلَّم لهم (صلوات اللّٰـه عليهم) حتَّىٰ لقي الرحمٰن (جلَّ وعلا) : كَسَبَ رضاه (تقدَّس ذكره) ، وورث الجنان خالداً فيها ونعم المصير ، ومَنْ نكل وكفر وأَشرك وجحد وأَلحد ولم يفِ ببيعته وعهده وميثاقه المأخوذ عليه في عَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ـ كـ : إِبليس وجنده ـ ولم يؤمن بهم (صلوات اللّٰـه عليهم) ؛ ولم يُسَلِّم لهم وصدَّ عنهم وتكبَّر وتعالىٰ عليهم فعليه غضب الجبَّار (عظمت آلاؤه) ، وورث جهنَّم خالداً فيها وبئس المصير.

بأَهل البيت عليهم السلام بدء الوجود وبهم يُختم

الطَّائفة العشرون ، ويُمثِّلها :

١ـ بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **بنا فتح اللّـه ، وبنا يختم ...**»[١].

٢ـ بيانه صلى الله عليه وآله أَيضاً ، الوارد في حقِّ أَمير المؤمنين صلوات اللّـه عليه : «... **يا عَلِيُّ ، اصطفاك اللّـه بأَوَّلها ، وجعلك وليَّ آخرها**»[٢].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ؛ وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم المُقدَّسة عليهم السلام المتوسطة والنَّازلة نظام عَالَم الوجود على الإِطلاق ، ووسائط الفيض الرُّبوبي ، ووجه اللّـه ، والوسيلة الإِلٰهيَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ بين الخالق[٣] (تقدَّس ذكره) وبين سائر العوالم وجملة المخلوقات ، وعلل[٤] فاعليَّة مفيضة لطُرِّ الخير[٥] ؛ من

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣٢ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨/ ح٢٥٧. أَمالي المفيد : ١٧٧. أَمالي الطوسي : ١ : ٦٢.

(٢) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٢١٦/ ح٤٧.

(٣) المراد من (الخالق) تقدَّست أَسماؤه في المقام المُسَمَّىٰ ، أَي : صاحب الذَّات الإِلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة، وإِلَّا فاسم (الخالق) مخلوق أَيضاً.

(٤) هذه العبارة وما بعدها عطف على جملة : (نظام عالم الوجود ...) فتكون العبارة هكذا : (ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات ... الصَّاعدة ... والمتوسطة والنَّازلة علل فاعليَّة ...).

(٥) كـ : (الإِحياء) المُتمتِّع بقدرتها النَّازلة الملك إِسرافيل عليه السلام ، و(الإِماتة) المُتمتِّع بقدرتها في طبقاتها النَّازلة أَيضاً الملك عزرائيل وأَعوانه عليهم السلام ، و(الإِيحاء) المُتمتِّع بقدرتها في مراتبها المتوسطة روح ←

بداية الخلقة إلى ما لا نهاية كانت بحقائق أَهل البيت عليهم السلام يُفتح كُلَّ خيرٍ وفعلٍ وهبةٍ إِلٰهيَّةٍ ، وبها يُختم.

ومنه تتَّضح : كثير من بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن خثيمة ، قال : «... **ونحن وجه اللّٰـه الَّذي يُؤتىٰ منه ، لن نزال في عباده ما دامت للّٰـه فيهم رَوِيَّة ، قلتُ : وما الرَّوِيَّة؟ قال : الحاجة ، فإِذا لم يكن اللّٰـه فيهم حاجة رفعنا إِليه فصنع ما أَحَب**»[1].

٢ـ بيان الإِمام الرِّضا عليه السلام ، عن سليمان بن جعفر الجعفري ، قال : «سألت الرضا عليه السلام فقلتُ : تخلو الارض من حُجَّة ؟ فقال : **لَو خَلَت الأَرض طرفة عين من حُجَّةٍ لساخت بأهلها**»[2].

→ القدس (حقيقة القرآن الكريم الصَّاعدة) وبمراتبها النَّازلة الملك جبرئيل عليه السلام ، و(الأَرزاق) المتمتِّع بقدرتها في طبقاتها النَّازلة الملك ميكائيل عليه السلام ، وهلمَّ جرّاً.

(١) بحار الأَنوار ، ٤ : ٧/ ح١٤.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٣ : ٢٩/ ح٤٣. عيون الأَخبار : ١٥٠ ـ ١٥١. علل الشرائع : ٧٧. إِكمال الدِّين : ١١٨. بصائر الدرجات : ١٤٤.

لا معنى لخلقة جهنَّم مع الحبّ لأَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة الحادية والعشرون ، ويُمثِّلها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله في حديث المعراج ، منضمّاً إِليه بيان جبرئيل عليه السلام : «**يا عَلِيّ ، إِنَّه لَـمَّا أُسري بي إلى السَّمآء ... لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة ، فقال : لو اجتمعت أُمَّتُكَ على حبِّ عَلِيٍّ ما خلق اللّـه عزَّوجلَّ النَّار ...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ السالك للسبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ ، بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ اسمه) وبين كافَّة العوالم وجميع المخلوقات ، والمُتشبِّث بالوسيلة الإِلٰهيَّة : طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ، رأس هرمها طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام بعد طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ؛ وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم صلوات اللّـه عليهم الشَّريفة المتوسطة والنَّازلة سيطير لا محالة بعنانها ـ يوم تذوب من النفوس أَحداق عيونها ، وتضع الحوامل ما في بطونها ـ ويرتقي أَعلىٰ مدارج الكمال ليصل إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، وينال منزلة لا يرتقيها الحافر ، ولا يوفي عليها الطائر ، ويرث جنَّات تجري من تحتها الأَنهار خالداً فيها ، ومساكن طيِّبة ورضوان من اللّـه أَكبر. ومن ثَمَّ لو سلك جملة الخلق هذا المسلك فلا معنىٰ لخلقة النَّار.

---

(١) بحار الأَنوار ، ١٨ : ٣٨٨ ـ ٣٩٠/ ح٩٧. مجالس الشَّيخ : ٥٠ ـ ٥١.

الشَّاك بأَمير المؤمنين عليه السلام والمخالف له مشرك وكافر

الطَّائفة الثَّانية والعشرون ، ويُمثِّلها :

بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله الوارد في حقِّ أَمير المؤمنين عليه السلام : «**المخالف لِعَلِيٍّ بعدي كافر ، والشَّاك به مُشرك مغادر ، والمحبّ له مؤمن صادق ، والمبغض له منافق ، والمحارب له مارق ، والرَّاد عليه زاهق ، والمقتفي لأَثره لاحق**»[1] .

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت الأَطهار صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ، وعلى رأس هرمها طبقات حقيقة أَمير المؤمنين عليه السلام ، بعد طبقات حقيقة سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله ، وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم صلوات اللّـه عليهم المتوسطة والنَّازلة : نظام عَالَم الوجود قاطبة ، والوسيلة الإِلٰهيَّة ، والسَّبيل والسَّبب والباب والحجاب والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ والفارد بين الباريّ ـ المُسَمَّىٰ ـ (جلَّ قدسه) ، وبين كافَّة العوالم وكُلّ المخلوقات بقضِّها وقضيضها ؛ فلا يمكن لمخلوق مهما علا شأوه ومقامه ، وارتفعت درجته ومرتبته الوصول لساحة القدس الإِلٰهيَّة من دون سلوك هذه الرابطة والحلقة الموصلة ؛ ومن ثَمَّ يكون المحب لهم صلوات اللّـه عليهم والمقتفي لآثارهم مؤمن صادق ، ولاحق بهم ، وواصل إِلى الجنان ورضا الرحمٰن ، بخلاف المخالف والمبغض والمحارب لهم ، والشَّاكّ بهم ، والرَّادّ عليهم ؛ فإِنَّه بعدما لم يسلك هذا الصراط التَّكويني

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٢٦/ح٢٢ . مشارق الأَنوار : ٨ .

الحصري ؛ المجعول من قِبَل يد السَّاحة الإِلٰهيَّة المُقدَّسة ؛ فمِن الطَّبيعي يستحيل عليه ولوج ساحة القدس الإِلٰهيَّة ، وكسب رضا الرحمٰن (تقدَّس ذكره) ، ووراثة الجنان ، وليس له إِلَّا النَّار خالداً فيها وبئس المصير ، وكُلّ ما أَتىٰ به من أَعمال وعبادات ومعارف ومعتقدات لا تخرج عن طور الكفر والشرك والنفاق ، والمروق عن الدِّين في مقام توحيد حاكمية اللّٰـه ، ومقام توحيد تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ، ولا يُمَيَّز بين صالحها كصلاته وفاسدها كزناه، فجميعها حطب جهنَّم.

فلاحظ : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

١ـ بيان الإِمام الباقر عليه السلام : «**سوآء على مَنْ خالف هذا الأَمر صلَّىٰ أَو زنا**»(١).

٢ـ بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «**إِنَّ النَّاصب لنا أَهل البيت لا يبالي صام أَم صلَّىٰ ، زنا أَو سرق ؛ إِنَّه في النَّار إِنَّه في النَّار**»(٢).

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اِتَّضحت.

بل قد تكون صلاته وصيامه وحَجَّه وبقيَّة عباداته أَشنع وأَشدُّ جرماً من دون قياس من شناعة وجرم الزِّنىٰ والسَّرقة وبقيَّة الكبائر ، وذلك إِذا كان لمُؤدِّي تلك العبادة جنبة إِعلاميَّة ، كما لو كان مُؤدِّيها عَالِم دين ، أَو من

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٢٣٥/ح٥٠. ثواب الأَعمال : ٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه/ ح٥١. ثواب الأَعمال : ٢٠٣.

وجهاء القوم ، أَو من وجوه المجتمع ؛ كما لو كان قائداً أَو سياسيّاً معروفاً ؛ بحيث يُعطي بإِدائه لتلك العبادة جنبة إِعلاميَّة ومقبوليَّة وترويج لخطِّه المعرفي والعقائديّ المُنحرف ، لا سيما إِذا اجتمع مع ذلك جنبة المكان أَو الزمان أَو كليهما ، كما لو صلَّىٰ صلاة الجمعة ، وكان إِمام جماعة لفرقة مخالفة أَو مُنحرِفة في الأَماكن المُقدَّسة ؛ كـ : المسجد الحرام ، أَو المسجد النَّبويّ. وهذه العبادة أَضرّ بالدِّين وأَهله من دون قياس مِـمَّن لو ارتكب أَحد الكبائر المُشار إِليها في فقه الفروع. فالتفت ، وتدبَّر جِيِّداً.

بل من دون سلوك هذا الصراط المُستقيم ؛ صراط أَهل البيت عليهم السلام ، والجادَّة والمنزلة الوسطىٰ الدَّقيقة الوزن ، والحادَّة اللسان ، والصعبة الترقِّي إِلَّا على المؤمن الحاذق الذكي ، فلا طهارة ؛ ويكون حيُّهم أَعمىٰ نجس ومَيِّتهم في النَّار مُبلس.

فانظر : بيانات الوحي الأُخرىٰ ، منها :

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام : «... **وإِيّاك أَنْ تغتسل من غسالة الحمَّام ، ففيها تجتمع غسالة اليهودي والنصراني والمجوسي والنَّاصب لنا أَهل البيت وهو شرّهم ، فإِنَّ اللّـه تبارك وتعالىٰ لم يخلق خلقاً أنجس من الكلب ، وإِنَّ النَّاصب لنا أَهل البيت أَنجس منه**»[1].

وبالجملة : المخالف لأَمير المؤمنين وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار صلوات

(١) بحار الأَنوار ، ٧٨ : ٤٧/ ح١٤. علل الشرائع ، ١ : ٢٧٦. الكافي ، ٦ : ٥٠٨.

اللّٰـه عليهم ؛ والشَّاكّ به وبهم ، والمبغض والمحارب له ولهم ، والرَّادُّ عليه وعليهم : كافر ومشرك ومنافق ومارق وزاهق في مقام : (توحيد حاكميَّة اللّٰـه عزَّ ذكره) ومقام : (توحيد تطبيق أَحكامه جلَّ ذكره) ؛ لكونه حاد عن النَّاموس الأَنور ، والسراج والزلفة والكوثر ، نور الأَنوار ، ومحلّ سرّ الأَسرار ، الصراط المستقيم ، والجادَّة الواضحة الَّتي لا تخرج سالكها إِلى عوجٍ ، ولا تزيله عن منهجِ ما حُمِّل في عَالَمَ الذَّرِّ والميثاق ؛ وهدي إِليه ، فيكون كفر وشرك ونفاق وضلال في مقام توحيد حاكميَّة اللّٰـه (تعالىٰ ذكره) ؛ وفي مقام توحيد تطبيق أَحكامه (تقدَّس ذكره) ، ومُحرِّم ومانع على نفسه من الوصول إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة ورضا الرحمٰن ، والتَّنعُّم بالجنان ، ومردي بنفسه في غياهب مسالك خُطْل ، تورث سالكها غضب الجبَّار (علا ذكره) ، وتورده جهنَّم خالداً فيها وبئس المصير. بخلاف المقتفي لأَثره وبقيَّة أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام ، فإِنَّه مُوحِّد وسالك الصراط المُستقيم ، والسَّبيل والسَّلسبيل ، والنهج القويم ، والدَّليل إِذا عميت المهالك، ومؤمن صادق ولاحق برضىٰ الرحمٰن ، وواصل من دون ريب وارتياب لساحة القدس الإِلٰهيَّة ، والنَّعيم الَّذي لا يبيد أَبداً.

أَهل البيت عليهم السلام تُطيعهم وتواليهم جملة المخلوقات وفي كُلِّ العوالم

الطَّائفة الثَّالثة والعشرون ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... ويطيعنا كُلّ شيءٍ حتّىٰ السَّماوات والأَرض ، والشَّمس والقمر والنجوم ، والجبال والشَّجر والدواب والبحار ، والجنَّة والنَّار ... ومع كلّ هذا نأكل ونشرب ونمشي في الأَسواق ...**»[١] .

ثانياً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن أَبي حمزة ، قال : «قال له رجل : كيف سُمِّيت الجمعة ؟ قال: **إِنَّ اللّٰـه عزَّوجلَّ جمع فيها خلقه لولاية مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ووصيِّه في الميثاق ، فسمَّاه يوم الجمعة ؛ لجمعه فيه خلقه**»[٢] .

ثالثاً : بيان إِمضاء الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن وهب بن منبّه ، قال : «**إِنَّ موسىٰ عليه السلام نظر ليلة الخطاب إلى كلِّ شجرةٍ في الطُّور ، وكلّ حجرٍ ونباتٍ ينطق بذكر مُحَمَّد واثني عشر وصيّاً له من بعده ، فقال موسىٰ : إِلٰهي ، لا أَرىٰ شيئاً خلقته إِلَّا وهو ناطق بذكر مُحَمَّد وأوصيائه الاثني عشر ، فما منزلة هؤلاء عندك ؟ قال : يابن عمران ، إِنِّي خلقتهم قبل أَنْ أخلق الأَنوار ، خلقتهم في خزانة قدسي ، ترتع في رياض مشيِّتي ، وتتنسَّم من روح جبروتي ، وتشاهد أَقطار ملكوتي حتَّىٰ إِذا شئتُ بمشيَّتي أَنفذتُ قضائي وقدري ، يابن عمران ، إِنِّي سبَّقت بهم السِّبَّاق حتَّىٰ أُزحزح بهم جناني ، يابن عمران ، تمسَّك**

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٧/ ح١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٥ : ٣٧٠. الكافي ، ٣ : ٤١٥ .

بذكرهم ؛ فإنَّهم خزنة علمي ، وعيبة حكمتي ، ومعدن نوري.

قال حسين بن علوان : فذكرتُ ذلك لجعفر بن محمَّد عليه السلام فقال : حَقٌّ ذلك ...»[1].

رابعاً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... والَّذي نفسي بيده ، لملائكة اللّـه في السَّماوات أَكثر من عدد التراب (في الأَرض) ، وما في السَّمآء موضع قدم إِلَّا وفيها ملك (يُسبح للّـه ويُقدِّسه) ، ولا في الأَرض شجرة ولا مِثْل غرزة إِلَّا وفيها ملك موكّل بها ؛ يأتي اللّـه كلّ يومٍ بعملها[2] ـ واللّـه أعلم بها ـ وما منهم أحد إِلَّا ويتقرَّب إِلى اللّـه في كُلِّ يومٍ بولايتنا أَهل البيت ، ويستغفر لمحبّينا ، ويلعن أَعدائنا ، ويسأل اللّـه أَنْ يُرسل عليهم العذاب إِرسالاً»[3].

خامساً : بيانه عليه السلام أَيضاً : «... علم عَالِمِ المدينة ... يسير في ساعة من النهار مسيرة الشَّمس سنة حتَّىٰ يقطع اثنىٰ عشر أَلف عَالَمَ مثل عَالَمكم هذا ، وما يعلمون أَنَّ اللّـه خلق آدم ولا إبليس ، قال : فيعرفونكم ؟ قال : نعم ، وما افترض عليهم إِلَّا ولايتنا ، والبراءة مِنْ عدونا»[4].

سادساً : بيان زيارة أَهل البيت عليهم السلام : «... يا آل رسول اللّـه ... يتقرَّب أَهل السَّمآء بحبِّكم ، وبالبراءة من أَعدائكم ، وتواتر البكاء على مصابكم ،

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٦ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩/ ح٧٣. المحتضر : ١٥١.

(٢) خ . ل : (بعلمها).

(٣) بصائر الدرجات ، ١ : ١٥٢ ـ ١٥٣/ ح٢٨٣ ـ ٩. تفسير القمي ، ٢ : ٢٥٥.

(٤) بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٧٠/ ح١٤٣٣ ـ ١٦. الاختصاص : ٣١٩.

والإستغفار لشيعتكم ومحبّيكم ...»[1].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ الثَّابت في البراهين الوحيانيَّة والعقليَّة : أَنَّ جملة المخلوقات طائعة ومُسلِّمة للّـه (تعالىٰ ذكره) تكويناً ، شعرت بذلك المخلوقات أَم لا.

فانظر : بيانات الوحي ، منها :

١ـ بيان قوله تبارك وتعالىٰ : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[2].

٢ـ بيان قوله جلَّ قوله : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾[3].

وحيث إِنَّ أَهل البيت عليهم السلام هم الوسيلة والواسطة الإِلٰهيَّة الحصريَّة بينه (جلَّ شأنه) وبين سائر العوالم وجملة المخلوقات ، ولا يمكن وصول مخلوق أَو شأن من شؤونه وأَعماله وعباداته قَطُّ إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة إِلَّا من خلال إِطاعتهم عليهم السلام والتَّشَبُّث بهم تكويناً ، وقد ثبت ـ فيما تقدَّم ـ : أَنَّ جملة المخلوقات طائعة وساجدة وذاكرة ومسبحة دائماً للّـه تكويناً ، فتكون جميعها طائعة تكويناً لأَهل البيت عليهم السلام بالتَّبع ، شعرت بذلك المخلوقات أَم لا.

مضافاً : أَنَّه ثبت في الأَبحاث السَّابقة : أَنَّ طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة بعدما كانت حقيقتها فانية في حكاية الذَّات الإِلٰهيَّة

---

(١) بحار الأَنوار ، ٩٩ : ١٦٤.

(٢) آل عمران : ٨٣.

(٣) التغابن : ١.

الأَزليَّة المُقدَّسة انعكست فيها جميع شؤون وصفات وأَسمآء الذَّات المُقدَّسة إِلَّا الأُلوهيَّة ، ومن شؤون الذَّات المُقدَّسة : أَنَّه أَسلم للّٰـه ما في السَّماوات والأَرض كذلك يكون شأن طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة.

عدم إطاعة أَهل البيت عليهم السلام ومخالفتهم جاهلية أُولى

العبادة من دون التَّوسُّل بأَهل البيت عليهم السلام شرك وكفر جليّ أَو خفي

الطَّائفة الرَّابعة والعشرون ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان الإِمام الباقر عليه السلام ، عن الفضيل بن يسار ، قال : «**نظر إِلى النَّاس يطوفون حول الكعبة فقال : هكذا كانوا يطوفون في الجاهليَّة ، إِنَّما أُمروا أَنْ يطوفوا ثُمَّ ينفروا إِلينا ، فيعلمونا ولايتهم ، ويعرضون علينا نصرهم ...**»[1] .

ثانياً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عبد الرحمٰن بن كثير ، قال : «**حججتُ مع أَبي عبداللّـه عليه السلام ؛ فلَمَّا صرنا في بعض الطَّريق صعد على جبلٍ ؛ فأشرف فنظر إِلى النَّاس ، فقال : ما أَكثر الضَّجيج وَأَقلّ الحجيج ؟ فقال له داود الرقِّيّ : يابن رسول اللّـه ، هل يستجيب اللّـه دعاء هذا الجمع الَّذي أَرىٰ؟ قال : ويحكَ يابا[2] سليمان ! إِنَّ اللّـه لا يغفر أَنْ يُشْرَكُ به ، إِنَّ الجاحد لولاية عَلِيّ عليه السلام كعابد وثن ...**»[3] .

ودلالتهما قد اتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما تقدَّم بيان مدىٰ قرب والتصاق طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة وتتبعها طبقاتها المتوسُّطة والنَّازلة بالحضرة الرُّبوبيَّة ؛ تكون العبادة وسائر أَعمال المخلوقات

---

(١) بحار الأَنوار ، ٦٥ : ٨٧/ ح١٢. تفسير العياشي ، ٢ : ٢٣٤.

(٢) خ . ل : (يا أَبا).

(٣) بصائر الدرجات ، ٢ : ١٩٠ ـ ١٩١/ ح ١٢٨٥ـ ١٥. الاختصاص : ٣٠٣.

وشؤونها من دون توسُّط أَهل البيت عليهم السلام : عبادة أَوثان ، وكفر وشرك وإِلحاد باللّـه تعالىٰ ، وحيادة عنه جلَّ قدسه في مقام الولاية والحاكميَّة الإِلٰهيَّة ، ومقام تطبيق الأَحكام الإِلٰهيَّة ، كـ : كفر وشرك وإِلحاد وحيادة الجاهليَّة الأُولىٰ.

طهارة المخلوق وقبول أَعماله لا تكون إلاَّ بولاية أَهل البيت عليهم السلام

رفع الأَعمال لا يكون إلاَّ بولاية أَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة الخامسة والعشرون ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان سيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله : «... **أَوَ لَا أُنَبِئكم بِأَسوأ حالاً من هذا ؟** قالوا : بلىٰ يا رسول الله. **قال : رَجُلٌ حضر الجهاد في سبيل اللّـه ، فَقُتل مُقْبِلاً غير مُدْبِر ، والحور العين يطلَّعن إِليه ، وخزَّان الجنان يتطلَّعون ورود روحه عليهم ، وَأَملاك الأَرض يتطلَّعون نزول حور العين إِليه ، والملائكة وخزَّان الجنان فلا يأتونه ، فتقول ملائكة الأَرض حوالي ذلك المقتول : ما بال الحور العين لا ينزلن إِليه ؟ وما بال خزَّان الجنان لا يردون عليه ؟ فَيُنادون من فوق السَّماء السَّابعة : يَا أَيَّتُها الملائكة ، انظروا إِلى آفاق السَّماء ودوينها ، فينطرون فإذا توحيد هذا العبد وإِيمانه برسول اللّـه صلى الله عليه وآله ؛ وصلاته وزكاته وصدقته وأَعمال برّه كُلّها محبوسات دوين السَّمآء قد طبقت آفاق السَّمآء كلّها كالقافلة العظيمة ، قد ملأت ما بين أَقصى المشارق والمغارب ومهاب الشمال والجنوب ، تُنادي أَملاك تلك الأَثقال الحاملون لها الواردون بها : ما بالنا لا تفتح لنا أَبواب السَّمآء لندخل إِليها بأَعمال هذا الشَّهيد ، فيأمر اللّـه بفتح أَبواب السَّمآء فتفتح ، ثُمَّ يُنادي : يا هؤلاء الملائكة ، أدخلوها إِنْ قدرتم ، فلا تقلهم أَجنحتهم ولا يقدرون على الإِرتفاع بتلك الأَعمال ، فيقولون : يا ربّنا ، لا نقدر على الإِرتفاع بهذه الأَعمال ، فيناديهم منادي ربّنا عزَّوجلَّ : يا أَيُّها الملائكة ، لستم حُمَّال هذه الأَثقال الصَّاعدين بها ، إِنَّ حملتها الصَّاعدين بها**

مطاياها الَّتي ترفعها إلى دوين العرش ، ثُمَّ تقرُّها في درجات الجنان. فيقول الملائكة : يا ربّنا ، ما مطاياها ؟ فيقول اللّـه تعالىٰ : وما الَّذي حملتم من عنده ؟ فيقولون : توحيده لَكَ ، وإيمانه بنبيِّكَ. فيقول اللّـه تعالىٰ : فمطاياها : موالاة عَلِيّ أَخي نبيِّي ، وموالاة الأَئِمَّة الطَّاهرين ، فإِنْ أَتَت فهي الحاملة الرَّافعة ، الواضعة لها في الجنان ، فينظرون فإذا الرَّجُل مع ماله من هذه الأَشياء ليس له موالاة عَلِيّ والطَّيبين من آله ؛ ومعاداة أَعدائهم ، فيقول اللّـه تبارك وتعالىٰ للأَملاك الَّذين كانوا حامليها : اعتزلوها والحقوا بمراكزكم من ملكوتي ؛ ليأتيها مَنْ هو أَحقُّ بحملها ووضعها في موضع إستحقاقها ، فتلحق تلك الأَملاك بمراكزها المجعولة لها ، ثُمَّ يُنادي مُنادي ربّنا عزَّوجلَّ : يا أَيَّتها الزبانية ، تناوليها وحطِّيها إلى سوآء الجحيم ؛ لأَنَّ صاحبها لم يجعل لها مطايا من موالاة عَلِيّ عليه السلام والطَّيبين من آله ، قال : فتنادي[1] تلك الأَملاك ، ويقلب اللّـه تلك الأَثقال أَوزاراً وبلايا على باعثها[2]؛ لما فارقها عن مطاياها من موالاة أَمير المؤمنين عليه السلام ، ونادت تلك الملائكة إلى مخالفته لِعَلِيّ عليه السلام، وموالاته لأَعدائه ، فَيُسلِّطها اللّـه عزَّوجلَّ وهي في صورة الأُسود على تلك الأَعمال وهي كالغربان والقرقس[3]، فيخرج من أَفواه تلك الأُسود نيران تحرقها ، ولا يبقىٰ له عمل إِلَّا أُحبط ، ويبقىٰ عليه موالاته لأَعداء عَلِيّ عليه السلام، وجحده

---

(١) في نسخة : (فتأتي).

(٢) في نسخة من المصدر : (على فاعلها).

(٣) في نسخة : (القرقش).

ولايته فيقر ذلك في سوآء الجحيم ...»[١].

ثانياً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «**... فواللّـه ، لرَجُلٍ على يقين من ولايتنا أَهل البيت خير مِمَّن له عبادة أَلف سَنة ، ولو أَنَّ عَبداً عَبَدَ اللّـه أَلف سَنَة لا يقبل اللّـه منه حتَّىٰ يعرف ولايتنا أَهل البيت ، ولو أَنَّ عبداً عَبَدَ اللّـه أَلف سنَة ؛ وجاء بعمل اثنين وسبعين نبيّاً ما يقبل اللّـه منه حتَّىٰ يعرف ولايتنا أَهل البيت ، وإِلَّا أَكبَّه اللّـه على منخريه في نار جهنَّم**»[٢].

ثالثاً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن المفضَّل ، قال : «**... أُخبركَ أَنَّ من عرف أَطاع ... وَمَنْ زَعَمَ أَنَّه يحلِّل الحلال ويحرِّم الحرام بغير معرفة النَّبيّ لم يُحَلِّل للّـه حلالاً ، ولم يُحَرِّم له حراماً ، وإِنَّه مَنْ صَلَّىٰ وَزَكَّىٰ وحجَّ واعتمر وفعل ذلك كلّه بغير معرفةٍ من افترض اللّـه عليه طاعته لم يقبل منه شيئاً من ذلك ، ولم يصلِّ ولم يصم ولم يزكِّ ولم يحجّ ولم يعتمر ، ولم يغتسل من الجنابة ولم يتطَهَّر ، ولم يُحَرِّم للّـه حراماً ، ولم يحلِّل للّـه حلالاً ، وليس له صلاة وإِنْ ركع وسَجَد ، ولا له زكاة وإِنْ أَخرج لكلِّ أَربعين درهماً درهماً ، وَمَنْ عرفه وأَخذ عنه أَطَاعَ اللّـه ...**»[٣].

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّ من يُريد الوصول لغايةٍ مُعيَّنةٍ فعليه :

أَوَّلاً : معرفة الطَّريق الموصل لتلك الغاية.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٨٧ ـ ١٩٠/ ح٤٦. التفسير المنسوب للإِمام العسكري عليه السلام : ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ١٩٦/ ح٥٧. جامع الأَخبار : ٢٠٧.

(٣) بحار الأَنوار ، ٢٤ : ٢٩٣/ ح١. بصائر الدرجات : ١٥٤ ـ ١٥٧.

وثانياً : سلوكه بوسيلة موصلة.

ومِنْ ثَمَّ مَنْ أَراد الوصول إِلى ساحة القدس الإِلٰهيّ ، وصعود معارفه ومعتقداته وعباداته وأَعماله وقبولها : معرفة الطِّريق والصراط المُستقيم الموصل ، وسلوكه وسيلة موصلة لمبتغاه ، وقد تقدَّم بعض دلائل وبيانات الوحي الطَّاهرة ، وبراهينه الواضحة الباهرة ، وحُجَجِه البالغة المُصرِّحة بـ : أَنَّ أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم هم : الصراط القويم ، والسَّبيل المُستقيم الموصل إِلى النَّعيم المُقيم ، والجادَّة الواضحة الَّتي لا تخرج سالكها إِلى عوجٍ ، ولا تزيله عن منهج الحقّ ، والوسيلة والسفينة المنجية في ظلمات الجهالات ، والمشحونة بذخائر السَّعادات ، والموصلة في سلوك شوارعها إِلى رياض نضرة ، وحدائق خضرة مُزيَّنة بأَزهار كُلّ علم ، وثمار كُلّ حكمةٍ ، وفي طيِّ منازلها طُرقاً مسلوكة معمورة ، موصلة إِلى كلِّ شرفٍ ومنزلةٍ ، فلم يُعثر على حكمةٍ إِلَّا وفيها صفوها ، ولم يظفر بحقيقةٍ إِلَّا وفيها أَصلها.

عرض أَعمال جملة المخلوقات على أَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة السَّادسة والعشرون ، ويُمثِّلها :

أَوَّلاً : بيان أَمير المؤمنين عليه السلام : «... **وإِنَّ أَعمال الخلق تعرض في كُلِّ يوم عَلَيَّ ثُمَّ تُرْفَع إِلى اللّـه عزَّوجلَّ ...**»(١) .

ثانياً : بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام ، عن عبد الرحمٰن بن كثير ، قال : «**قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**(٢) **قال : هم الأَئمَّة ، تُعرض عليهم أَعمال العباد كُلّ يومٍ إِلى يوم القيامة**»(٣) .

ودلالتها قد اِتَّضحت أَيضاً ؛ فإِنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ؛ وتتبعها طبقات حقائق ذواتهم المتوسطة والنَّازلة نظام عَالَم الوجود قاطبة ، والعلل الغائيَّة والفاعليَّة الإِلٰهيَّة ، ووسائط الفيض الإِلٰهيّ ، ووجه اللّـه والجهة الإِلٰهيَّة الفاردة الَّتي تتوجَّه من خلالها جملة المخلوقات وفي طُرِّ العوالم ، وتَرفع عباداتها وأَعمالها إِلى ساحة القدس الإِلٰهيَّة وتُقبل وتُؤجر عليها ، والسَّبب والباب والحجاب التَّكويني الإِلٰهيّ الحصري ، والرباط الإِلٰهيّ الأَدنىٰ بين الخالق ـ المُسَمَّىٰ ـ (تبارك اسمه) ، وبين جميع العوالم وكُلّ المخلوقات ؛ كان من الطَّبيعي : أَنَّ أَعمال الخلائق من بداية الخلقة إِلى ما لا نهاية ؛ في هذه النَّشْأَة وفي غيرها تُعرض على أَهل البيت عليهم السلام بجميع طبقات حقائق ذواتهم الشَّريفة.

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢٧ : ٣٥/ ح٥.

(٢) التوبة : ١٠٥.

(٣) بصائر الدرجات ، ٢ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣/ ح١٥٢٢ ـ ٤.

أَسرار إلهيَّة لم يُكلَّف بها إلاَّ أَهل البيت عليهم السلام

الطَّائفة السَّابعة والعشرون ، ويُمثِّلها :

بيان الإمام الصَّادق عليه السلام : «... **وإنَّ عندنا سرّاً من اللّـه ما كلّف به أَحداً غيرنا ...**»[1].

ودلالته قد اِتَّضحت أَيضاً ، فإنَّه بعدما كانت طبقات حقائق أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم الصَّاعدة ، وتتبعها طبقات حقائقهم المتوسطة والنَّازلة هي : السَّبب والحجاب والرباط الإلٰهيّ الأَدنىٰ والفارد بين الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، وبين جملة العوالم وجميع المخلوقات فمن الطَّبيعي أَيضاً أَنْ يكون عندهم صلوات اللّـه عليهم أَسراراً إلٰهيَّة لم يطَّلع عليها إلَّا الذَّات الإلٰهيَّة الأَزليَّة المُقدَّسة ، ولم يُكلَّف بها أَحد غيرهم صلوات اللّـه عليهم قَطُّ من مطلق المخلوقات وكافَّة العوالم اللامتناهية.

.

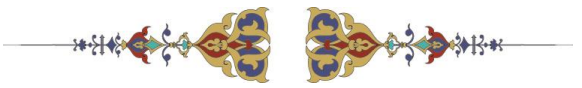

(١) بحار الأَنوار ، ٢ : ٢١٠/ح١٠٥.

* القرآن الكريم.
١. الإحتجاج ، أَبي منصور أَحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي.
٢. الاختصاص ، الشَّيخ المفيد محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبري البغدادي.
٣. الإرشاد ؛ الشَّيخ المفيد ، محمَّد بن محمَّد مفيد.
٤. إرشاد القلوب، الشَّيخ الحسن بن أَبي الحسن عليّ بن محمَّد الديلمي.
٥. أُصول الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.
٦. إكمال الدين ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.
٧. الأَمالي ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.
٨. الأَمالي ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.
٩. الأَمالي ، الشَّيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي.
١٠. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.
١١. البرهان ، السيِّد هاشم بن سليمان البحراني.
١٢. بشارة المصطفىٰ ، عماد الدِّين أَبي جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطَّبري.

١٣. بصائر الدرجات ، الشَّيخ أبو جعفر محمَّد بن الحسن بن فروخ الصَّفَّار.
١٤. البلد الأَمين ، الشَّيخ تقي الدِّين إِبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمَّد العامليّ الكفعميّ.
١٥. تحف العقول ، الحسن بن عليّ بن شعبة الحرَّاني.
١٦. تفسير العياشي ، محمَّد بن مسعود العياشي.
١٧. تفسير القمي ، أَبو الحسن عليّ بن إِبراهيم القُمِّيّ.
١٨. التَّفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام ، الإِمام أَبي محمَّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام.
١٩. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إِبراهيم الكوفي.
٢٠. تفضيل الأَئمَّة (مخطوط).
٢١. التَّوحيد ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.
٢٢. ثواب الأَعمال ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.
٢٣. جامع الأَخبار ، محمد بن علي ابن بابويه القُمِّيّ.
٢٤. الخصال ، الشَّيخ الصَّدوق، محمَّد بن عليّ بن بابويه القُمِّيّ.
٢٥. دلائل الإمامة ، محمَّد بن جرير بن رستم الطَّبري.
٢٦. روضة الواعظين ، الشَّيخ محمَّد بن الفتّال النيسابوري.
٢٧. رياض الجنان (مخطوط).
٢٨. السرائر ، أَبي جعفر محمّد بن منصور بن أَحمد بن إدريس الحلّي .
٢٩. السقيفة وفدك ، أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري.
٣٠. شرح نهج البلاغة ، عبد الحميد بن هبة الله ابن أَبي الحديد.

٣١. صحيفة الرضا عليه السلام ، محمَّد مهدي نجف.
٣٢. علل الشرائع ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.
٣٣. عوالم العلوم ، الشَّيخ عبدالله البحراني ، الشَّيخ محمَّد باقر الموحد الأبطحي.
٣٤. عوالي اللآلي ، ابن أَبي جمهور الأحسائي.
٣٥. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشَّيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القُمِّيّ.
٣٦. عيون الأَخبار ، أَبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري .
٣٧. غرر الحكمة ، الشَّيخ عبد الواحد بن محمَّد التميمي الآمدي.
٣٨. غيبة النعماني ، أَبو عبد الله محمَّد بن إِبراهيم النعماني.
٣٩. فروع الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.
٤٠. الفضائل ، الشَّيخ محمَّد بن أَحمد القُمِّيّ المعروف بابن شاذان.
٤١. قرب الإِسناد ، الشَّيخ أبي العبَّاس عبدالله بن جعفر الحميري.
٤٢. كتاب : (سليم بن قيس) ، سليم بن قيس الهلالي.
٤٣. كشف الغمة ، أَبي الحسن عليّ بن عيسىٰ بن أَبي الفتح الإربلي.
٤٤. كشف اليقين ، الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحلِّيّ.
٤٥. كفاية الأَثر ، الشَّيخ أَبو القاسم عَلِيّ بن محمَّد بن عليّ الخزّاز القُمِّيّ الرازيّ.
٤٦. كنز الفوائد ، الشَّيخ محمَّد بن عليّ الكراجكي الطَّرابلسي.
٤٧. كنز العمَّال ، علاء الدِّين علي المتقي بن حسام الدِّين الهندي البرهان فوري والمشهور بالمتقي الهندي.

٤٨. اللآلي المصنوعة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي.
٤٩. المحاسن ، أَبي جعفر أَحمد بن محمَّد بن خالد البرقي.
٥٠. المحتضر ، الشَّيخ عزّ الدِّين أَبو محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحلّيّ.
٥١. مختصر البصائر ، الحسن بن سليمان الحلّيّ.
٥٢. المزار الكبير ، الشَّيخ محمَّد بن جعفر المشهدي.
٥٣. مستدرك سفينة البحار ، الشَّيخ عليّ النمازي الشَّاهرودي.
٥٤. مشارق أَنوار اليقين ، رجب البرسي.
٥٥. مصباح الزائر ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسىٰ بن طاووس.
٥٦. مصباح الهداية ، السيِّد روح الله الخميني الموسوي.
٥٧. معارج العُلىٰ (مخطوط).
٥٨. ملتقىٰ البحرين ، وليد سيف.
٥٩. مناقب آل أَبي طالب ، محمَّد بن عليّ بن شهر اشوب.
٦٠. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.
٦١. نهج البلاغة ، للإمام أَمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.
٦٢. الهداية الكبرىٰ ، الحسين بن حمدان الخصيبي.
٦٣. وسائل الشيعة ، محمَّد بن الحسن الحرّ العامليّ.
٦٤. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، السيِّد رضي الدِّين عليّ بن موسى، إبن طاووس.

الْمُقَدِّمَة ٩
التَّوسُّل والوسيلة الإلهيَّة فرض وضرورة إلهيَّة ١٣
أَعداء أَهل البيت عليهم السلام ١٦
عصارة ما تقدَّم ١٩
خروج عن صلب الموضوع: ٢٢
تنبيهات وقضايا ٢٢
التَّنبيه والقضيَّة الأُوْلَى: ٢٢
الحُجَج والمُحْكَمَات على مراتب طوليَّة ٢٢
حجِّيَّة الخبر ٢٥
ضرورة التَّمسُّك بقوالب بيانات الوحي والغور في أَعماقها اللامتناهيَّة ٢٩
خلاصة ما تقدَّم ٣٠
إِشكال وجواب ٣٢
المراد من الجهة الثانية من جهات الحُجِّيَّة ٣٣

نُكتة تقدُّم الجهة الأُولى والثانية على الثالثة : ٣٤
أَدلَّة تراتب الحُجَج الثلاث ٣٧
التنبيه والقضيَّة الثانية : ٤٥
الإستدلال بالخبر الواحد في أَبواب العقائد ٤٥
التنبيه والقضيَّة الثالثة : ٤٦
لغات ترجمة وقراءة معارف الوحي بقدر تعدُّد العلوم ٤٦
فلسفة استخدام النَّبيّ سليمان عليه السلام لعلم الفنِّ والجمال ٤٧
التنبيه والقضيَّة الرَّابعة : ٥٠
المانع من اعتناق دين الله وشرعه ٥٠
التنبيه والقضيَّة الخامسة : ٥١
عموم الفتن والإمتحانات الإلهيَّة لجملة عوالم المخلوق ٥١
التنبيه والقضيَّة السَّادسة : ٥٣
اقتناص منظومة العقائد والمعارف لا يتمُّ إلَّا من مجموع المصادر ٥٣
التنبيه والقضيَّة السَّابعة : ٥٥
قصور التصانيف من شمول جملة علومها ٥٥
الفارق بين البِدْعَة والتَّحقيق والتَّجديد ٥٦
التنبيه والقضيَّة الثَّامنة : ٥٧
لا تناهي الحقيقة ٥٧

التنبيه والقضيَّة التَّاسعة : ٥٨
خطورة آثار الهويَّة العقائديَّة ٥٨
التنبيه والقضيَّة العاشرة: ٥٨
العقيدة رؤية عامَّة لجميع الأَزمان ٥٨
التنبيه والقضيَّة الحادية عشرة: ٥٩
حقيقة الدِّين ٥٩
التنبيه والقضيَّة الثانية عشرة: ٦٠
إستحالة استقصاء خرائط عَالَم المخلوقات الواردة في بيانات الوحي ٦٠
التنبيه والقضيَّة الثَّالثة عشرة: ٦٠
دين اللَّه لا يُصَاب بالعقول ٦٠
التنبيه والقضيَّة الرابعة عشرة: ٦٦
أَبواب المعارف الإِلهيَّة قائمة في الحقائق ٦٦
التنبيه والقضيَّة الخامسة عشرة: ٦٦
دور الإِصطلاحات في أَبحاث المعارف الإِلهيَّة ٦٦
التنبيه والقضيَّة السَّادسة عشرة: ٦٧
خطورة التَّصَوُّر ٦٧
التَّصديقُ العفوي حالة مرضيَّة ٦٧

التنبيه والقضيَّة السَّابعة عشرة: ٦٨
أَصل انحراف الغُلاة قراءتهم الخاطئة ٦٨
التنبيه والقضيَّة الثَّامنة عشرة: ٦٨
أعظم ظُلامة لأَهل البيت عليهم السلام جفوتهم في علومهم ٦٨
التنبيه والقضيَّة التَّاسعة عشرة: ٦٨
تعظيم المخلوق ٦٨
التنبيه والقضيَّة العشرون: ٦٩
لا بُدَّ من أَخذ الطبقات الصَّاعدة في تعاريف حقائق أَهل البيت عليهم السلام ٦٩
التنبيه والقضيَّة الحادية والعشرون: ٦٩
طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة تُحيط وتُهيمن على جملة المخلوقات ٦٩
التنبيه والقضيَّة الثَّانية والعشرون: ٧٠
انتماءات المخلوق واصطفافاته لابُدَّ أَنْ تكون في ظلِّ أَهل البيت عليهم السلام ٧٠
معنى الهويَّة المهدويَّة ٧٠
ضرورة الأَخذ بمجموع مناهج أَهل البيت عليهم السلام ٧٠
التنبيه والقضيَّة الثَّالثة والعشرون: ٧١
لا بُدَّ من التَّحرُّر من ضيق المشرب في متابعة الحقيقة ٧١
التنبيه والقضيَّة الرابعة والعشرون: ٧١
القوقعة على النتاج البشري حجبٌ لحقائق الوحي ٧١

التنبيه والقضيَّة الخامسة والعشرون: ٧٢
المطالب العقائديَّة أشقُّ وأَصعبُ من مطالب فقه الفروع ٧٢
التنبيه والقضيَّة السَّادسة والعشرون: ٧٢
التَّعَمُّق والتَّدقيق في المطالب مذمومٌ ومحمودٌ ٧٢
التنبيه والقضيَّة السَّابعة والعشرون: ٧٣
أَعظم الفواحش بث ثقافة التَّخاذل بين المؤمنين ٧٣
التنبيه والقضيَّة الثَّامنة والعشرون: ٧٤
خطورة الفرعونيَّة وما شاكلها لدى أَصحاب العلوم ٧٤
التنبيه والقضيَّة التَّاسعة والعشرون: ٧٥
قضيَّتان من القضايا الَّتي تميَّزت بهما مدرسة أَهل البيت عليهم السلام ٧٥
التنبيه والقضيَّة الثلاثون: ٧٦
للإِنسان كينونة في العوالم السَّابقة أَشَدُّ شاعريَّة من كينونته في هذه النَّشْأة..... ٧٦
التنبيه والقضيَّة الحادية والثلاثون: ٧٧
خطورة الورع والتَّقوى في أَبواب العلم والمعرفة ٧٧
رجوع إِلى صلب الموضوع ٧٩
أَدلَّة ضرورة التَّوسُّل والوسيلة والآية وبقيَّة مرادفاتها العقليَّة ٧٩
رأي بعض المدارس البشريَّة في التَّوسُّل ٩٠
مِمَّا تقدَّم يتَّضح الجمّ الغفير من طوائف بيانات الوحي الأُخرى ٩٥

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة انعكاسات لصفات الذَّات المُقدَّسة ٩٧

خلط الملائكة بين الذات المُقدَّسة وحقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة ١١١

خلوّ المقام وهذه الأَبحاث من شائبة الغلو ١١٤

الإماتة وبقيَّة الأَفعال الإلهيَّة على طبقات ١١٩

نكتة عدم استيعاب عقول المخلوقات لشؤون أَهل البيت عليهم السلام ١٢١

حيلولة أَهل البيت عليهم السلام مِنْ نشر علومهم عند مَنْ لا يتحمَّلها ١٢٣

طبقات تحمُّل علوم أَهل البيت عليهم السلام ١٢٥

نكتة إبتلاءات بعض الأَنبياء عليهم السلام ١٢٨

مقامات كُمَّل المخلوقات لا تُعطى إلاَّ بقدر معرفتهم بأَهل البيت عليهم السلام ١٣١

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل غائيَّة ١٣٦

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام علل فاعليَّة ١٤٠

خارطة جملة عوالم الخلقة برسم وتخطيط أَهل البيت عليهم السلام ١٤٧

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة آيات إلهيَّة ومرادفاتها العقليَّة ١٥٣

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام الصَّاعدة قطب الكمال والجود الإلهي ١٥٤

لا تناهي أَسماء وصفات وشؤون أَهل البيت عليهم السلام ١٥٥

طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام داخلة في المخلوقات دخول اللَّطيف في الأَغلظ ١٥٩

دخول طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام في شراشر جملة العوالم والمخلوقات ١٦١

أَنواع الإحاطة ١٦٣

معرفة اللّه مُتوقِّفة على معرفة أَهل البيت عليهم السلام ١٦٨
مشيئة أَهل البيت عليهم السلام تجلِّي لمشيئة اللّه ١٧٠
نكتة توقُّف المخلوق في قبول مقامات وكمالات أَهل البيت عليهم السلام ١٧٤
تفويض جملة أُمور الخلائق لأَهل البيت عليهم السلام ١٨٠
حدّ ماهيَّة الإِمام وإِمامة أَهل البيت عليهم السلام ١٨٢
وحي الإِمامة الإِلهيَّة وحيُ علمٌ لدنِّيٌّ من دون واسطة ١٨٧
إِقصاء الفلاسفة ومَنْ شاكلهم لرجالات الوحي ١٨٨
أَهل البيت عليهم السلام سفينة نوح والبيت المعمور ١٨٩
أَمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة العلم والحكمة والفقه لجملة العوالم والمخلوقات ١٩١
جملة علوم طرّ المخلوقات وفي كافَّة العوالم لا تكون إِلاَّ بأَمير المؤمنين عليه السلام ١٩٥
وحي القرآن لا يكون إِلاَّ من طبقات حقائق أَهل البيت عليهم السلام ١٩٧
أَهل البيت عليهم السلام مُعلِّمون إِلهيُّون لجملة الخلائق وفي كافَّة العوالم ١٩٩
لو علم أَصحاب العلوم كيف كان بدء الخلقة لَمَا وقع الخلاف والإِختلاف بينهم ٢٠١
وحي القرآن شعاع من بحور وحي حقائق أَهل البيت عليهم السلام ٢٠٣
حقائق أَهل البيت عليهم السلام محيطة بظاهر وباطن جميع ما نزل من وحي السَّمآء ٢٠٧
الإِمام عليه السلام عَالِمٌ قبل المحو بما سيحدث بعده ٢١٠
ما حوته الأَنبياء من كمالات لم يكن إِلاَّ بالتَّوسُّل بأَهل البيت عليهم السلام ٢١٢
استمرار الهبة الإِلهيَّة لا يكون إِلاَّ بالتَّوسُّل واتِّباع أَهل البيت عليهم السلام ٢١٤

عرض ولاية أَهل البيت عليهم السلام على جملة المخلوقات ٢١٦

بأَهل البيت عليهم السلام بدء الوجود وبهم يُختم ٢١٩

لا معنى لخلقة جهنَّم مع الحبّ لأَهل البيت عليهم السلام ٢٢١

الشَّاك بأَمير المؤمنين عليه السلام والمخالف له مشرك وكافر ٢٢٢

أَهل البيت عليهم السلام تُطيعهم وتواليهم جملة المخلوقات وفي كُلِّ العوالم ٢٢٦

عدم إِطاعة أَهل البيت عليهم السلام ومخالفتهم جاهلية أُولى ٢٣٠

طهارة المخلوق وقبول أَعماله لا تكون إِلاَّ بولاية أَهل البيت عليهم السلام ٢٣٢

عرض أَعمال جملة المخلوقات على أَهل البيت عليهم السلام ٢٣٦

أَسرار إِلهيَّة لم يُكلَّف بها إِلاَّ أَهل البيت عليهم السلام ٢٣٧

فهرست المصادر ٢٣٩

فهرست المحتويات ٢٤٣

صدر للمؤلف :

- المنهج المختار في قراءة بيانات الوحي
- تعريف حقيقة الإمام عليه السلام والإمامة الإلهية
- علم الحروف وخطورة طبقات حقائق ومقامات أهل البيت عليهم السلام
- حقيقة الوضع قاعدة خذ الغايات واترك المبادئ
- طهارة دم أبدان أهل البيت عليهم السلام وما شاكله
- الشّهادة الثالثة في تشهد الصلاة ضرورة إلهيّة